المجلة العربية للدراسات التاريخية

علمية محكمة تصدر عن مركز التاريخ العربي

العدد (٩) - السنة الخامسة ٢٠٢٤م

مكافحة الاحتكار داخل الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٩٠م -١٩١٤م

د. هدى محمود السيد شحات

الإيالة التونسية حيازة قسنطينة ووهران واستعمار الجزائر سنة ١٨٣٠ وتحوّلات الاقتصاد العالمي

د.محمد البشير رازقي

الحركة العمالية بمنطقة طنجة الدولية ما بين ١٩٢٦ - ١٩٥٦

نبيل الطويهري

إسهام حرب الريف في انبعاث اليقظة الوطنية المغربية

حنان الحمياني

التراث الثقافي اللامادي بمدينة وادي زم وبواديها الاحتفالات بالأطفال أنموذجا

الصافي عبد الرزاق

الإذاعات الموجهه في الحقبة الناصرية صوت العرب نموذج

د. زينب البكرى

أحوال مصر والحجاز من خلال رسالة الشيخ إبراهيم العباسي للوزير أحمد باشا ١٧ صفر ١٢١٨هـ الموافق ٣١ مايو ١٨٠٣م دراسة وتحقيق

د. بكيل محمد محمد الكليبي

عدد مجاني - غير مخصص للبيع

المجلة العربية للدراسات التاريخية

شروط وأحكام النشر

١- تنشر المجلّة العربية للدراسات التاريخية الأبحاث الأصيلة ذات المنهجيّة العلميّة الرّصينة والتي تلتزم بالموضوعيّة، وتتوافر فيها الدّقة والجديّة. في التاريخ ، وكافة العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة ذات الصلة بالتاريخ.

٢- كلّ بحث لا يحترم شروط النّشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.

٣- تخضع كلّ الأبحاث إلى التّحكيم من قبل هيئة مختصّة، ويلقى البحث القبول النّهائي بعد أن يقوم الباحث بالتّعديلات المقترحة.

٤- للمجلّة كلّ الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلّة.

٥- لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.

٦- يتعهّد الباحث بعدم تقديم البحث للنشّر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في المجلّة العربية للدراسات التاريخية، إلاّ بعد الحصول على إذن كتابيّ بذلك من مدير المجلّة.

٧- لا تتجاوز صفحات البحث المقدّم ٢٥ صفحة.

٨- على الباحث احترام شروط الكتابة التّالية:

- تحتوي الصّفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي اليها باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزيّة، البريد الالكتروني للباحث، ملخّص للدّراسة في حدود ١٥٠ كلمة حجم ١٢ بلغة المقال وبلغة أجنبيّة (لإنجليزية)، الكلمات المفتاحيّة بعد الملخّص.

تعريف بالمركز

تم إنشاء المركز عام ٢٠١٩م في مدينة إسطنبول على يد الدكتور محمد محمود خليل، كمساهمة في إثراء المعرفة التاريخية، والاعتناء بحضارة الوطن العربي، وتوفير ما يلزم من دراسات جادة ووثائق تاريخية.

التواصل

mmk1976mmk@gmail.com

+ 905446117942

Şirinevler - Istanbul - Turkey

أقسام المركز

- دار نشر
- مركز أبحاث
- قسم الوثائق العثمانية
- المجلة العربية للدراسات التاريخية

المشرف العام
د. محمد محمود خليل

المدير التنفيذي
أ. عمر الحوت

المدير المالي والإداري
أ. محمد محمود حلمي

- تقدّم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم ١٤، تكتب العناوين الرئيسيّة والفرعيّة للفقرات بحجم ١٤ مثلها مثل النصّ الرئيسيّ لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللّغة اللاتينيّة فتكتب بخط Time new Roman، بحجم ١٢ وتكون الحواشي ٤ سم على جوانب الصّفحة الأربعة، كما تدرج الرّسوم البيانيّة والأشكال التوضيحيّة في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها.
- يلتزم الباحث بتهميش المعلومات على طريقة APA American Psychological Association
- بالنّسبة لعلامات الترقيم، توضع النّقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النّقطة وبداية الجملة التّالية. كما لا توضع النّقطة (.) أبدا في العناوين، أمّا إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعيّ والآخر رئيسيّ فيفصل بينهما بنقطتين.
- يجب إدراك الفرق بين الفاصلة بالعربية (،) والفاصلة بالأجنبية (,) واستغلالهما في الكتابة المناسبة، كما تكتب الفاصلة بعد الكلمة مباشرة ولا يوجد فراغ بينهما.
- تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.
- عدم تزيين النصّ بالألوان والخطوط العريضة وتكبير الحجم، يجب احترام الشروط المعروضة سابقا.
- ضبط اتّجاه النصّ بالعربيّة من اليمين الى اليسار، والنصّ بالأجنبيّة من اليسار الى اليمين، وضبط اتجاه الجمل في النّصوص إذا كانت باللّغة العربيّة او بالأجنبيّة.
- عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللّجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

٩- الأفكار والآراء التي يتضمّنها البحث لا تعبّر عن رأي المجلّة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ هيئة تحرير المجلّة غير مسؤولة عن أيّ سرقة علميّة تتم في البحوث المقدّمة لها.

١٠- يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلميّ والثقافيّ.

١١- ترسل الأبحاث الى إيميل المجلة

المحتويات

الإيالة التونسية، حيازة قسنطينة ووهران واستعمار الجزائر: سنة ١٨٣٠ وتحوّلات الاقتصاد العالمي ٢

د.محمد البشير رازقي

الحركة العمالية بمنطقة طنجة الدولية ما بين ١٩٢٦ - ١٩٥٦ ....٣١

نبيل الطويهري

التراث الثقافي اللامادي بمدينة وادي زم وبواديها؛ الاحتفالات بالأطفال أنموذجا ٥٤

الصافي عبد الرزاق

أحوال مصر والحجاز من خلال رسالة الشيخ إبراهيم العباسي للوزير أحمد باشا ١٧ صفر ١٢١٨هـ

الموافق ٣١ مايو ١٨٠٣م دراسة وتحقيق ٧٣

د. بكيل محمد محمد الكليبي

الإذاعات الموجهه في الحقبة الناصرية صوت العرب نموذجًا ٩٢

د. زينب البكرى

إسهام حرب الريف في انبعاث اليقظة الوطنية المغربية ١١٨

إعداد الباحثة: حنان الحمياني

مكافحة الاحتكار داخل الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٩٠م -١٩١٤م ١٣٣

د/ هدى محمود السيد شحات

الإيالة التونسية، حيازة قسنطينة ووهران واستعمار الجزائر: سنة ١٨٣٠ وتحوّلات الاقتصاد العالمي

The Tunisian Regency, the Possession of Constantine and Oran, and the Colonization of Algeria: The Year 1830 and the Transformations of the World Economy

د.محمد البشير رازقي

أستاذ مساعد بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية

(جامعة جندوبة)

Dr. Rezgui Mohamed Bechir,

Assistant Professor at the Higher Institute of Human Sciences

(University of Jendouba)

ملخّص:

طرحنا في هذا المقال اشكاليّة أساسيّة وهي: ما هي علاقة التحوّلات الاقتصادية العالميّة فجر سنة ١٨٣٠ باحتلال فرنسا للجزائر وعلاقة الإيالة التونسيّة بذلك من خلال مشروع إلحاق وهران وقسنطينة بها؟

اعتمدنا للإجابة على هذه الاشكاليّة على وثائق السلسلة التاريخيّة المحفوظة بالأرشيف الوطني التونسي. وقد تبيّن لنا أهميّة فهم تاريخ البلاد التونسية خلال القرن ١٩ استنادا إلى طبيعة التاريخ العالمي وخاصة تحوّلات الرأسماليّة. وعلينا أن نتتبّع سيرورة الرأسماليّة بمراحلها المختلفة لتفهّم أزمة استعمار الجزائر ونشأة مشروع إلحاق وهران وقسنطينة بالإيالة التونسيّة. وقع استعمار الجزائر (١٨٣٠) لحظة نشأة الطور الثاني من الرأسمالية وهو الانتقال من الطور الحمائي إلى طور السوق الحرّة، وقد برز في هذا الإطار أهميّة البلدان الموفّرة للمواد الأولية وللأسواق. ولكن لم تكن فرنسا مستعدّة تماما لهذه المغامرة ولهذا اقترحت على الإيالة التونسيّة حيازة وهران وقسنطينة للتخفيف من حملها. وقد فشل هذا المشروع لأسباب عديدة منها اللوجستي والجغرافي والديني والثقافي.

الكلمات المفاتيح: ١٨٣٠، استعمار، الرأسماليّة، الإيالة التونسي، الجزائر

summary:

In this article, we have tackled a fundamental problem: what is the relationship of the world economic transformations at the dawn of the 1830s with the French occupation of Algeria, and the relationship of the Tunisian province to it through the project of annexation of Oran and Constantine to that?

To answer this problem, we relied on the documents of the historical series kept at the Tunisian National Archives. It has become obvious to us the importance of understanding the history of the Tunisian country in the 19th century from the nature of world history, in particular the transformations of capitalism. It is necessary to follow the process of capitalism in its various stages to understand the crisis of the colonization of Algeria and the emergence of the project of annexation of Oran and Constantine to the Tunisian province. The colonization of Algeria (1830) occurred at the time of the emergence of the second phase of capitalism, which is the transition from the protectionist phase to the free market phase. In this context, the importance of countries supplying raw materials and markets emerged. However, France was not quite prepared for this adventure, and that is why it suggested to the Tunisian province the possession of Oran and Constantine in order to lighten its burden. This project failed for many reasons, including logistical, geographical, religious and cultural.

Keywords: 1830, colonialism, capitalism, the Tunisian province, Algeria

المقدّمة

مثّلت العلاقات التونسية الجزائرية خلال القرن ١٩ محور عدد من الدراسات[١]. حيث عُدّ المغارب عموما مركز جذب سياسيّ وتجاريّ وبشريّ[٢]. سوف نشتغل في هذا البحث على مشروع إلحاق وهران وقسنطينة بالإيالة التونسيّة بُعيد احتلال فرنسا للجزائر (١٨٣٠) وهي لحظة دبلوماسيّة دقيقة شاركت فيها الإيالة التونسيّة وتفاعلت مع فاعليها السياسيّين وتشابكت مع مصالحهم ورهاناتهم. وقد اعتمدنا أساسا على وثائق السلسلة التاريخية المحفوظة بالأرشيف الوطني التونسي.

نناقش في هذا العمل إشكاليّات أساسيّة وهي: ما هي علاقة بروز هذا المشروع مع الظرفيّات العالميّة "الثوريّة" لسنة ١٨٣٠؟ وما علاقة تحوّلات الرأسماليّة بهذا الرهان الدبلوماسيّ؟ وهل يمكن أن نفهم الأزمات التي عايشتها الإيالة التونسيّة من سنة ١٨٣٠ وصولا إلى سنة ١٨٨١ استنادا إلى نازلة الاستعمار الفرنسي للجزائر؟

(1) Pierre Bardin, *Algériens et tunisiens dans l'Empire ottoman de 1848 à 1914*, CNRS Éditions, Paris, 1980

(2) Sophie Bessis, *Histoire de la Tunisie: de Carthage à nos jours*, Tallandier, Paris, 2019, pp.155- 204

اتّفاق إلحاق قسنطينة ووهران بالإيالة التونسيّة

تقبّل حسين باي فكرة ضمّ الإيالة لعمل قسنطينة، مع حرص ذكيّ منه على استخدام عبارة "أمير الفريقيه (كذا)" في جلّ رسائله. مع اعتراف كامل وتسليم بالنفوذ الفرنسي بالجزائر فقد كان الباي يُخاطب الحاكم العسكري للجزائر بالعبارات التالية: "معاهدنا كبير المقام ورئيس الوزراء العظام الكونتي كلوزال الجنرال الكبير بالجزاير"[٣].

بدأت المفاوضات بين الإيالة التونسيّة والحاكم العسكري الفرنسي للجزائر وسُمّيت ب"شروط قسنطينه"، وقد أرسل الباي أحد أعوانه وهو خير الدّين آغة مفاوضا ونائبا عنه. واشتملت أوّلا على تسعة شروط، وهي أوّلا أن يتولّى مصطفى صاحب الطابع حكم قسنطينة وسائر عملها نيابة عن باي تونس. وأُتّفق ثانيا على مبلغ مليون فرنك تُدفع سنويّا على أربعة دفعات بشرط إتمام حيازة قسنطينة وبقيّة عملها كعنّابة وبجاية وسكيكدة. وشُرط قي الفصل الثالث أن يكون للفرنسيّين نائب بقسنطينة لحماية الفرنسيّين بها وتأمين أعمالهم التجاريّة والفلاحيّة والصناعيّة وكلّ "ما يحدث من أمورهم". واشتمل الشرط الرابع على امتيازات جبائيّة وهي ألا تتجاوز الضريبة الجمركيّة

(٣) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ١٩ (جمادى الثانية ١٢٤٦/ نوفمبر ١٨٣٠)

المفروضة على التجّار الفرنسيين في قسنطينة مثيلتها عليهم في تونس، ولا يتمّ منع أيّ فرنسي أراد الاستثمار الفلاحي مع التزامع بدفع العشر مثل أهل المكان.

واشتمل الفصل الخامس على شرط مهم وهو أنّ لا يضع الحاكم العسكري الفرنسي للجزائر جنوده لا في قسنطينة ولا في حصونها أو في أيّ مكان من وطنها إلاّ بعد أن تطلب منه الإيالة التونسيّة ذلك. وحافظ الشرط السادس على الصيغة التقنيّة للفصل الخامس حيث التزم الحاكم العسكري الفرنسي بإرسال مهندسين عسكريين لتعليم العساكر التونسيّين، ويرسل لهم "أربع مدافع من العمل المستنبط الجديد". وجاء في الفصل السابع أن تسيير أحوال قسنطينة يتمّ حسب القانون التونسي سواء في الأحكام الشرعية أو العاديّة. وتطرّق الشرط الثامن إلى صيغة الحكم حيث اشترط باي تونس أن تبقى قسنطينة وعملها لنسله "مؤبّدة سرمدا"، مع حيازة الباي الحقّ حصرا بتسمية من يحكمها نيابة عنه، وعلى الحاكم العسكري الفرنسي للجزائر أن يضمن ذلك وأن يتدخّل متى طلب منه الباي ذلك. وشُرط في الفصل التاسع أن يلتزم الحكم العسكري للجزائر بأن يرسل كلّ الشروط المذكورة إلى باريس ويوافي السلطة التونسيّة بالموافقة أو الرفض "عن عجل"(١).

وردت هذه الشروط بصيغة مغايرة في وثيقة أخرى وبأكثر دقّة في بعض فصولها مع التركيز على مدينة وهران. ورد في الفصل الأوّل أن باي تونس لا يدفع "لزمة وهران وعملها" المطالب بها إلاّ بعد أن يتمّ السيطرة الكاملة عليها برّا وبحرا و"بعد أن يستولي عليها وعلى عملها استيلاء الحكّام على محلّ ولايتهم"، مع أين يكون قدر اللزمة السنويّة ٨٠٠ ألف فرنك وتُدفع على أربعة دفعات، مع إمكانيّة تخفيض هذا المبلغ حسب طبيعة المفاوضات بين تونس وفرنسا. وشُرط في الفصل الثالث أن جميع مداخيل وهران وعملها "برّا وبحرا وسهلا وجبلا" تعود حصرا لأحمد باي حاكم وهران، وهو نائب باي تونس. ويتمتّع التاجر الفرنسي في وهران بامتيازات جبائيّة حيث يدفع أربعة في المائة للجمارك، مع أن يدفع بقيّة التجّار الأجانب ثمانية في المائة. مع أن يلزم باي وهران، وهو نائب الباي تونس، بحماية جميع الأجانب سواء السكّان أو التجّار والفلاّحين. وأيضا ألاّ يدخل الجنود الفرنسيّون وهران إلا بعد إذن الباي، على أن يبقى برج المرسى الكبير فقط بيد الفرنسيّين. كما يحافظ حاكم تونس على حقّ حيازة تسمية حاكم وهران سواء من نسله أو من أصهاره(٢).

حُرّرت هذه الشروط بأكثر تفصيل ومؤرّخة بتاريخ ١ رجب ١٦/١٢٤٦ ديسمبر ١٨٣٠ في وثيقة أخرى. اعترف الحاكم العسكري للجزائر بحقّ نائب الباي

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ٢٢ (دون تاريخ)

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ٢٣

مصطفى باي في حكم قسنطينة، على أن يتكفّل حسين باي بدفع لزمة قسنطينة وجميع عمالتها برّا وبحرا عن سنة ١٨٣١ وقدرها ٨٠٠ ألف فرنك أي تقلّصت ٢٠٠ ألف فرنك مقارنة مع المسودّة الأولى للشروط، على أن تكون الدفعة الأولى ربع هذا المبلغ بداية من شهر جويلية ١٨٣١، بواقي الدفعات تُدفع كلّ ثلاثة أشهر. ولكي تضمن فرنسا حقّها على باي تونس أن يُحرّر أربعة أوراق كل واحدة منهما تشتمل على ٢٠٠ ألف فرنك باسم خزينة فرنسا بالجزائر. والتزمت السلطة التونسيّة على دفع هذا القدر بقيّة السنوات، دفعة كلّ ثلاثة أشهر. وعلى باي تونس أن يلتزم بحماية مراكب الصيد الفرنسيّة وخاصة صائدي المرجان لمّا يصلوا لطبرقة من غير ألاّ يدفع الفرنسي أيّ ضريبة(١).

يتمتّع باي تونس بحيازة كل مداخيل قسنطينة، بما فيها مداخيل الموانئ خاصة ميناء عنّابة وبجاية على أن يدفع الفرنسيّون نصف ضريبة الجمارك.

وعلى أن يلتزم الحاكم العسكري الفرنسي للجزائر بأن لا يتوجّه الجنود الفرنسيّون لقسنطينة إلا بعد إذن من الباي وبشرط "نفع وفايدة (كذا) الاثنين". كما اعترفت فرنسا بحقّ باي تونس في اختيار حاكم قسنطينة بشرط أن "يكون حاويا على الأخلاق الحسنه (كذا)"، مع إعلام الحاكم العسكري للجزائر وأن يوافق عليه أيضا. وتُمضى هذا الشروط من طرف الحاكم العسكري ومصطفى صاحب الطابع نيابة عن الباي و"سلطان" فرنسا بعد كتابتها باللغتين(٢).

وورد في وثيقة ثانية بعض التفاصيل الأخرى لهذا الاتّفاق، فعلى ممثّل الباي بقسنطينة أن يضمن حماية السفن الفرنسيّة ويمكّنها من الرسوّ بالموانئ وخاصة بطبرقة خاصّة زمن العواصف البحريّة. كما أنّه من حقّ كل أوروبيّ أن يستقرّ بالعمل سواء للسكنى أو للتجارة أو لممارسة الفلاحة. كما أنّه لا يمكن لفرنسا أن تُرسل عساكرها أن يتمكّن ممثّل الباي من إحكام سيطرته على العمل أي "ملك البلاد"، وحتّى مع تمكّنه من الحكم لا يدخل أيّ جندي قبل المشاورة بينه وبين الحاكم العسكري للجزائر وموافقة كليهما. ولباي تونس الحقّ في عزل وتعيين من يريد بدون استشارة أحد(٣).

لم يوافق باي تونس منذ بداية المفاوضات على المبلغ الأوّل المقترح من طرف فرنسا وهو مليون ومائتي ألف فرنك، وقد تدخّل قنصل فرنسا بتونس من أجل التوسّط لخفض هذا المبلغ إلى مليون فرنك، ووافق حاكم الجزائر بعد أن أعلمته السلطة التونسيّة في رغبتها

(١) مثّلت مسألة صيد المرجان محور تنافس بين إنجلترا وفرنسا منذ بداية القرن ١٩. فقد حصلت بريطانيا باتّفاقيّة ١٨٠٦ على حقّ صيد المرجان وتجارة الحبوب في الشرق الجزائري. أنظر: شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر/الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٧٤ ص.١٠

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ٢٥- ٢٦

(٣) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ٣٧

"في مجاورتكم والقرب لدولتكم مما بيننا وبين الدولةالفرنساوية من المحبّة الوافيه والمودّه الصادقه(كذا)". بيّن الباي التضحيات الماديّة الكبيرة التي يحتاجها وجوده المستحدث في قسنطينة وحاجته الأكيدة للمال سواء إعمار العمل وتجهيز العساكر مع رغبة الإيالة في خدمة الناس وترسيخ "العدل" بينهم، ولزمة المليون تصعّب على الإيالة وجودها في قسنطينة ويرسّخ لمضرّة الناس خاصة مع امكانيّة اضطرار الباي لفرض ضرائب ثقيلة على سكّان قسنطينة(١).

عاود الباي مراجعة الشروط التي تمّ النقاش حولها سلفا بتعلّة مضرّتها بالدولة التونسيّة خاصة ماديّا. بيّن الشرط الأوّل أن نائب الباي بقسنطينة ليس له حجز سفن الدول الأجانب إلاّ من أبدى العداء للإيالة. وقد رفض الباي هذا الشرط بسبب تحقيره، "حطّه عظيمه"، للدولة التونسيّة خاصّة وأنّ الباي ذكّر حاكم الجزائر بعدم امتلاكه لسفن حربيّة كبيرة يدافع بها عن نفسه وعن قسنطينة وتونس زمن الحرب أي "الغيره".

كما احتجّ الباي على محتوى الفصل الثالث الذي محصّله أنّه إذا انكسر مركب فرنسي على ساحل تحت السيطرة التونسيّة ومات فرنسي من جرّاء ذلك، فعلى الدولة التونسيّة أن تؤدّي قدر حمولة المركب لفرنسا. أرجع الباي رفضه ذلك إلى أنّ الناس وقادة السفن ليسوا سواء، كما أنّ السواحل التونسيّة في غاية الأمان ولا يوجد داعي لهذا الفصل ولم تقع مثل هذه الحوادث في الماضي. كما لم يخفي الباي توجّسه من الفصل الخامس المخصّص لصيد المرجان، حيث بيّن الباي أن الساحل تحت ملكيّة الدولة التونسيّة "منذ مدّة مديدة وأعوام عديدة"، والدليل على ذلك أن فرنسا اكترته من الدولة التونسيّة سابقا وأعادت تسليمه لتونس برضاها.

كما رفض الباي الشرط السابع المخصّص لتجارة الزيت والقرنيط والصابون وغير ذلك. بيّن الباي أنّ هذه المواد وما ينجرّ عنها من ضرائب هي عماد الميزانيّة التونسيّة و"قوام دولتنا" منذ ٣٠٠ سنة، و"استمرّ على ذلك قانون بلدنا منذ زمان لأنّها خراج، في مقابلة العشر الجارية به قوانينها". وقد طلب الباي أخيرا في رسالته لحاكم الجزائر أن تتراجع فرنسا عن هذه الشروط الأربعة لمضرّتها المفرطة بالدولة التونسيّة(٢).

نلاحظ أنّ فرنسا أرادت استغلال رغبة الإيالة في حيازة قسنطينة ووهران وعملهما من أجل فرض شروط مضرّة بالاقتصاد التونسي وخاصّة بالسيادة وسيطرة البلاد التونسيّة سواء على سواحلها أو على أهمّ مواردها المُصدّرة وبالتالي على أهمّ المصادر المموّلة لميزانيّة الدولة.

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ٢٨ (١ جمادى الثانية ١٨٤٦/ ١٧ نوفمبر ١٨٣٠)

(٢)الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ٢٨ (١ جمادى الثانية ١٨٤٦/ ١٧ نوفمبر ١٨٣٠)

تونس في الجزائر: بناء شبكة ولاء محليّة

تشابكت النظرة التونسيّة للاحتلال الفرنسي للجزائر مع رهانات عديدة منها السياسي سواء من خلال تجنّب استعمار هجوم فرنسي على الإيالة أو طمعا في إلحاق جزء من الجزائر بالبلاد التونسيّة. أو رهانات شخصيّة عبر القضاء على "غطرسة" حكّام الجزائر(١).

استغلّت فرنسا هذه السياقات ونشأت فكرة تكليف الإيالة بحيازة جزء من الأراضي الجزائريّة أهمّها وهران وقسنطينة. والهدف الأساسي لفرنسا التخلّص من عبء ثقيل سواء لاتّساع الأراضي الجزائريّة أو اشتداد المقاومة أو لعدم معرفتها الدقيقة بالجغرافيّة الطبيعية أو البشرية أو الثقافيّة للجزائر. سوف تعوّض الإيالة التونسية نقاط الضعف هذه. وانتهز حسين باي هذا السياق وأبدى ترحابا بفرنسا وامكانيّة نشأة صداقة مستقبليّة راسخة، مع وعيه التامّ باختلال توافق القوّة المفرط لصالح فرنسا وعدم قدرة العثمانيّين على الدخول في مواجهة مباشرة مع فرنسا، وعدم التعويل على إنجلترا، وخاصّة الأزمة سياسيّة الفرنسيّة الداخليّة التي يمكن أن تفاقم الوضع في تونس والجزائر كوسيلة من وسائل تصدير الأزمة. ولهذا فقد تعاملت الدولة التونسيّة بعقلانيّة مع هذه الأزمة تأثّرا بدقّة السياقات وتشابك مصالح الفاعلين السياسيين وتعقّدها(٢). رغم توجّست القنصليّة الإنجليزية في تونس من الاتفاق بين الإيالة التونسية وفرنسا بخصوص الجزائر، وقد برّر الباي امكانيّة حيازة تونس قسنطينة بمجاورتها لـ"الوطن"(٣).

كانت الدولة التونسيّة على علم بأهميّة توازنات النفوذ وشبكات المصالح في المجتمع الجزائري المعقّدة جدّا. فالمجتمع الجزائري، مثله مثل بقيّة المجتمعات المحليّة، لديه مرتكزاته الخاصّة لبناء المكانة الاجتماعيّة لأصحاب الوجاهة وأعوان الدولة(٤). ولهذا لم تمتلك الإيالة حلاّ سوى محاولة استمالة أعيان المجتمع المحلّي.

سعت الدولة التونسيّة، في سبيل اعتماد "السياسة"

---

(1) Aimé Dupuy, Les rapports franco-tunisiens. Le bey et l'« affaire d'Alger », Le monde diplomatique.
https://www.monde-diplomatique.fr/1955/05/DUPUY/21424#partage

(2) Mohamed-El Aziz Ben Achour, « Les accords de cession de Constantine et d'Oran au Bey de Tunis 1830: une chimère franco-tunisienne », *Leaders*,15.10.2016
https://www.leaders.com.tn/article/20763-les-accords-de-cession-de-constantine-et-d-oran-au-bey-de-tunis-1830-une-chimere-franco-tunisienne

(٣)الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق: ٣، ملف: ٤٢، و.١ (١٨٣٠) (رسالة من أحمد بن أبي الضياف إلى شاكير صاحب الطابع)

(4) Colette Establet, *Être caïd dans l'Algérie Coloniale*, CNRS Éditions, Collection : Sociétés arabes et musulmanes, Paris, 1991, p.25- 108

وتجنّب العنف المادي، إلى تشكيل شبكة علاقات محليّة وناجعة بحثا عن التهدئة الاجتماعية وشرعنة لوجودها. ربط خير الدّين مبعوث الباي خيوط التواصل مع عدد من الفاعلين الاجتماعيّين المحليين ذو التأثير والوجاهة منهم الشيخ محمد بن الشيخ عبيد. اختار خير الدّين هذا الرجل لأنّ والده كان شيخا على أحد أهمّ عروش قسنطينة، وثانيا لأنّ باي قسنطينة قتل والده واخوته وعمّه "وأضرّ عرشه"، أي يحمل ضغينة ضدّ رافضي الوجود التونسي بالجزائر. لم يكن إذا اختيار هذا الرجل صدفة أو اعتباطا، فوظيفة والده المقتول توفّر لخير الدّين شبكة علاقات جاهزة ظلّ الشيخ سنوات طويلة يطرز خيوطها. ثانيا، يسهل اقناع ابن الشيخ بالتحالف مع الدولة التونسيّة بسبب الظلم الذي تعرّض له على يد باي قسنطينة وهو منافس محلّي شديد للمشاريع التونسيّة. كما سعى خير الدين إلى التحالف مع عدد من العربان، فكل من يزوره منهم يكرّمه ويعطيه برنوس وسروال كتّان "لأنّ هذا عادتهم"(١).

لاقى خير الدّين صعوبات كثيرة عند وصوله وهران أهمّها التخريب المفرط الذي مارسه الفرنسيّون في وهران تجاه السكّان والبنيان. أرود مثلا في رسالته إلى حسين باي مشاهدته "الديار التي بها حيطانها موجوده (ة) لا غير وأن السقوفات والبيبان كسّرها عسكر الفرنسيس لأجل الشعول"، كما أنّه لم يعثر على أحد من سكّان البلد حيث التجأوا كلّهم إلى شريف تلمسان، مع اعتراف صريح لخير الدّين بأنّ شريف تلمسان من أهمّ النّاس الذين "تستقيم بهما الدولة"، وأنّ معارضته للإيالة التونسيّة تهدّد مصالحها بالجزائر، ولهذا لم يتوانى خير الدّين من الاعتراف بأنّ "الأحوال ليس مستقيمة"(٢).

حرّر خير الدّين، في نفس هذا السياق، رسالة إلى الحاكم العسكري للجزائر ضمّنها احتجاجا مبطّنا على تخريب فرنسا لمدينة وهران وهذا ما صعّب مهمّة تونس سواء بسبب الهجرة الجماعيّة للسكّان، أو بسبب الضغينة تجاه فرنسا والتي ورثتها الإيالة التونسيّة عنها بسبب تسلّمها للجزائر، أو للتكاليف الماديّة الكبيرة التي تنتظر البلاد التونسيّة لإعادة بناء جزء من مدينة وهران أو لتعويض السكّان وترميم المعالم الرئيسية في المدينة مثل الأسوار أو القصبة. كما ازداد غيض خير الدّين لمّا أخبرته فرنسا قبل وصوله لوهران ومعاينته حقيقة الواقع بأنّ مدينة وهران في أحسن حال ولم يهاجر منها إلاّ العدد القليل من السكّان، ووقّعت السلطة التونسيّة الشروط استنادا إلى هذه المعلومات. ولهذا صُدم خير الدّين حين المعاينة

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٦٢ (٢٨ شوال ١٢٤٦/ ١١ أفريل ١٨٣١)

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٥٤ (٣ رمضان ١٢٤٦/ ١٥ فيفري ١٨٣١)

الميدانيّة. كما أخبر خير الدّين أيضا أنّ النفوذ الاجتماعي في وهران يعتمد أساسا على الحاج المرسيلي ومصطفى بن إسماعيل "الذي بهما يستقيم ولاية وهران وبعدهما ينعدم" توجّها واستقرّا بتلمسان كما أنّهما نجحا في استمالة "جميع العربان" و"صاروا على كلمة واحدة". كما تفاجأ خير الدّين بمعلومة أخرى مضّرة بالمصالح الماليّة التونسيّة في وهران، فقد عرف عند وصوله للبلد أنّ أملاك الدولة من عقّارات وبساتين كلّها على ملك قنصل إنجلترا وسلّمها له حاكم وهران السابق قُبيل وصول فرنسا وقبل هروبه من البلد. وهذا الأمر يجفّف تماما منابع العوائد الماديّة التي يمكن أن تجنيها الإيالة من العقار أو العمل الفلاحي. ولهذا بيّن خير الدّين في نفس الرسالة أن مكث تونس في وهران لا معنى له، وأنّ خروج تونس من البلد مسألة وقت فقك بل يجب أن يكون عاجلا، والأهمّ أن كلّ الشروط التي عقدتها تونس مع فرنسا لاغية شكلا ولا معنى لها "ولا عمل عليها"(١).

تبيّن لنا من خلال هذه المستجدّات أن مبعوث الباي التونسي صُدم ببروز فاعلين محليين جدد يمكن أن نختصر دورهم في عبارة: اشتداد المقاومة المحليّة حيث تحوّل الوجود التونسي في وهران مرادفا للوجود الفرنسي. كما أنّ فرنسا لم توفي بمعاداتها مع تونس سواء عند تخريبها للبنية التحتيّة أو المعلومة المهمّة جدّا وهي امتلاك إنجلترا لمجمل عقّار الدولة وبساتينها في المدينة. أي أنّ السلطة التونسيّة تضرّرت على مستوى شرعيّة وجودها وتجفيف منابع الجباية والضرائب.

كما استطاعت السلطة التونسيّة استمالة عدد من شيوخ الجزائر منهم الشيخ خليل بن حسن الذي لم يكتفي بإعلان ولاءه لتونس بل أرسل رسالة إلى فقهاء بونة وقرّاءها حنفيّة ومالكيّة يحاول فيها اقناعهم بالتحالف مع حسين باي الذي يجب يتلقّى منهم "القبول والبشرى...على السمع والطّاعة". وقد وظّف الشيخ استراتيجية ذكيّة لإقناع رجال الدّين بالتحالف مع الباي منها أنّ وجود تونس يعني "خروج الفرنسيس"، كما أنّه سعى إلى ترهيب الشيوخ من عساكر تونس "الشديدة" و"العديدة" ومراكبها الكثيرة. ونحن نعلم أنّ هذا الأمر غير صحيح بالمرّة، بل بيّنت لنا الوثائق التي أشرنا لها سابقا نقصا رهيبا لتونس على مستوى الامكانيّات العسكريّة.

واصل الشيخ في نفس الرسالة الوصف المتخيّل للعساكر التونسيّة، فآلاف منها سوف يصل قريبا بحرا، أمّا محلّة البرّ "فعساكرها لا تعدّ وجيوشها لا يقاومها أحد". وقد اعتمد الشيخ وسيلة أخرى للإقناع وهي تأكيده على احترام السلطة التونسيّة للحنفيّة الأتراك، في محاولة منه لتهدئة رجال الدين الحنفيّين ومن وراءهم

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٥٥ (٣ رمضان ١٢٤٦). لم يتوانى الانجليز فيما بعد في دعم الأمير عبد القادر في مقاومته للاستعمار الفرنسي. أنظر: شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، مصدر مذكور، ص.٩

العساكر الأتراك الحنفيّة الذين تخلّفوا عن الوجود العثماني قبيل وصول فرنسا. وختم رسالته بتذكيره بدور رجال الدّين في حقن دماء المسلمين ومسؤوليّتهم تجاه ذلك، وأنّ أهل تونس وحكّامها مسلمين مثلهم مثل أهل الجزائر عكس الفرنسيّين، ولهذا "يتعيّن عليكم جمع الكلمة فيما يجدي المسلمين نفعا"(١).

أكّد خير الدين في رسالة أخرى له إلى حسين باشا رغبة الإيالة في تشكيل شبكة نفوذ نافذة في الجزائر حيث قال أنّه تقابل مع رجل "من الأعيان وقرّبناه" وتشاور معه، نصحه الرجل بعدم تعيين خليفة بوهران لرفض العربان ذلك وربّما "يفرّون" من ذلك(٢). والذي شجّع أكثر حسين باي على ترسيخ نفوذ تونس في المجتمع المحلّي الجزائري هو الدعاية المضادّة لتونس الذي تحمّل عبئها الشريف المقيم بتلمسان، كما أنّ "العرب لم تستقرّ كلمتهم ولم يستقم حالهم". وقد سعى حسين باي إلى مخاطبة الحاج أحمد باي(٣)، وأمره بالدخول "في الطّاعة، فامتنع وأبى". استهدفت الدولة التونسيّة تفكيك نفوذ الحاج أحمد باي، واعتمدت على سياسة كسب ودّ السكّان المحلّيين وأيضا أتراك الجزائر، وعيا منها بأبرز نقاط قوّة الحاج أحمد باي قائد المقاومة بقسنطينة ذو الأصول التركيّة والأمّ المحليّة، وصاحب التجربة المخزنيّة(٤).

برّر حسين باي، في رسالته إلى الحاكم العسكري للجزائر، كل المساعي السلميّة التي يقوم بها بتجنّبه "سفك الدّماء"، وسوف يضطرّ إلى ذلك "بعد استعمال السياسة". كما بقي الباي في انتظار نهاية شهر رمضان ليرسل وزيره شاكير صاحب الطابع "ويمكث في الحدود ليسدّد الأمور ويجمع كلمة الجمهور ويُطوّع قسنطينه إمّا بالسياسة أو بالقهر"، ولن يرسل الباي ابنه أحمد باي إلى وهران كحاكم لها إلاّ بعد إتمام السيطرة و"تستقيم الأوطان"(٥).

لم يتوقّف المجهود الدبلوماسي التونسي في أرض الجزائر، بل أرسلت لباريس محمد بن عيّاد ليدافع عن حقّها، أوّلا من أجل اثبات التزام تونس بشروطها المنعقدة مع فرنسا عكس هذه الأخيرة. وثانيا، وهذا

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٥٦ (٤ رمضان ١٢٤٦/١٦ فيفري ١٨٣١)

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٥٨

(٣) بخصوص الحاج أحمد باي أنظر: "أحمد باي قسنطينة المدافع عن الجزائر"، ضمن: أرجمند كوران، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (١٨٢٧- ١٨٤٧). يلي ذلك دراسة عن الحاج أحمد باي قسنطينة**، ترجمة: عبد الجليل التميمي، تونس، ١٩٧٤، ص.٧٨- ٨٥

(4) Fatima Zohra Guechi, « La résistance d'Hadj Ahmed Bey, dernier bey de Constantine », *Histoire de l'Algérie à la période coloniale*, La Découverte, Paris, 2014, p.134- 137

(٥) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٦٠ (٢٣ رمضان ١٢٤٦/ ٧ مارس ١٨٣١)

الأهمّ، دحض إشاعة استتباب الأمن في وهران ودحض خبر "أن العربان أتت بالجمال والبغال فيضنّون أن الأمر ثابت ويطلبون ما لهم من وهران في هذه السنة". أي أنّ فرنسا ليس لها الحقّ إلى حدّ الآن في أن تطلب ٨٠٠ ألف فرنك الذي تنصّ عليها الشروط. كما عبّر مبعوث الباي إلى باريس عن كثرة المصاريف التي اعترضت تونس وتسبّب فرنسا في كثير منها وأنّ تونس لم تجني أي انتفاع. كما لم تخفي السلطة التونسيّة انزعاجها من الصحف الباريسيّة التي ادّعت أن فرنسا هي الرافضة لشروط الاتّفاق مع تونس حول وهران وقسنطينة، وهذا الأمر مُعاكس للواقع. فتونس هي المنزعجة من اخلال فرنسا بأهمّ أركان الاتفاق. كما بيّن مبعوث الباي أنّه لا يحقّ لفرنسا الآن المطالبة بشروطها الماليّة مع تونس لأنّ مجمل العروش غادرت مقرّ سكناها، الإيالة الآن بصص جلبهم و"الاحسان إليهم" لكسب ودّهم وطاعتهم. وليس لتونس الآن أي مدخول إلا من الجمارك(١).

أعلم الحاكم العسكري للجزائر السلطة التونسيّة بأنّ وهران "تستقيم" فقط بالحاج المرسلي ومصطفى بن إسماعيل و"وبعدهما لا يتأتّى شيء"، مع امكانيّة تحالفهما مع العربان وأهل البلد، وازداد الخوف مع توجّههم لتلمسان وتحالفهم مع الشريف. كانت الدولة التونسيّة تعلم سلفا أنّ "مصطفى بن إسماعيل "كان محاربا قديما ومجرّبا والذي ابيضّ شعره في خدمة الأتراك كزعيم للمخزن"(٢). تُخبرنا الوثائق أن الشريف أتمّ السيطرة على تلمسان، بل أنّه سجن الحاج المرسلي ومصطفى بن إسماعيل فور وصولهم لتلمسان بسجن المدينة، ويمكن أن نرجع ذلك إلى خوفه من امكانيّة تحالفهم مع الإيالة التونسيّة. من ناحية أخرى سعى مبعوث الباي إلى كسب ودّ أهم رجال "العرب" وتأمينهم "الأمان التامّ". واختارت السلطة التونسيّة أبرزهم وقدّموا لهم البرنوس الملف والعمارة الفضّة "على عادة بلادهم"، مع التزامهم بجمع رجال القبائل لصفّ الإيالة التونسيّة. بالمقابل انتهز مبعوث الباي سجن شريف تلمسان لمصطفى بن إسماعيل وسعت إلى استمالت أخيه وهو من أهمّ العساكر و"اجتمعنا به وتعشّى معنا وأخبرنا عن سجن أخيه المذكور وأنه حق وطلب منّا كيف يكون الصنيع في سراح أخيه المذكور ومن معه. فأجبناه بأنه لا يكون الكلام إلاّ بعد إتيان اخوته الدواجي وأبنايه وعياله واستقراره في البلاد كأصلهم لأنّ لهم ربض يخصّهم لسكناهم، والزمّاله أيضا لهم ربض كذلك"(٣). ربطت إذا السلطة التونسيّة سعيها لإفراج عن مصطفى بن إسماعيل بعودة كل

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٦٢ (٢٨ شوال ١٢٤٦/ ١١ أفريل ١٨٣١)

(٢) شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر، مصدر مذكور**، ص.٦١

(٣) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٣٦ (٩ فيفري ١٨٣١)

قبيلته إلى وطنهم ومنازلهم وتراجعهم عن الهجرة. هواجس نائب الباي هنا شرعيّة، أمنيّة وجبائيّة.

وافق أخو مصطفى بن إسماعيل على شرط مبعوث الباي وطلب من السلطة التونسيّة أن تسعى في إعادة تنظيم الشأن العام لوهران، وتعيّن قاضٍ مالكيّ "لأنّ البلاد ليس فيها إلا قاضيا حنفيّا" وأيضا لأنّ "الأحباس كلّها ضاعت"، كما أنّه رشّح أسماء وفقهاء وقضاة. وافقت السلطة التونسيّة على ذلك واختارت أحد المرشّحين. تضمّن الاتّفاق أيضا أنّه بعد استقرار عرش بن إسماعيل في ربضهم يتمّ العمل على جمع محلّة تهديدا لشريف تلمسان ودفعه للفرار منها ويُطلق الرجلين من السجن.

كما اعتمد مبعوث باي تونس على أسلوب آخر مهمّ لاستمالة السكان المحلّين وهو مشاورتهم في تعيين القوّاد والخلفاء وتزكية نفوذ "الرجال الكبار" في العروش. كما سعت الدولة التونسية لكسب ولاء "أعيان الأتراك" وتقريبهم مع المحافظة على كل الامتيازات (مالا وغذاء ولباسا) التي كانوا يتمتّعون بها قبل الوصول الفرنسي، لكن مع تفريقهم على أبراج وهران لتجنّب ائتلاف كلتمهم، و"الظّاهر منهم الفرح والسّرور". كما سعت الدولة التونسيّة إلى نشر أخبار تفيد بقرب وصول العسكر التونسي إلى وهران رغم اعتراف سرّي لمبعوث الباي بأنّ "العسكر ليس عندنا"، مع قلّة المؤونة والسّلاح واضطرّ مبعوث الباي إلى أخذ "الخبر...من عند الفرنسيس"[(١)]. كما سعت السلطة التونسيّة إلى إنزال الناس منازلهم في سبيل سعيها إلى كسب ولاء أعيان القبائل، فقد جُلب من تونس برانس (رمز للسلطة) ملف حرير، وبرانس ملف فضّة، وبرانس ملف حرير وفضّة "لأن كل أناس لهم شيء يخصّهم". إذا سعت الإيالة التونسيّة إلى المحافظة على التراتبيّة الاجتماعيّة الموجودة تجنّبا للضغائن والأحقاد والعداوات[(٢)].

جنت الدولة التونسية بعض المنافع من مجمل هذه السياسات، حيث رجع عدد من السكّان لأوطانهم، وبدأ توافد "العربان" لبيع وشراء الماشية والأبقار والثمار والحبوب، وهذا أمر مهمّ يعطي شرعيّة للوجود التونسي بوهران يبيّن تغيّر موقف "العربان" الذين نهبوا ١٨٤ بغلا على ملك الأتراك قبل وصول العسكر التونسي لوهران بثلاثة أيّام. ولم يخفي مبعوث الباي في مكتوبه هواجسه الأساسيّة بخصوص وهران، الهدف المركزي هو "جمع العربان وانضمامها"، وثانيا "رجوع أهل البلد" إلى منازلهم، والتخلّص من نفوذ الشريف سواء على العربان أو في مدينة تلمسان، وأخيرا السيطرة على تلمسان. ويمهّد تحقيق هذه الأهداف إلى تأسيس "مملكة عظيمة" تونسيّة في الجزائر، يمكن أن

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٣٦

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٣٦

تكون وهران هي مركزها وقاعدتها وخاصّة وأنّها "في غاية الحصن والأبراج بها من كل ناحية" خاصّة البرج الأحمر[١].

صعوبات إلحاق وهران وقسنطينة وتباين المصالح

اجتمع، بعد شهر من بداية المفاوضات، مبعوث الباي خير الدّين مع أحد أعوان الدولة الفرنسيين. أعرب خير الدّين عن قلقه بسبب عدم تلقّيه إجابة من الطرف الفرنسي بعد أن "وقع التطويل" في النّازلة، وإعلام حاكم الجزائر باريس بكل تحفّظات الإيالة التونسيّة بدون استقباله إجابة منها. تلقّى أولا خير الدّين تطمينات من الجانب الفرنسي بأنّ باريس قبلت "جميع ما صنعه مع دولة تونس وما سيصنعه معه في المستقبل"، كما تلقّى مفاوض الخير الدّين رسالة من وزير الخارجيّة الفرنسي أخبره فيها أنّ "دولة الانقليز ودولة الفرنسيس الآن في غاية المحبّة والمودّة ووقعت الربطة (كذا: الاتّفاق) بينهما بأنهما متّفقين على رأي واحد"، ويصبّ هذا في مصلحة الاتّفاق التونسي الفرنسي حول قسنطينة. وافقت باريس على تخفيض مبلغ اللزمة إلى ٨٠٠ ألف فرنك عوض مليون مع إمكانيّة تخفيض آخر لهذا المبلغ. كما وعدت باريس بأنّ تسلّم كلّ الجزائر لباي تونس قبل مرور سنة واحدة من عقد اتّفاق قسنطينة أي "لا يتمّ العام حتّى يكون باشة تونس مستوليا على جميع مملكة الجزاير". بيّن المفاوض الفرنسي لخير الدّين أن الحاكم العسكري للجزائر طلب من باريس بعد أن تعيّن في الجزائر أن تُمهله سبعة أعوام "لأجل تنظيم أحوالها"، ولكن المتوقّع ألا يمتدّ مكوثه في الجزائر أكثر من سنة، فقط تنتهي مهمّته مع نجاحه في حفظ حصون الجزائر، ولن يرجع إلى فرنسا قبل أن يتّفق مع باي تونس، ولن يترك في الجزائر إلاّ ألف جنديّ. وصلت أيضا معلومات من باريس تفيد أنّه فور وصول الحاكم العسكري لباريس فإنّه يسلّم رسميّا الجزائر للإيالة التونسيّة، بل ويُرسل في جلب بقيّة العساكر الفرسيّين. كما تمّ التطرّق إلى الشروط التي رفضتها مباشرة الإيالة التونسية حول الجباية والتصدير ومراقبة السواحل، حيث وعد المبعوث الفرنسي بمناقشة الأمر مع باريس مع فتح باب أمل في إيجاد صيغة مناسبة للطرفين[٢].

يتبيّن لنا من خلال هذا اللقاء رغبة فرنسيّة عارمة في اقناع الدولة التونسيّة بأهميّة مشروع الجزائر، ويمكن أن يرجع ذلك إلى خوف فرنسا من الغرق في مستنقع جزائريّ، أو فقط كسب ولاء أو على الأقلّ تحييد السلطة التونسيّة في انتظار تمكّن الحاكم العسكري الجزائريّ من حيازة تامّة للأراضي التي يحتاجها. وما يؤكّد الرأي الثاني هو طبيعة الوعود المغرية المقدّمة

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٣٦

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ٣٠ (٢٧ جمادى الثانية ١٢٤٦/ ١٣ ديسمبر ١٨٣٠)

لتونس وأهمّها تسليمها كلّ الجزائر في غضون سنة. الأهمّ هنا هو أنّ فرنسا كانت الطرف الأكثر حرصا على مناقشة المسألة الجزائريّة وهذا ما يثبت صعوبة وتعقّد مسألة تمكّنها من الجزائر سواء بسبب ظروف فرنسيّة داخليّة أو أوروبيّة أو اشتداد معارضة السكّان المحليين الجزائريين للوجود العسكري الفرنسي.

تقابل، قبل هذا الاجتماع بيوم واحد (٢٦ جمادى الثانية ١٢٤٦)، أحد أعوان الدولة الفرنسيّة بحسونة ورديان باشا في الجزائر، حاول فيها الطرف الفرنسي إبراز العلاقات التاريخيّة المتينة بين تونس وفرنسا حيث أنّ "دولة الفرنسيس من قديم الزمان لها محبّة وافرة في جانب دولة تونس"، وهدف الأساسي للحاكم العسكري بالجزائر أم تثق فيه السلطة التونسيّة وتصدّق كل ما يقوله، مثلما أنّ فرنسا تصدّق كل أقوال وأفعال مبعوثي الباي. يريد الحاكم العسكري أن يثبته صدقه في نيّته تسلين قسنطينة وجميع عملها إلى الإيالة التونسيّة من غير أن يضع أحد ينوبه في كلّ حصونها وموانئها سوى "رجل واحد" ينوب عنه في الرسائل التي تصل أو تُرسل إلى فرنسا، وهذا أساسا طلب تونسيّ في عدم تدخّل العساكر الفرنسيين مستقبلا في شأن قسنطينة. كما أعرب الحاكم العسكري عن امكانيّة تخفيض آخر في قدر اللزمة بعد التخفيض الأوّل المقدّر بمائتي ألف فرنك. أعاد مرّة أخرى المبعوث الفرنسي التذكير برغبة فرنسا مستقبلا تسليم كل الجزائر إلى الإيالة التونسيّة، وما تسليم قسنطينة وعملها لها إلا مرحلة أولى، فقد ورد في الوثيقة: "أنّ دولة الفرانسيس ما صنعت هذا الأمر مع دولة تونس ومكّنتها بقسنطينه وعمالتها إلاّ مرادها أنها بعد مدّة تمكّنها بجميع عمالة الجزاير (كذا) وما احتوى عليه من البلدان بعد الاتّفاق بينهم على ما يتراضوا به"، وأكّد المبعوث هذه المرحلة لن تتجاوز العامين و"تكون جميع عمالة الجزاير في قبضة ملك تونس لما بينهم وبين دولة الفرانسيس (كذا) من المودّة". وقدّم المبعوث حججا على العلاقة المتميّزة بين فرنسا وتونس منها أنّه "منذ خمسين سنة لم تقع بين الدولتين وحشه لا في قليل ولا في كثير". ولهذا تسعى فرنسا في العامين التاليين إلى تمتين علاقتها بتونس "بحيث أنه ما يلحق دولة تونس شرّا أو خيرا إلاّ ما يلحق دولة فرانسه مثله، ويكونون يدا واحده لا خلاف بينهم"(١).

اشتملت هذه المقابلة على منابع تفسير أساسيّة لهذه النازلة. تبيّن لنا أوّلا ضعف موقع فرنسا أمام الإيالة التونسيّة عكس ما توحي به ظواهر الأحداث. توجّست فرنسا من إمكانية فشل مشروع احتلال الجزائر، ولهذا بدأت تفكّر في امكانيّة تسليم الجزائر لتونس مع عقد علاقات ولاء متينة مع الإيالة، أي حاكم بالنيابة والوكالة. تتجنّب أولا المواجهة المباشرة مع السكّان المحلّيين وامكانيّة خسائر بشريّة وماديّة كبيرة، وثانيا تستغلّ التقارب الحضاري (الديني، اللغوي، القبلي،

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ٣٢

الجغرافي...) بين تونس والجزائر من أجل لا ضمان السيطرة على الجزائر فقط، بل إضافة تونس إلى مدار الهيمنة بالاتّفاقيّات لا بالحيازة العسكريّة مع ضمان عائد ماديّ سنويّ مربح. انتبهت الإيالة التونسيّة لمُجمل هذه الفخاخ ولهذا رفضت أوّلا الاتفاق حول السلع المصدّرة وسياسة الموانئ وطبيعة تسييرها، وأعربت ثانيا عن ربتها في تخفيض اللزمة المُراد دفعها لفرنسا.

تدخّل حسين باي مباشرة في هذه النازلة، فقد أرسل رسالة إلى الحاكم العسكري للجزائر بتاريخ ٢١ محرّم ١٢٤٧ (١٣ ديسمبر ١٨٣٠) ضمّنها عبارات ودّ وتقرّب واضحة مثل "حبيبنا" و"صديقنا". مثّلت هذه الرسالة ردّا على مكتوب سابق تلقّاه الباي من الحاكم العسكري بخصوص حيازة تونس لوهران وقسنطينة. بيّن الباي في هذه الرسالة الأضرار التي يمكن أن تحلق بتونس من جرّاء الاتفاق السابق عن إلحاق قسنطينة ووهران بالإيالة، وألمح الباي بذكاء إلى أنّ وضعيّة فرنسا لا تقلّ حرجا عن وضعيّة الإيالة عند قوله "نحن ودولة فرانسه حال واحده حاجتنا حاجتها"، ولهذا لا معنى لفرض الأمر الواقع بالنسبة لفرنسا وعندها "أنتم تقضي (كذا) حاجتكم عندنا على وفق ما تشتهون ومثل ما تحبّون على غير زيادة". وأعاد الباي مرّة أخرى في آخر الرسالة أنّ الشروط المقترحة في المعاهدتين لا ترضيان الجانب التونسيّ حيث أنّ "الشروط التي أرسلتم وقابلناها بالشروط التي بيننا أوّلا فوجدنا بينهما خلاف كبير"، ولهذا هدّد الباي بدون مواربة بإمكانيّة تخلّيه على مشروع حيازة قسنطينة ووهران، عبر قوله في آخر الرسالة وهذه نقطة موحية: "اطلعنا عليه رسولكم الذي أتانا بالشروط فرفعنا أيدينا على قسنطينه ووهران"(١). أي بصيغة أخرى، هدّد الباي هنا بإمكانيّة ترك فرنسا وحدها في صراعها على السيطرة على الجزائر.

ازداد توجّس السلطة التونسيّة من خطر المغامرة الجزائريّة بعدما وصل مبعوث الباي خير الدين آغة إلى وهران. لاحظ خير الدين أوّلا قلّة العساكر بوهران وعددهم غير كاف بالمرّة لفرض الأمن وبسط السيطرة خاصّة مع إمكانيّة تمرّد الأهالي ضدّ الوجود التونسي نفسه فما بالك لو عُلم التحالف مع الفرنسيّين. كما اشتمل هذا الوجود العسكري السابق لوصول الفرنسيين على مشاكل أخرى معقّدة أهمّها الرواتب التي يأخذونها وخاصّة عدم ضمان ولاءهم للسلطة التونسيّة المستحدثة وهذا ما عبّر عنه خير الدّين بقوله: "هؤلاء الناس لا أمان لهم". وقد بيّن خير الدّين وجود عائق آخر مهمّ وهو افتقاد السلطة التونسيّة لعساكر ورجال موالين لها تماما خاصّة مع بداية اشتداد "الفتن" في بلدان عديدة قريبة من وهران وقسنطينة كتلمسان. كما أبرز خير الدّين، في تحليل دقيق لطبيعة شبكات العلاقات والقوّة والنفوذ في الجزائر حينها، عقبة أخرى

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ٦٤

خطيرة وهي تحالف العساكر الباقين من الحكم العثماني مع "البلديّة" و"العربان" ضدّ الوجود التونسي والفرنسي، وهذا أمر مخيف توجّس منه مبعوث الباي بشدّة وخوف غير خافٍ في الرسالة. ولهذا قرّر خير الدّين أنّ الحلّ في تكثير الجنود والأموال فمثل "مثل هذا الوطن وفتح البلدان لا يمكن إلاّ بالعساكر الكثيره والأموال الغزيرة"، والضعيف دائما تحت رحمة فتنة "القويّ". كما تعمّق خير الدين في التحليل مبيّنا أنّه لا يمكن له الآن جمع الضرائب لأنّ النّاس "فارّه (هاربة)" ولم يجد من يطالبه بذلك، وبالتالي لن يستطيع تمويل أي حملة عسكريّة ولا يملك مالا للجنود. ولا يمكن له أن يطلب شيئا من النّاس إلاّ بعد استقرارهم ورجوعهم لمساكنهم، وذلك بتوفّر "العساكر الكثيره (كذا) والأموال الغزيره (كذا)"، والدولة التونسيّة الآن في الجزائر ليس لها أيّ مدخول إلا من الجمارك، وغير ذلك "لا تضمن درهم واحد". كما أنّه لا يمكن للجمارك أن توفّر المطلوب منها إلا في حضور الأمن واستقرار النّاس وتطوّر النشاط التجاري[1].

بيّن خير الدّين في رسالة أخرى له إلى الباي خلال نفس اليوم أنّ الدولة التونسيّة ورثت عن السلطة العثمانيّة المُزاحة في الجزائر ٤٥٦ عسكري بوهران، يأخذ كل واحد منهم ثلاثة ريالات كلّ شهر، وأضافت لها السلطة التونسيّة المستحدثة ريالا آخرا ليُصبح المجموع أربعة ريالات، سعيا لكسب ولاءهم ومنعهم من التحالف مع البلدية والعربان[2]. كما أوصت السلطة التونسية نائبها بأن يعطي لكل عسكري خمسين ريالا كلّ ستة أشهر وهذه العادة كانت سارية من قبل باشا الجزائر قبل الوصول الفرنسي للجزائر. كما أخذ كل عسكري في شهر رمضان أربعة ريالات، ويسلّم كل عسكري يوميّا الخبز والقمح والسمن والزّيت[3].

ورغم ذلك وقعت أزمة بين مبعوث الباي وهؤلاء العساكر، حيث طالبوا بعد شهر رمضان بمنحهم خمسين ريالا لكل واحد منهم، وهذا ما تمّ رفضه. وقع تمرّد جماعي بعد هذا القرار، وغادروا جميعا المحلّة.

تُثبت هذه الأزمة صحّة توقّعات خير الدّين السالفة الذّكر. وقع الوجود التونسي في الجزائر بين ثلاثة منابع نفوذ محليّة وهم الجند الموروث من الوجود العثماني، العربان، والبلديّة. وهذا الأمر الذي توجّست منه فرنسا واضطرّها لإقامة تحالف مع الإيالة التونسيّة سعيا منها لتوفير توازنات محليّة سواء قبليّة أو دينيّة أو عسكريّة. وما التمرّد الذي أقدم عليه العساكر الأتراك إلاّ دليل

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢ (١٠ ذي القعدة ١٢٤٦/ ٢٢ أفريل ١٨٣١)

(٢) لفهم أكثر للنظام المالي الجزائري قبل سنة ١٨٣٠ أنظر: ناصر الدّين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (١٨٠٠- ١٨٣٠)**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩، ص.٢٢٥-٢٥٢

(٣) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٥٤ (٣ رمضان ١٢٤٦/ ١٥ فيفري ١٨٣١)

على وعيهم بهشاشة الوجود التونسي بوهران عسكريّا وماديّا والبعد الجغرافي للإيالة عن المدينة. ولم يتراجع الجنود عن تمرّدهم إلا بعد تهديد خير الدّين لهم وهدفه الأساسيّ الغير معلن هو منعهم من التحالف مع السكان المحليين، كتب في الرسالة: " أرسلنا لافتكاك سلاحهم...وخاطبناهم بأنّ البحر ليس لهم قدره (كذا) على التوجّه فيه، والبرّ فإنّ العربان يقتلونهم قتلا شنيعا. فلما تحقّق عندهم خطابنا رجعوا على بعضهم بعضنا"(١).

تحقّقت بعد شهر من هذا التمرّد كل مخاوف خير الدّين وهذا ما يثبت قدرته الاستشرافيّة وتمكّنه من قراءة الأحداث. أعاد الجنود الأتراك تمرّدهم ولكنّهم تفادوا خطأهم في التمرّد الأوّل حيث بحثوا عن حلفاء محلّيين وتمكّنوا من التواصل مع العربان. حرّر خير الدّين: "وفي شهر التاريخ صدر منهم أيضا ما صدر في الشهر الذي قبله مع زيادة أنّهم متكلّمين مع العربان بأن يوصلوهم إلى تلمسان". لم يخفي خير الدّين خوفه وغيضه من ذلك إلى درجة أنّه أراد أن يقصفهم بالمدافع خاصّة بعد معرفته بالمكان الذي اجتمعوا فيه مع العربان واتّفقوا على إقامة تحالفهم، حيث "وقع منّا غيظ كبير إلى أن أردنا تسييب المدافع على القهوه (المقهى) المجتمعين بها". ولكنّهم أيضا تراجعوا بدون مواجهة مباشرة مع خير الدّين(٢).

واصل خير الدين في رسالته تحليل طبيعة النفوذ الذي وجده في وهران حيث قال أنها ممتلئة بالفرنسيّين، وهذا الأمر لم يُتّفق عليه مع الحاكم العسكري للجزائر، وساهم هذا العامل في تعطيل مفاوضات خير الدّين مع العربان في محاولة استمالتهم، فكل من يزور منهم وهران ويُشاهد الفرنسيّين يغادرها بدون رجعة، فالعربان "الذي يأتون الذين يأتون بقصد الاطّلاع على الأحوال ويأخذون منّا الحوايج فلا عاد يرجع منهم أحد". واشتدّ خوف خير الدّين مع عدم ثقته بالسكّان المحليين وبالجنود الأتراك "لأنّهم أناس ظاهرهم شيء وباطنهم شيء". وأصبح واضحا خلال هذه الفترة تحالف العساكر مع العربان والبلديّة خاصة في بلدان كتلسمان ومستغانم وأمّ عسكر. والعامل الذي أثّر أكثر في هشاشة الوجود التونسي بالجزائر هو كثرة الحروب بين السكان المحليين والفرنسيين، أو بين السكان المحليين والوجود التونسي، أو بين البلديّة والعساكر والعربان في ظلّ خيارين اثنين إمّا تحالفهم مع بعضهم ضد فرنسا وتونس أو إقامة تحالف مع الوجود التونسي والفرنسي. وهذه "الفتن" والحروب قوّت شوكة التحالف الثلاثي (العربان، العساكر، البلديّة) بسبب تمكّنهم من جغرافيّة بلدهم أو قدرتهم على التعبئة وضمان شبكات الولاء أو تهديد كل محلّي

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢

يفكّر في التحالف مع التونسيين أو الفرنسيين. هذا ما عبّر عنه بوضوح خير الدّين بقوله: "والناس أكلت بعضها بعضا ولا وجدت رجالا بما نعارضوا هذه الفتن. ومثل هذا الوطن ينبغي له العساكر الكثيره والأموال الغزيره (كذا)". إذا ترسّخ الأزمات والفتن مكانة نفوذ الفاعلين المحليين على حساب الوجود التونسي المستحدث خاصّة مع إشاعة خبر تحالف الإيالة مع الفرنسيّين.

سعى خير الدّين إلى تلافي بعض نقاط ضعف الوجود التونسي بمهران عبر التحالف مع بعض الفاعلين المتنفّذين المحليين مثل القايد محمد قرطاقي الذي وصفه بأنه "رجل كبير وعارف بجميع الأحوال وتكرّرت على يده الأمور"، ولكن هذه المساعي غير كافية خاصّة مع بروز فاعل اجتماعيّ مؤثّر رسّخ أكثر ضعف الوجود التونسي ألا هو "شريف" وهران الذي غادرها هاربا محتجّا على الوجود التونسي بالمدينة، ويختفي وراء هذا الوجود التأثير الفرنسي(١).

نستنتج استنادا إلى تقرير خير الدّين الأخير وجود أربعة فاعلين اجتماعيّين مؤثّرين بوهران وهم العربان، العساكر الأتراك، البلديّة، والشريف. وجد ممثّل الباي نفسه في قلب الرّحى في ظلّ عدم وصول التمويل والعدّة الحربيّة الكافية.

تفاعلت السلطة الفرنسيّة مع توجّس تونس من امكانيّة فشلها في الجزائر، ولهذا أخبر قنصل فرنسا بتونس في رسالة له إلى الباي أن ملك فرنسا منفتح على امكانيّة "ترتيب اتّفاق آخر مؤسّس على أساس أنسب: يحفظ حقوق فرنسا وتونس ويحمي العلاقات الثنائيّة بين الدولتين الموجودة "من سنين عديده (كذا)"(٢).

قدّمت السلطة التونسيّة رأيها بخصوص تعديل الاتّفاق المخصّص للتجارة الموازي لاتّفاق إلحاق قسنطينة ووهران بتونس. تضمّن الفصل الأوّل شرطا تونسيّا يفيد أنّ الإيالة تبيع الزيت حصرا لفرنسا في حالة قدّمت سعرا مساويا لما قدّمه غيرها من الدول الأخرى، في هذه الحالة فقط تتمتّع بأولويّة الشراء، أي "نقدّمه على غيره إذا استوى سعره وسعر غيره". كما بيّن الفصل الثاني أنّ لفرنسا الحقّ في صيد المرجان في السواحل التونسيّة بعد إذن الباي وبعد الاتّفاق على شروط ماليّة أخرى مخصّصة لمسألة المرجان. وبيّن الاتّفاق استحواذ باي تونس على عوائد أهمّ السلع مثل الزيت والجلد والسمع والصّوف والشّحم المُنتجة في جميع عمل وهران وقسنطينة و"كذلك إذا ازدادت لسيّدنا عمالة أخرى من دولة الفرنسيس". وتتمتّع فرنسا بأسبقيّة شراء القمح والشعير والفول المُنتج في وهران وقسنطينة وفي أيّ عامل أَضيف مستقبلا إلى سلطة باي تونس، في حالة تقدير سعر واحد من المشترين،

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢، وثيقة ٧ (٩ ذي القعدة ١٢٤٦/ ٢١ أفريل ١٨٣١)

ولفرنسا الحقّ في شراء ٥٠٠ قفيز سنويّا من سكّان الجزائر وإخراجها من البلاد بدون المرور على الجمارك. كما أعطت الدولة التونسيّة امتيازا لفرنسا بأنّ تموّل حصرا نائب الباي بقسنطينة ووهران وجيشه بالثياب والغذاء، وألاّ يدفع شيئا في الجمارك على هذه المجلوبات والسلع(١).

اتّفقت فرنسا وتونس على إلحاق استحواذ باي تونس على وهران بنفس شروط قسنطينة مع التأكيد على شرط عدم تأدية شرط من المال إلى خزينة فرنسا بالجزائر إلاّ بعد الاستيلاء الكامل على كلّ العمل.، وبيّن المفاوض الفرنسي أنّ فرنسا تبتغي تسليم قسنطينة ووهران للإيالة "قطع لفّ"، أي جملة واحدة وباتّفاق واحد وبدون تعطيل أو تطويل في النازلة. قرّر الباي حينها أن يوجّه نائبه إلى الجزائر صحبة ٢٠٠ عسكري تونسي ليتسلّم البلدان من فرنسا، وبعد التسليم يُكمل إرسال ألفي عسكري آخر "حامية له"(٢).

أرسل الباي، بعد يوم واحد من الاتّفاق على هذه التفاصيل المهمّة، مكتوبا إلى الحاكم العسكري بالجزائر يؤكّد له فيه قبوله تسلّم وهران مع تعيين أحمد باي حاكما بها نائبا عنه. حافظ الباي على نفس هواجسه الأمنيّة السابقة قائلا أنّه لن يدفع شيئا لفرنسا إلاّ بعد أن يستحوذ تماما على قسنطينة ووهران و"أن تطيب جميع العمالة ويستقرّ حاكم وهران في محلّ ولايته استقرار استيلاء تام". كما أكّد له موافقته على استثناء مينائي وهران (المرسى الكبيرة وساقط قرقوري) من سيطرته وإبقاءهما لدى فرنسا. أعاد الباي ذكر مخطّط تسلّمه الحكم بوهران ذاكرا أنّه سوف يوجّه "ألف عسكر من بلادنا. ولما يخبرنا الخليفة باستقرار الأمر واستقامة الأحوال يتوجّه ابننا السيد أحمد باي الحاكم بألف عسكر أخرى لأن محبّتنا في الفرنسيس ثابتة الأركان وثيقة البنيان". كما أكّد الباي على نقطة مهمّة جدّا وهي أنّ الدولة التونسيّة لن تعطي لفرنسا شيئا من المال إلاّ بعد أن ترجع الإيالة جميع المصاريف التي صرفتها من أجل إتمام سيطرتها على وهران وقسنطينة "لأن من المعلوم أن هذا الأمر لا بدّ له من مصروف وهذا شيء معروف"(٣).

أبرز حسين باي هواجسه الأساسيّة تجاه حيازة قسنطينة ووهران في رسالة له إلى الحاكم العسكري للجزائر. أوّلا هاجس الشرعيّة خاصّة مه امكانيّة التجاءه للقوّة تجّاه السكّان المحليّين في حال وجود مقاومة وبالتالي الخوف من "سفك الدّماء وضياع الأموال، وإذا لم تفد السياسة نستعمل القوّة". تمثّل هذه النقطة تحديدا لبّ

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٣٧

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٤٥ (رسالة من حسين باي إلى شاكير صاحب الطابع. ١٩ رجب ١٢٤٦/ ٣ جانفي ١٨٣١)

(٣) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٤٦ (٢٠ رجب ١٢٤٦/ ٤ جانفي ١٨٣١)

رحى الأزمة، أوّلا اتّهمت الإيالة التونسيّة سلفا بالتعامل مع الأجنبي، ثانيا فإنّ استخدام القوّة وسفك الدّماء من طرف "المسلم" تجاه "المسلم" يؤكّد علاقة تونس بفرنسا وينزع أيّ شرعيّة دينيّة للإيالة في حيازة وهران وقسنطينة.

مرّ بعدها الباي إلى هاجسه الثاني وهو المادّي، حيث حرص مجدّدا على تذكير الطرف الفرنسي بأنّه لن يدفع شيئا من المال إلاّ بعد إتمام السيطرة التامّة على قسنطينة ووهران و"هذا أمر معلوم وإن لم يصرّح به فهو المفهوم"، وعلى فرنسا أن تصبر على مطالبها الماديّة لأنّ الحيازة تحتاج زمنا و"سياسة"، والتعجّل يُجبر الإيالة على استعمال القوّة وبالتالي إلحاق "مضرّة عظيمة" بالناس. وذكّر الباي بأنّه لا يريد أن يخالف سيرة أسلافه وديدنهم هو "الرفق بالنّاس". إذا يرتبط عضويّا الهاجس الأوّل الشرعي بالهاجس الثاني المادي، لا يمكن تحصيل الجباية من النّاس لإعطاء فرنسا حقّ اللزمة إلاّ بعد إتمام السيطرة على وهران والقسنطينة، ولن يحصل ذلك إلاّ بعد نيل رضا السكّان المحليين. وفي الحقيقة، هذا هو السبب الأساسي الذي أجبر أساسا فرنسا على التفكير في تسليم وهران وقسنطينة لتونس، وإمكانيّة تمكينها كل الجزائر مستقبلا. كما راجع الباي مرّة أخرى شرط فرنسا بخصوص صيد المرجان في طبرقة مذكّرا أن "الشرط ذُكر في غير محلّه لأن طبرقه من عمالة تونس ولا مدخل لقسنطينه في طبرقه بوجه من الوجوه والظاهر أن ذكره في هذا المحلّ غلط"(١).

أعاد شاكير صاحب الطابع التذكير بمخاوف الباي في رسالة له إلى الحاكم العسكري للجزائر مبيّنا أنّ الإيالة التونسيّة لن تدفع شيئا من المال لفرنسا إلا بعد إتمام السيطرة على وهران وقسنطينة، وهذا الأمر يحتاج لزمن طويل خاصّة وأنّ الباي لا يريد استعمال القوّة لكي لا يخسر شرعيّته الدينيّة وإنّما يبتغي توظيف "الجهد في تطويع العمالة بالسياسة وما تقتاضيه أخلاق الرياسة ولأنه أيّده الله لا يخالف سيرة أبايه (كذا) وأجداده"(٢).

لم يخفي باي تونس حرصه على جمع كل الضرائب المكنة من الجزائر والهدف تعويض كل ما صرفته تونس في حلتها على الجزائر من الضرائب المحصّلة من البلد وسكّانه، إلى جانب المبلغ المرتفع الذي تنتظره فرنسا من تونس كلّ ثلاثة أشهر(٣). اصطدم الوجود التونسي في الجزائر بواقع صعب حيث افتقد خير الدّين للعدد الكافي من العساكر والخيل. كما أنّ العساكر الأتراك المتخلّفين بوهران لا يمكن الاطمئنان لهم،

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٤٨

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٤٩ (٩ شعبان ١٢٤٦/ ٢٣ جانفي ١٨٣١)

(٣) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٦١ (٣ شوال ١٢٤٦/ ١٧ مارس ١٨٣١)

وبعبارة الوثيقة "العسكر الذي وجدناه بوهران فإن قلوبنا ليس تطمينّ (كذا) بهم". لم يخفي الفرنسيّون أنفسهم "القلق العظيم" الذي انتابهم بعد توجّس حسين باي من تواجده في الجزائر وامكانيّة انسحابه من مشروع إلحاق وهران وقسنطينة بتونس. وقد ازداد الضغط على تونس وفرنسا بعد أن رفض السكّان العودة إلى الديار لقولهم "لا ندخل لبد فيها النصارى"(١). وكل عربي يزور المدينة ويُشاهد الفرنسيّين فيها "لا يرجع منهم أحد" في المستقبل. ولم ينسى ممثّل الباي عدوّ آخر مهمّ وهو الشريف بتلمسان، ولهذا كان المخطّط هو جمع العروش والتوجّه إلى تلمسان ومستغانم وأمّ عسكر لأنّ هذه البلدان وقع فيها أكبر مخاوف باي تونس وهي تحالف العساكر والبلديّة والعربان(٢).

العالم وسنة ١٨٣٠: نشأة المدّ الثوري

مثّلت سنة ١٨٣٠ "نقطة انعطاف أساسيّة" في التاريخ العالمي على المستوى الصناعي والفني والإيديولوجي والهجرات البشرية. وقع بين السنوات ١٨٢٩ و١٨٣٤ مدّ ثوريّ شمل أوروبا (إيرلندا، بولندا، بلجيكا، إيطاليا...) وأمريكا الشماليّة(٣)، وأزمات في المشرق(٤)، فقد أعطت الموجة الثوريّة للعام ١٨٣٠ "الدليل القاطع على الهزيمة النكراء التي ألحقتها القوى البورجوازيّة بالأرستقراطيّة في أوروبا الغربيّة"(٥). وهذا ما طرحناه أساسا في هذا المقال عبر افتراض أنّ لحظة استعمار الجزائر (١٨٣٠) هي بداية إعلان عن المرحلة الثانية من الرأسمالية وهي انتقالها من الاحتكاريّة إلى مرحلة السّوق الحرّة.

هل كانت الدولة التونسيّة على حقّ حينما ساعدت فرنسا لاحتلالها الجزائر؟ هل طمعت في مغانم أو دفاعا عن نفسها من احتلال محتمل؟

مازال حدث احتلال الجزائر يثير فضول عدد كبير من الباحثين(٦). سعت فرنسا منذ احتلالها للجزائر (١٨٣٠) إلى تركيز نفوذها بتونس مع رفضها التّام لكل

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٦٢ (٢٨ شوال ١٢٤٦/ ١١ أفريل ١٨٣١)

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٦٢ (٢٨ شوال ١٢٤٦)

(3) Jacques Boudet, *Chronologie universelle*, Nouvelle édition, Bordas, Paris, 1992, p.1829-1831

(٤) عفاف لطفي السيّد مارسو، **مصر في عهد محمد علي**، ترجمة: عبد السميع عمر زين الدين، المركز القومي للترجمة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠١٦، ص.٤٧٧- ٥٠٨

(٥) إريك هوبزباوم، **عصر الثورة. أوروبا (١٧٨٩- ١٨٤٨)**، ترجمة: فايز الصيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨، ص.٢٢٢- ٢٢٤

(6) Jean Sévillia, *Les vérités cachées de la guerre d'Algérie*, Perrin, Paris, 2022. Chapitre: Le temps de la conquête 1830-1847, pp.25- 49

سلطة للباب العالي على الإيالة(١). وتبيّن لنا وثائق الأرشيف الوطني التونسي رغبة فرنسيّة عارمة في احتلال الإيالة التونسيّة مباشرة بعد احتلال الجزائر. نستشفّ في وثيقة مهمة بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٨٣٠ الهواجس الاستراتيجيّة التي أصبحت تلعبها الإيالة التونسيّة في شبكة المصالح الاستراتيجيّة الفرنسيّة حيث أنّ "دولة الانقليز ودولة الفرنسيس الآن في غاية المحبّة والمودّة ووقعت الرابطة بينهما بأنّهما متّفقين على رأي واحد وهذا كله صلاح للدولتين التونسيّة والفرنساوية"، أيّ تمّ التوافق بين الامبراطوريّتين على احتلال فرنسا للجزائر، وطُرحت فكرة إعطاء قسنطينة لباي تونس وهذه الخطّة هي "من الأسرار التي ينبغي...اخفاؤها"(٢). وطُرحت خطّة أخرى في ديسمبر ١٨٣٠ تتمثّل في أن "تكون جميع عمالة الجزاير في قبضة ملك تونس لما بينهم وبين دولة الفرانسيس من المودّة...منذ خمسين عاما لم تقع بين الدولتين وحشه...في مدّة هاذين العامين لا بدّ أن تقع بينهم وبين دولة الفرانسيس ربطا مُحكما بحيث أنه ما يلحق دولة تونس شرّا أو خيرا لما ما يلحق دولة الفرنسيس مثله ويكونون يدا واحدة لا خلاف بينهم"(٣). وبرزت رغبات احتلال فرنسا للبلاد التونسيّة عديد المرّات منذ سنة ١٨٣٠(٤). وهذا ما عبّر عنه الصدر الأعظم في رسالة له إلى أحمد باي بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٨٤٣ حيث بلغ مسامعه "وقوع بعض التخطّي هذه المرّة من جانب دولة فرنسا إلى تراب تونس، فعجبنا لأنّ هذه الحركة مغايرة للروابط والموالاة الموجودة بين الدولة المشار إليها والدولة العلية. وقد روي أيضا أن بعض سفن أسطول الدولة المشار إليها أتت لطرفكم"(٥). ووُجدت وثيقة مهمّة ضمن وثائق وكيل الباي بباريس بتاريخ ١٢ جويلية ١٨٦٥ مكتوبا فيها أنّ استقلال البلاد التونسيّة مهمّ لحماية الحدود ولأمن عمالة قسنطينة. وأشار التقرير إلى أن الباي حسين باي، منذ

(١) **مذكّرات خير الدّين باشا**، تحقيق وتعريب: محمد العربي السنوسي، المجمع التونسي للعلوم والآداب الفنون: بيت الحكمة، قرطاج، ٢٠٠٨، ص.٥٥- ٥٦

(٢) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١، و.٣٠- ٣١

(٣) السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١، و.٣٢ (١٢ ديسمبر ١٨٣٠)

(٤) ربط أحمد ابن أبي الضياف بطريقة قاطعة بين احتلال فرنسا للجزائر وتأسيس "الحكم المطلق" بتونس و"بلاد الإسلام" عموما حيث قال "لمّا أخذ الفرنسيس الجزائر انقلب الأمر وتدرّج إلى هذه الحالة الخارقة للعادة المنافية للمعقول والمنقول لأسباب عديدة أعظمها توسّع ملوك الإسلام في الحكم المطلق خصوصا في مغربنا توسّعا لم يُعهد مثله حتّى أن غالبهم لا يرى لقتل النفس حُرمة، بل قتل إنسان أهون عليه من موت حيوان من حيواناته". أنظر: أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق: أحمد الطويلي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٩، الجزء ٦، ص.٩٦

(٥) الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق: 220/ الملف: 350. و.٥

احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠، فهم طبيعة التوازنات وجاهر بدعمه لفرنسا حين احتلالها للجزائر. وبقيت فرنسا تنظر إلى تونس باعتبارها "مملكة مستقلّة بالتمام عن السلطان العثماني التي ليس له فيها إلا الرياسة الدينيّة لكونه أمير المؤمنين"(١).

شهدت أوروبا بداية من سنة ١٨٣٠ أزمات عديدة وهو ما سُمّي "عدوى الثورات"، مثل استقلال بلجيكا، انتفاضة بولندا ضدّ الهيمنة الروسيّة(٢). كما وقعت في باريس في ٢٧، ٢٨، و٢٩ جويلية ١٨٣٠ ممارسات احتجاجيّة عديدة، حيث تحوّلت باريس إلى مركز للثورات الأوروبيّة. استخدم المستشار النمساوي ماترنيخ Metternich (١٧٧٣-١٨٥٩) عبارة موحية حينها: "عندما تعطس باريس، تصاب أوروبا بنزلة برد"، خاصّة مع الثورات بسرعة إلى نابولي واسبانيا وهامبروغ ومدن نمساويّة مع اشتداد النقاشات حول أهمية البرلمان والدستور(٣). أبرزت الأزمة الباريسيّة توق الدولة القوميّة ذات السيادة وإعلان رهاناتها أمام نظم الحكم الامبراطوريّة، مع شحذ أسلحتها الأساسيّة وأهمّها الحدود المضبوطة وطبيعة النظام السياسي وطرق استقراره، بقد برز بقوّة في هذه الأزمة النقاش حول الليبراليّة والدول المطلقة والمشاعر الوطنيّة، بدون أن نخفي صراعا جيوبوليكيتي عابر للحدود سواء بين الأطلسي والمتوسّط، أو بين إنجلترا، فرنسا وروسيا(٤).

استفادت أوروبا بعد سنة ١٨١٥ اجتماعيّا وثقافيّا وخاصة صناعيّة واقتصاديّا من فترة السلم الطويلة التي أعقبت الحروب النابوليونيّة. تمكّنت في هذه الفترة وصولا إلى سنة ١٨٣٠ من ترسيخ دعائم راسخة للحكم مع تطوير نقاشات مهمّة حول مفاهيم سياسية أساسيّة مثل الحرية والإصلاح السياسي والقانوني، مع بروز واضح لطبقة جديدة سياسية واقتصاديّة(٥). وقد

---

(١) نفس المصدر. و.٦٨

(2) Emmanuel Fureix,1830, "l'Europe en révolution", Le *Monde diplomatique*, septembre 2014

(3) Renaud Meltz, Les Trois Glorieuses de 1830, une révolution européenne ?, *ENCYCLOPÉDIE D'HISTOIRE NUMÉRIQUE DE L'EUROPE*,25 nov. 2021 (https://ehne.fr/fr/encyclopedie/th%C3%A9matiques/l%E2%80%99europe-politique/l%E2%80%99europe-en-
=

=
r%C3%A9volutions/les-trois-glorieuses-de-1830-une-r%C3%A9volution-europ%C3%A9enne%C2%A0%C2%A0)

(4) Benoît Pellistrandi, « Libéralisme et nationalisme (1830-1848) », in: Les *relations internationales de 1800 à 1871*, Armand Colin, Paris, 2021, pp.75- 100

(5) Georges-Henri Soutou, « 1815-1851 : l'Europe entre Restauration et Révolution », In: *L'Europe de 1815 à nos jours*, Presses Universitaires de France, Paris, 2009, pp.29- 75

مهّدت ثورة ١٨٣٠ إلى الثورات الاجتماعيّة والاقتصادية سنة ١٨٤٨[١].

تصدّرت طبقة جديدة المشهد في باريس، يمكن تسميتها البرجوازيّة، مستفيدة من التحوّلات الاقتصادية والسياسيّة والتكنولوجيّة. راهنت هذه الطبقة على جهاز مفاهيمي أساسيّ يرتكز أساسا على الجمهوريّة والديمقراطيّة والحريّة (خاصة الصحفيّة)، ويتفرّع عن هذا مؤسّسات عديدة أهمّها الدستور والبرلمان، ولم تكن إنجلترا ببعيدة عن هذا النظام، بل كانت رائدة فيه[٢].

مثّلت الأطماع الاقتصادية والاستراتيجية لبّ رحى الاستعمار الفرنسي للجزائر، فقد تكاثرت منذ أوائل القرن ١٩ "القوى البحريّة للدول الأجنبيّة وكانت إنجلترا ترى أهمية تأمين حريّة التنقّل في البحر الأبيض المتوسّط لحماية مصالحها في نموّ التجارة بين الدول"[٣]. ولكن لا يخفي رغبة فرنسيّة مع حلول سنة ١٨٣٠ في تصدير أزمات داخليّة للنظام عبر "إشغال أفكار الشعب الفرنسي عن حصر حريّة الصحافة وحلّ مجلس النواب"، ولكن هذه المغامرة أسقطت ملكيّة شارل العاشر عوض ترسيخها[٤].

يقدّم لنا ابن أبي الضياف رأيه كشاهد ومشارك في الأحدث وفاعل اجتماعي وسياسيّ مؤثّر. دخلت فرنسا الجزائر في ٥ جويلية ١٨٣٠[٥]. وجّه الباي مباشرة حسونة المورالي وأمير الآلاي سليم في سفينة حربيّة إلى ميناء الجزائر ليتحقّق أولا من صحّة الخبر، وثانيا لإرجاع كلّ تونسيّ من الجزائر في حالة وجود خطر. ورجع المركب في ١٥ جويلية مؤكّدا خبر وصول فرنسا للجزائر[٦]. وصلت مراكب حربيّة فرنسيّة إلى الجزائر في ١٧ أوت ١٨٣٠ وفيها عدد من أعوان الدولة الفرنسيّين وكُلّف أحدهم بالتفاوض مع الدولة التونسيّة بخصوص إمكانيّة عقد شروط تجاريّة وسياسيّة أهمّها أن لا تحتكر الدولة التونسيّة تجارة سلعة من السّلع "بحيث تكون التجارة مباحة لكلّ أحد"، وأن يُعامل التاجر الفرنسي مُعاملة التاجر التونسيّ، والسّعي إلى إبطال القرصنة والتجارة بالعبيد[٧]. وقد اعترف الباي، بعد إتمام هذه الشروط، أنّه "مغصوب على إتمام ما أُريد منه بالقوّة على حين

---

(1) Mathilde Larrère, « Juillet 1830, la révolution cadette ? », in : *Révolutions: Quand les peuples font l'histoire*, Belin, Paris, 2013, pp.58- 67

(2) Marc Nouschi, « La vague des révolutions de 1830 », *Petit Atlas historique du 19e siècle*, Armand Colin, Paris, 2016, pp.68- 71

(٣) أرجمند كوران، **السياسة العثمانيّة تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (١٨٢٧– ١٨٤٧). يلي ذلك دراسة عن الحاج أحمد باي قسنطينة**، طبعة ثانية منقّحة، تونس، ١٩٧٤، ص.١٧.

(٤) أرجمند كوران، **السياسة العثمانيّة تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، مرجع مذكور، ص.٢٢.

(٥) أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان، مصدر مذكور**، الجزء الثالث، ص.٢١٧.

(٦) نفس المصدر، الجزء الثالث، ص.٢١٨.

(٧) نفس المصدر، الجزء الثالث، ص.٢١٩.

غفلة"[١]. وقد تزامن هذا الصراع التونسيّ/ الفرنسي بأزمة سياسيّة داخليّة فرنسيّة عميقة، حيث عُزل السلطان الفرنسي لرغبته في احتلال الجزائر، حسب رأي ابي الضياف، إلى أن جانب رغبته بأن يكون ملكه "مطلقا قهريّا"[٢].

يتبيّن لنا من خلال شهادة ابن أبي الضياف الهاجس الاقتصادي المركزي للمغامرة الفرنسيّة في الجزائر، وبداية انتقال المنظومة الرأسماليّة من الاقتصاد الحمائي إلى اقتصاد السّوق المفتوح، أي المرحلة الثانية من الرأسماليّة التي تقتضي توفّر ثلاثة أركان أساسيّة وهي: مكان موفّر للمواد الأوليّة، المركز المصنّع، وبلدان لتصدير الأشياء المصنّعة. ولهذا أشارت عدد من الدراسات إلى أن احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ يعدّ من علامات انتقال الاقتصاد العالمي من المركانتيّة إلى الاقتصاد الحرّ[٣].

يُكمل ابن أبي الضياف تقديم شهادته، فقد سافر مبعوث الباي مصطفى صاحب الطابع إلى الجزائر "لأسباب سياسيّة". استولت فرنسا على أهم الثغور البحريّة الجزائريّة وبقيت قسنطينة وأعرابها خارج السيطرة بقيادة الحاج أحمد باي. سعى باي تونس إلى "حقن دماء" المسلمين فأرسل لعلماء الجزائر وأعيانها مكتوبا تضمّن أن دخول فرنسا للجزائر خلّف "فوضى" بالبلد وجعل أهلها "عرضة لكلّ ذي حدّ"، ولا يمكن أن تبقى البلاد على هذه الحالة كلمتها مشتّتة ووجودها مهدّد مع خطر "استئصال أمّة مسلمة"، خاصة مع قوّة الجيش الفرنسي. ولهذا فإنّ "الواجب أن تنضمّوا إلينا وتتركوا القتال"[٤].

توجّست السلطة التونسيّة من خطر آخر وهو اتّحاد قبائل تونس مع قبائل الجزائر ضدّ الوجود الفرنسي، وبالتالي إفشال مسبّق لكل مشروع تونسي في وهران وقسنطينة، إلى جانب أنّ "اضطرام نار الحرب بوطن الجزائر ربّما يطير شرره إلى الوطن التونسي". دخلت تونس وفرنسا في مفاوضات في ظلّ هذه السياقات الدقيقة، اقترح الحاكم العسكري للجزائر على الباي أن يضمّ له وهران "على ضريبة معيّنة من المال". اغتنم الباي هذه الفرصة في وهران "حقنا لدماء المسلمين وحفظا لوطن من هرج الفساد وطمعا في فائدة". لم يُلاقي الباي موافقة كامل مجلسه بتعلّة بُعد وهران واختلاف طباع قبائلها عن قبائل تونس. وفي حالة أصرّ الباي على مغامرته فلا بدّ له من "شوكة عسكريّة وقوّة ماليّة للترهيب والترغيب"[٥]. أرسل الباي خير الدّين آغة نائبا عنه إلى الجزائر في ١٩ جانفي ١٣٨١، وقد

---

(١) نفس المصدر، الجزء الثالث، ص.٢١٩

(٢) نفس المصدر، الجزء الثالث، ص.٢١٩

(3) David Todd, « Retour sur l'expédition d'Alger : les faux-semblants d'un tournant colonialiste français » , *Monde(s)* 2016/2 (N° 10), pp.205-222, p.207

(٤) ابن أبي الضياف، مصدر مذكور، الجزء الثالث، ص.٢٢٥- ٢٢٦

(٥) نفس المصدر، الجزء الثالث، ص.٢٢٧- ٢٢٨

تفاجئ خير الدّين بأنّ أعراب الجزائر استحلّوا دمه، ورجع "صفر اليدين" إلى تونس في شهر أكتوبر ١٨٣١[١].

"بوقيعة (احتلال) الجزائر تحيّرت البلدان"[٢]، وتوجّست الدولة العثمانيّة من تحالف تونسي/ فرنسي في الجزائر، وخرجت أخبار على رغبة محاربة الدولة العثمانيّة للبلاد التونسيّة بسبب "خروجها من الالتحام الإسلامي"[٣].سافر ابن أبي الضياف في أواسط ماي ١٨٣١ للقسطنطينية للدفاع عن الموقف التونسي في هذه النازلة المعقّدة وهي "نازلة دينيّة سياسيّة". وارتكز الموقف التونسي أساسا على حجّة "حقن دماء المسلمين"، وهو قرار "يدور على ارتكاب أخفّ الضررين" والضرورات تبيح المحظورات"، وقد اعترف السلطان العثماني بالموقف التونسي قائلا "أحسن الباي في صنعه"[٤].

تؤكّد الأحداث الواقعة بعد فشل مشروع إلحاق وهران وقسنطينة بالإيالة التونسيّة هوسا أساسيّا بالمصالح الاقتصاديّة، فقد تم تعويض فشل مشروع إلحاق وهران وقسنطينة بتونس بمحاولة إيجاد صيغة تفاهم بين فرنسا والأمير عبد القادر، ومعاهدة "ديميشال" (١٨٣٤) في إقليم وهران خير شاهد على ذلك. نصّ مثلا الفصل الرابع من المعاهدة على أن تكون "السّوق حرّة ولن يعارض أيّ من الطرفين فيها طريق الآخر"[٥]. كما أكّد معاهدة التّافنة (١٨٣٧) بين فرنسا والأمير عبد القادر بوهران الرأي المطروح في هذا المقال أنّ الأمير المذكور عوّض دورا تونسيّا لم تستطع الإيالة لأسباب معقّدة القيام به. فهذه الاتفاقيّة مشابهة تماما للاتفاقيّات التي عُرضت على الدولة التونسية عند التفاوض مع فرنسا على حيازة وهران وقسنطينة سواء على المستوى الأمني أو الجبائي أو التجاري[٦].

مثّل المدّ الثوري العالمي سنة ١٨٣٠ لنشأة أفكار أساسيّة سوف تحدّد مسار السياسات العالميّة وشبكات النفوذ والقوّة وصولا إلى آخر القرن ١٩. فقد نشأت طبقة عماليّة راسخة مع بداية الحديث عن النقابات العماليّة، واشتدّ النقاش على أهميّة الدستور والبرلمان، وأُعيد انتاج مخيّلة سياسيّة كاملة وطُرحت مصطلحات "الليبراليّة"، الديمقراطيّة، القوميّة للنقاش اليومي، وأُحيط هذا المعجم السياسيّ بمصالح اقتصاديّة معقّدة ناتجة عن وصول الرأسماليّة إلى مرحلة النّضج. احتاجت الدول الأوروبيّة النافذة، خاصة فرنسا وانجلترا، إلى منابع جديدة للمواد الأوليّة لتمويل

(١) نفس المصدر، الجزء الثالث، ص.٢٢٧- ٢٢٨

(٢) محمد بن سلامة، **العقد المنضّد في أخبار المشير الباشا أحمد**، تقديم وتحقيق: أحمد لطويلي، تونس، ٢٠٢٠، ص.١٦٣

(٣) ابن أبي الضياف، مصدر مذكور، الجزء الثالث، ص.٢٢٩

(٤) نفس المصدر، الجزء الثالث، ص.٢٣٠

(٥) شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر، مصدر مذكور**، ص.٣٠٠

(٦) شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، مصدر مذكور، ص.٣٠٢- ٣٠٤

المصانع المُنتجة، وأسواق حيويّة. تقابلت مصالح الطبقة البرجوازيّة التوّاقة إلى الخروج من توق "النّظام القديم" مع رأسماليّة مندفعة تروم التخلّص من الحدود الضيّقة للدولة. لم يعد النظام "الحمائي" يُلبّي حاجيات الرأسماليّة وأصبحت السُوق الحرّة هي المبتغى[١].

مهّدت هذه السياقات إلى طلبات أوروبيّة، خاصة انجليزيّة، تجاه الدول غير الأوروبيّة والغاية حُسن تطبيق نظريّة السوق الحرّة. من المهمّ للدول غير أوروبيّة أن تمنع التجارة بالعبيد (١٨٤٦ في تونس) لتمكين السكّان من مدخول قارّ عكس العبيد وبالتالي تمكّنهم المساهمة في الدورة الاقتصاديّة عبر شراء السلع الأوروبيّة أساسا. أيضا من المهمّ والحيوي السماح بتملّك الأجانب للأراضي (عهد الأمان في تونس) لحُسن استثمار المواد الأوليّة سواء من خلال العقّار (الأرض والزراعة) أو الثروات المنجميّة وغيرها. وعلى الدول غير الأوروبيّة أن تستثمر في الثقافة السياسيّة الجديدة (البرلمان/ المجلس الأكبر في تونس. الدستور. الحدّ من سلطة الحكّام...) لفتح الباب أمام الأوروبيّين للمناورة ومأسسة العلاقات مع الأجانب مع التقليص قدر الإمكان من نفوذ الطبقات الاجتماعيّة صاحبة النفوذ العريق في المجتمعات غير الأوروبيّة (الشيوخ، الشرفاء، الأولياء الصالحين، أعيان التجّار...) والتفاوض فقط مع السلطة الحاكمة.

(١) إيريك هوبزباوم، **عصر الثورة**، مرجع مذكور، ٥٤١-٥٦٠

الخاتمة

أسّس الوجود الفرنسي بالجزائر إلى بداية الإصلاحات في البلاد التونسيّة خاصة زمن أحمد باي، وقد ارتبطت هذه الإصلاحات بطبيعة الرهانات والتوتّرات في أوروبا وأمريكا، وأخذت ظاهرا زيّا مؤسساتيّا وباطنا مصالحا اقتصاديّة. أكّد هذه البحث فرضيّات سبق أن بينّاها في أعمال سابقة، وهي أنّ كل الأزمات التي عاشتها الإيالة التونسيّة خلال النصف الثاني من القرن ١٩ مرتبطة بمطالب أوروبيّة "إصلاحيّة" في الشكل، وتوق إلى الهيمنة في المضمون. دخلت الدولة التونسيّة في نقاش عميق حول جدوى تحرير العبيد، ثمّ حول أهمية كتابة العهد الأمان، ثمّ تأسيس المجالس وكتابة الدستور، وتخلّل ذلك حركات اجتماعيّة كثيرة وأزمات اجتماعيّة وصحيّة ومادية وسياسيّة[٢].

في الأخير، حاولت الدولة التونسيّة أن تتعامل مع الوجود الفرنسي في الجزائر بمنطق الدولة ودفع أكبر ضرر ممكن وجني ما يمكن جنيه من مصالح. لا يمكن لنا قراءة المشهد من زاوية "مساعدة" المستعمر أو الولاء للأجنبي، بل من منطلق سياسة الأمر الواقع.

(٢) محمد البشير رازقي، **إيالة وإمبراطوريتان: البلاد التونسية والصّراع على عهد الأمان (١٨٥٥- ١٨٧٠)**، دار كلمات للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٢١

المصادر والمراجع:

- أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق: أحمد الطويلي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٩، ٨ أجزاء
- أرجمند كوران، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (١٨٢٧- ١٨٤٧). يلي ذلك دراسة عن الحاج أحمد باي قسنطينة**، ترجمة: عبد الجليل التميمي، تونس، ١٩٧٤، ص.٧٨- ٨٥
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق: 220/ الملف: 350. و.٥
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق: ٣، ملف: ٤٢
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر ٢-٣، وثيقة ٦٢ (٢٨ شوال ١٢٤٦/ ١١ أفريل ١٨٣١)
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق ١، ملف ١١ مكرّر٢
- إريك هوبزباوم، **عصر الثورة. أوروبا (١٧٨٩- ١٨٤٨)**، ترجمة: فايز الصيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨.
- شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٧٤ ص.١٠
- عفاف لطفي السيّد مارسو، **مصر في عهد محمد علي**، ترجمة: عبد السميع عمر زين الدين، المركز القومي للترجمة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠١٦
- محمد البشير رازقي، **إيالة وإمبراطوريتان: البلاد التونسية والصّراع على عهد الأمان (١٨٥٥- ١٨٧٠)**، دار كلمات للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٢١
- محمد بن سلامة، **العقد المنضّد في أخبار المشير الباشا أحمد**، تقديم وتحقيق: أحمد لطويلي، تونس، ٢٠٢٠.
- **مذكّرات خير الدّين باشا**، تحقيق وتعريب: محمد العربي السنوسي، المجمع التونسي للعلوم والآداب الفنون: بيت الحكمة، قرطاج، ٢٠٠٨، ص.٥٥- ٥٦
- ناصر الدّين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (١٨٠٠- ١٨٣٠)**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩.
- Aimé Dupuy, Les rapports franco-tunisiens. Le bey et l'« affaire d'Alger », Le monde diplomatique.
- Benoît Pellistrandi, « Libéralisme et nationalisme (1830-1848) », in: Les *relations internationales de 1800 à 1871*, Armand Colin, Paris, 2021, pp.75- 100
- Colette Establet, *Être caïd dans l'Algérie*

- Mathilde Larrère, « Juillet 1830, la révolution cadette ? », in: *Révolutions: Quand les peuples font l'histoire*, Belin, Paris, 2013, pp.58- 67
- Mohamed-El Aziz Ben Achour, « Les accords de cession de Constantine et d'Oran au Bey de Tunis 1830: une chimère franco-tunisienne », *Leaders*,15.10.2016
- Pierre Bardin, *Algériens et tunisiens dans l'Empire ottoman de 1848 à 1914*, CNRS Éditions, Paris, 1980
- Renaud Meltz, Les Trois Glorieuses de 1830, une révolution européenne ?, *ENCYCLOPÉDIE D'HISTOIRE NUMÉRIQUE DE L'EUROPE*,25 nov. 2021 (https://ehne.fr/fr/encyclopedie/th%C3%A9matiques/l%E2%80%99europe-politique/l%E2%80%99europe-en-r%C3%A9volutions/les-trois-glorieuses-de-1830-une-r%C3%A9volution-europ%C3%A9enne%C2%A0%C2%A0)
- Sophie Bessis, *Histoire de la Tunisie: de Carthage à nos jours*, Tallandier, Paris, 2019
- https://www.leaders.com.tn/article/20763-les-accords-de-cession-de-constantine-et-d-oran-au-bey-de-tunis-1830-une-chimere-franco-tunisienne
- https://www.monde-diplomatique.fr/1955/05/DUPUY/21424#partage

Coloniale, CNRS Éditions, Collection: Sociétés arabes et musulmanes, Paris, 1991, p.25- 108
- David Todd, « Retour sur l'expédition d'Alger: les faux-semblants d'un tournant colonialiste français », *Monde(s)* 2016/2 (N° 10), pp.205-222, p.207
- Emmanuel Fureix,1830, "l'Europe en révolution", Le *Monde diplomatique,* septembre 2014
- Fatima Zohra Guechi, « La résistance d'Hadj Ahmed Bey, dernier bey de Constantine », *Histoire de l'Algérie à la période coloniale*, La Découverte, Paris, 2014, p.134- 137
- Georges-Henri Soutou, « 1815-1851: l'Europe entre Restauration et Révolution », In: *L'Europe de 1815 à nos jours*, Presses Universitaires de France, Paris, 2009, pp.29- 75
- Jacques Boudet, *Chronologie universelle*, Nouvelle édition, Bordas, Paris, 1992, p.1829-1831
- Jean Sévillia, *Les vérités cachées de la guerre d'Algérie*, Perrin, Paris, 2022. Chapitre: Le temps de la conquête 1830-1847, pp.25- 49
- Marc Nouschi, « La vague des révolutions de 1830 », *Petit Atlas historique du 19e siècle*, Armand Colin, Paris, 2016, pp.68- 71

الحركة العمالية
بمنطقة طنجة الدولية ما بين ١٩٢٦ - ١٩٥٦

Labor Movement in Tangier International Between 1926 and 1956

نبيل الطويهري

باحث في التاريخ الاقتصادي المغربي المعاصر، جامعة الحسن

الثاني، الدار البيضاء.

ملخص:

ترمي ورقتنا هذه إلى تسليط الضوء على وضعية العمال بمنطقة طنجة، والتي تحكمت في مسارها تحولات داخلية ودولية كان لها تأثير كبير في طبيعة وتنظيم العمل بالمدينة. فعلى الصعيد الداخلي وجدت شرائح واسعة من مجتمع طنجة نفسها في محنة لتأمين معاشها بفعل التحديث الصناعي. أما دوليا فقد فرض صعود التيارات الاشتراكية والشيوعية إلى السلطة في إسبانيا وروسيا على إدارة المنطقة الاستجابة لمطالب العمال في تحسين أوضاع الشغل. وعلى الرغم من تدخلات الإدارة الدولية، فقد عانت الفئات العمالية من سياسات تمييزية في الأجور، ومناصب الشغل، وتحصيل المكتسبات الاجتماعية، وهو ما قوى رغبتها في الدفاع عن حقوقها المهضومة. وفي محاولة منا لتفكيك الميكانيزمات المتحكمة في سيرورة نشأتها وتطورها على امتداد الفترة المدروسة، انطلقنا من تساؤلات جوهرية: كيف تطورت الحركة العمالية بمنطقة طنجة الدولية؟ وماهي ظروف عيشها، وكيف ناضلت من أجل تحسين أوضاعها؟

كلمات مفتاحية: طنجة الدولية. العمال. النقابات. مدونة الشغل. الأجور.

Abstract:

Our paper aims to shed light on the workers' situation in the Tangier Zone, which was controlled by Internal and International Transformations that influenced the nature and organization of work in the city. On the internal level, large segments of Tangier society found themselves in distress to secure their subsistence due to industrial modernization. At the international level, the rise of socialist and communist currents in power forced the administration of Tangier to respond to the demands of workers to improve working conditions. Despite international interventions, the labor force suffered from discriminatory policies in wages, job positions, and the acquisition of social benefits, strengthening their determination to defend their deprived rights. In an attempt to unravel the mechanisms that influenced its emergence and development over the studied period, we started with fundamental questions: How did the labor movement in the international Tangier region evolve? What were the living conditions, and how did it struggle to improve them?

Keywords: International Tangier. Labor Force. Syndicates. Labor Code. Wages.

مقدمة:

تجدر الإشارة إلى أن الكتابات التاريخية حول منطقة طنجة الدولية، لم تول المواضيع ذات الصلة باليد العاملة ما يكفي من الاهتمام مقارنة بما أنتج في المنطقة السلطانية، فلا وجود لدراسات معمقة باستثناء ما أشار إليه "أحمد بوجداد" حول "الفئات العمالية بطنجة (1926-1936)"، وبعض المعلومات المتناثرة في أعمدة الصحافة المحلية التي كانت تتابع عن كثب تطورات الوضع العمالي بالمنطقة الدولية، كما هو الحال بالنسبة لجريدتي "الشعب" و"منبر الشعب"، تنضاف إليها بعض الإحصائيات الرسمية الصادرة عن الإدارة الدولية والتي تفيد الباحث في التعرف على التطور العددي لليد العاملة وأشكال التشغيل. والحال، لا يسع الباحث سوى التساؤل عن وضعية الحركة العمالية بالمنطقة الدولية؟ وظروف عيشها، ونضالها من أجل تحسين أوضاعها؟

أولا: الفئات العمالية بمنطقة طنجة 1939-1926

بحكم طابعها الدولي كانت مدينة طنجة سباقة إلى الاحتكاك بالتجارب السياسية الدولية، والتي تجلت في صعود البلاشفة إلى الحكم في روسيا، وتسرب الأفكار الاشتراكية إلى مختلف الفئات الاجتماعية بعد وصول الاشتراكيين إلى الحكم بإسبانيا[١].

لقد شكلت هذه الأوضاع السياسية، فرصة سانحة استغلتها الجمعيات والتيارات الناطقة باسم العمال اليدويين بطنجة، للمطالبة بتحسين أوضاع العمال، ولأن تأثير السياق الدولي، كان يفرض نفسه على مدبري الشأن العام بمنطقة طنجة، فقد حرصت الإدارة على ضمان حق التجمعات المهنية للعمال الأجانب فقط، فيما ألزمت العمال المحليين بسلك مساطر معقدة[٢].

والملاحظ في طبيعة البروليتاريا الطنجية، هو تشكلها من خليط بشري متعدد الجنسيات، يحضر فيها الإسبان والمغاربة بشكل كبير، وبدرجة أقل الإيطاليون والبرتغاليون، ومن أبرز التنظيمات التي حصلت على الاعتراف الرسمي من طرف الإدارة الدولية هي جمعية عمال طنجة (A.O.T)[٣]، والتي تفرعت عنها جمعيات مهنية منها:

- جمعية نادلي المقاهي والطباخين (A.de Camareros y Cocineros)
- جمعية السائقين والميكانيكين (A.de Choferos y Mecanicos)
- جمعية الصباغين (A.de Pentores)
- جمعية النجارين (A.de Carpenteros)

وإذا كان تكوين هذه الجمعيات قد تميز بغياب العنصر المغربي الأهلي بموجب قانون يغلق الباب في

(١) أحمد، بوجداد، «حول الفئات العمالية بطنجة من خلال صحافة طنجة»، ضمن **ندوة طنجة في التاريخ المعاصر ١٨٠٠-١٩٥٦**، منشورات كلية الآداب الرباط، 1991، ص. 221.

(٢) نفسه، ص. 222.

(3) Asociación de Obreros de Tánger.

وجه المغاربة، فإنه لا يجب إغفال ما أشار إليه "روني كاليسو" حول غياب الوعي لدى اليد العاملة المغربية التي ظلت رغم انخراطها في الأوراش الصناعية الحضرية، مشدوهة إلى عالمها القروي(١). وخدمة لأهدافها، ونضالاتها اتخذت هذه الجمعيات من الصحافة المحلية وسيلة للاحتجاج والتعبير عن مطالبها، ومن أهم هذه الصحف نجد: (La Critica-La Verdad-La Cronica) والتي كانت تعتبر لسانا ناطقا باسم العمال، وكثيرا ما تحدثت عن الوضعية المزرية لهذه الفئة الاجتماعية، خاصة بعد الأزمة الاقتصادية التي ضربت المنطقة بداية الثلاثينيات(٢)، والتي لم تقتصر على الإسبان لوحدهم، بل اتسعت دائرتها لتشمل المهاجرين الوافدين من الريف، والذين باتوا يعرضون خدماتهم بأجور متدنية، وما زاد الوضع تعقيدا هو وصول ارتدادات الحرب الأهلية الإسبانية منتصف الثلاثينيات إلى المنطقة، فكانت عبئا ثقيلا تحملته ساكنة طنجة(٣).

وحاصل القول، عاش عمال طنجة خلال هذه الفترة صراعا مزدوجا، أولا في مواجهة الإدارة الدولية، وثانيا ضد أرباب العمل، بالنسبة للأولى فقد اعتبرها العمال أداة في يد الباطرونا بالنظر إلى تشكيلة المجلس التشريعي التي كانت تضم توليفة من أصحاب الشركات والأملاك العقارية، والذين وقفوا حجر عثرة أمام كل تشريع أو قرار يهدف إلى خدمة مصالح العمال، أما بالنسبة للطرف الثاني فقد كان الطرد وصفة سحرية لكل من سولت له نفسه تزعم حركة مطلبية لتحسين الأوضاع العمالية(٤)، خاصة في ظل **"الجيش الاحتياطي"** الذي يسمح بتعويض المطرودين، في مشهد لا ينظر إليه رب العمل إلا بشموخ أنف وارتفاع رأس. وفيما يلي نقدم نموذجا لبعض الإضرابات والاحتجاجات العمالية بمنطقة طنجة.

---

(1) René, Gallissot, **Le patronat européen au Maroc (1931-1942)**, 1er Ed, Centre Universitaire de la recherche scientifique, Rabat, 1964, p. 117.

(٢) توضيح هذه الأزمة نجده في **"جريدة السعادة"** التي تحدثت عن حالة طنجة بداية الثلاثينات بقولها: **"كانت – طنجة – تظن أنها ستفوز بمصيرها المذكور، ولكن لسوء حظها لم تحقق لها الأيام كل ما كانت تصبو إليه من آمال بعيدة المنال، بل أمست إثر ذلك في أزمات متوالية اقتصادية تجارية وصناعية وغيرها، حتى سئم كثير من أهلها ضيق العيش وضاقت بهم مناهج الحياة"**، «طنجة وحالتها الحاضرة»، **جريدة السعادة**، عدد 3571، بتاريخ 30 يوليوز 1930، ص.1.

(٣) للمزيد حول تداعيات الحرب على منطقة طنجة الدولية، ينظر : بوبكر، بوهادي، **المغرب والحرب الأهلية الإسبانية 1936-1939**، منشورات بيت الحكمة، تطوان، ط1، 2020، صص.504-507.

(٤) أحمد، بوجداد، م س، ص. 226.

جدول رقم (1):

الإضرابات والاحتجاجات العمالية بمنطقة طنجة

ما بين (1926-1932)

السنوات	الفئات العمالية	الشكل الاحتجاجي	النتائج
1926	عمال شركة الدخان	مسيرة احتجاجية للمطالبة بتحسين ظروف العمل ووضعيته، ومواجهة قرار طرد العمال.	تحقيق مكاسب على مستوى رفع عدد العمال من 115 إلى 128، والأجور من 36٪ إلى 38٪ حسب سعر البسيطة.
1926	عمال المطابع	احتجاج على تسريح العمال	إبرام اتفاق مشترك بين أرباب المطابع وعمالهم.
1930	السائقين والميكانيكين	الدعوة إلى مقاطعة الشركة الإيطالية المكلفة بتدبير قطاع سيارات الأجرة.	رفض الاعتراف بجمعية سائقي الأجرة، وتعويضهم بمغاربة مسلمين.

المصدر: أحمد، بوجداد، م س، ص.ص. 226-227.

وتفيد جميع القرائن والمعطيات المتعلقة بظروف المنطقة الدولية خلال هذه الفترة، بأن الوضع المعيشي للعمال كان معقدا نتيجة تكسير التوازن بين الموارد الطبيعية الشحيحة والزيادة الديمغرافية، علاوة على انتشار الجراد(١)، واحتضان طوابير من المشردين والبؤساء الوافدين من الريف، مع ما صاحب ذلك من كساد تجاري وارتفاع في أثمان المواد الأساسية، وانخفاض في قيمة البسيطة بفعل تداعيات الحرب الأهلية الإسبانية.

ثانيا: الوضعية العمالية بطنجة بعد الحرب العالمية الثانية

مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، عاشت منطقة طنجة على وقع رخاء اقتصادي ساهم في تطور عدد العمال، الذين وجدوا أنفسهم مطالبين بتنظيم أنفسهم في جمعيات مهنية، للدفاع عن مصالحهم، وفي سبيل التسريع من وثيرة العمل لإخراج النصوص التشريعية المؤطرة للشغل، ولأجل تفادي عودة الاحتجاجات العمالية، قررت لجنة المراقبة ابتداء من سنة 1949، إعداد مسودة قانونية تنظم العلاقة بين الأجير ورب العمل، لكنها اصطدمت بخصوصية الواقع العمالي بطنجة، والذي بطرح صعوبة في إيجاد توليفة قانونية تضمن حقوق الجميع(٢).

في ظل هذا الوضع، لجأت الإدارة الدولية إلى تعيين مستشار دولي خبير في الشؤون الاجتماعية، وهو البريطاني "ريتشارد كريفز"، والذي تولى مهمة إعداد مدونة قانونية للشغل بمنطقة طنجة، وقبل المضي قدما في عمله، قدم "كريفز" تقريرا مفصلا عن المشاكل والصعوبات التي تعترض تدبير الوضع العمالي بطنجة، وقد اختزلها في الآتي:

- في المجال السياسي: أكد على ما خلفته الحرية الاقتصادية المنصوص عليها بمؤتمر الجزيرة الخضراء 1906، من تداعيات وخيمية على الوضع الاقتصادي بالمنطقة الذي اختنق بالتدريج أمام منافسة شرسة للشركات الأجنبية التي استثمرت في قطاعات تتعدى السواعد، لتصل إلى الآلة والخبرة التقنية.

- في المجال الاقتصادي: أشار إلى عدم توفر منطقة طنجة على موارد إنتاجية كافية، وهذا ما يجعلها عرضة لخطر التقلبات الاقتصادية والأزمات الدولية، والتي يتولد عنها مزيد من البطالة، وانخفاض الأجور، والتي لم تكن تصل إلى الحد الأدنى الذي يضمن كرامة العيش.

---

(١) حل الجراد بالمنطقة الطنجية ضيفا ثقيلا وضرب بجيوشه معظم جهاتها ليفترس ما فيها من الكلأ والمزروعات، وسرعان ما تحركت القوة المخزنية تحت أصحاب الحقول والأراضي النازل بها عل مهاجمته وجمعه في الأكياس عسى أن ينقطع دابره ويستريح من فساده وعتوه الناس، أنظر: «داهية الجراد»، **جريدة السعادة**، عدد 3535، الخميس 1 ماي 1930، ص.3.

(2) Campredon, J.P, Gonzalez, Garcia, **Derecho Del Trabajo de la Zona De Tánger**, Ed, Internacionales, Tánger, 1954, p. XII.

- في المجال الاجتماعي: شكلت الزيادة السكانية الكثيفة ضغطا على سوق الشغل، ووضعية العمال الذين كانوا عرضة للتسريح أو الطرد، بفعل وجود جيش احتياطي من الوافدين الجدد، ينضاف إليها مشكل تعدد روافد العمال، والذي يفرض احترام العادات والتقاليد الخاصة بكل فئة على حدة[١].

1 إصدار مدونة الشغل بطنجة.

لقد أولت الإدارة الدولية اهتماما بالغا بمسألة التشريع العمالي بطنجة، والذي صدرت ترسانته القانونية بتاريخ ٩ ماي ١٩٥٠، وقد ضمت في بنودها ثمانية فصول، عالجت مجموعة من القضايا منها:

- شروط الاعتراف بالمنظمات المهنية.
- تحديد شركات التأمين المعترف بها في المنطقة.
- تقنين عمل القاصرين والأطفال والنساء.
- تحديد العطل الخاصة والعامة بمنطقة طنجة.
- التعويضات عن حوادث الشغل ومخاطر العمل[٢].

لقد سمح إحداث مكتب الشغل[٣]، بضبط العلاقة بين الباطرونا والشغيلة، وتفادي مثل تلك الاصطدامات العمالية التي عرفتها المنطقة سابقا، وأبرزها الأحداث التي وقعت بين أرباب المخابز والعمال سنة ١٩٤٦، والتي أدت إلى عرقلة العمل بقطاع حيوي، قبل أن يوقع الطرفان اتفاقا بموجبه تم تحديد أجور عمال المخابز، من طرف إدارة المنطقة بدعوى أن سعر الخبز ما دام يخضع لضريبة رسمية، فمدير المنطقة هو الذي له صلاحية تحديد الأجر الذي يتلقاه عمال المخابز[٤].

ومع استمرار الأزمات التي عاشتها المنطقة، والتي انعكست على واقع الشغل، اتجهت إدارة المنطقة إلى التسريع من وثيرة تنزيل المشروع على أرض الواقع، والذي كان الهدف منه هو إيجاد مخرج لمشاكل التشغيل التي تفاقمت بفعل تزايد نشاط الهجرة ولجوء المصانع إلى تهميش اليد العاملة المحلية.

ووفقا لما أشارت إليه "جريدة الشعب" فإن أولويات إحداث مكتب الشغل كانت تتجلى في أن: **"يكون قائما بحماية مصالح العمال بطنجة "**[٥]، والمثير أن هذا التوجه عارضه بعض أعضاء المجلس التشريعي، خاصة العضو "ابن دلاك" الذي وقف

---

(1) Campredon, J.P, Gonzalez, Garcia, , Op.cit, p. XIII.

(2) Ibid, p.1.

(٣) بموجب قانون 9 ماي 1950، كان مكتب الشغل تابعا للإدارة الدولية، ويشرف عليه نائب مدير المنطقة المكلف بمصلحة الصحة والحماية الاجتماعية، وقد ضم في تشكيلته: رئيس مصلحة الشغل، مفتش الشغل، مسؤول عن التشغيل، مساعدين تقنيين.

(4) Campredon, J.P, Gonzalez, Garcia, Derecho Del Trabajo de la Zona De Tánger, Op.cit, p. 61.

(٥) جلسة عامرة في المجلس التشريعي المصادقة على إنشاء "مكتب الشغل»، **جريدة منبر الشعب**، عدد 223، الأحد 30 أبريل 1950، ص. 2.

موقف المدافع عن الشركات بحيث رفض أن يعطى لموظفي هذا المكتب حق مراجعة دفاتر وأنظمة الشركات، أما العضو بالمجلس التشريعي أحمد الركينة فقد صرح قائلا: "**بأنه إذا رفض المجلس هذا المشروع فسيكون معارضا لكل ما هو إصلاح اجتماعي**"(١).

2 إنجازات الإدارة الدولية في ميدان التشغيل

مع بداية الخمسينيات، حاولت الإدارة الدولية تطبيق مجموعة من البرامج الاجتماعية التي تتلاءم مع مستجدات الوضع العام بمنطقة طنجة، كما سعت إلى احتواء مطالب العمال بإصدار قوانين تخص تحسين أوضاعهم، خاصة ما يتعلق منها بالأجور، وتحديد ساعات العمل، وتعويضات حوادث الشغل، وأيام العطل العامة والخاصة.

وقد رافق ذلك، تشييد مجموعة من دور السكن العمالي لصالح الأهالي المسلمين(٢)، بالإضافة إلى تكثيف حملات المراقبة الصحية(٣)، لأجل ضمان صحة العمال وتأمين السير العادي لعمل المصانع والأوراش. ومن بين أهم ما جادت به الإدارة الدولية في مجال التشغيل نجد:

أ - ترسيم العطل المعتمدة بمنطقة طنجة.

بناء على ما أقرته مدونة الشغل بطنجة، تم تحديد مجموع العطل المسموح بها لعمال المدينة، والتي توزعت بين عطل عامة يستفيد منها الجميع دون استثناء، وأخرى خاصة كانت تستفيد منها كل جالية على حسب أعيادها الوطنية والدينية.

- **العطل العامة**: وضمت أيام الأحد، 1 يناير، عيد الفصح الكاثوليكي (Lunes de Pascua)، نافيداد (Navidad)، عيد القداس (Todos los santos)، عيد الأضحى، يوم كيبور اليهودي(٤) (Yom Kippour).
- **العطل الخاصة**: استفادت منها اليد العاملة الأجنبية الممثلة بالمنطقة فقط، وجاءت على الشكل الآتي:

(١) «جلسة عامرة في المجلس التشريعي المصادقة على إنشاء "مكتب الشغل»، **جريدة منبر الشعب**، م س، ص. 2.

(٢) «اعتماد مبلغ خمسين مليون فرنك لتشييد منازل رخيصة لمسلمي طنجة»، **جريدة الشعب**، عدد 50، بتاريخ 6 شتنبر 1952، ص 2.

« (٣) بين عشية وضحاها، السل»، **جريدة الشعب**، عدد 266، السبت 20 يونيو 1953، ص.2.

(4) Campredon, J.P, Gonzalez, Garcia, Op.cit, p.78.

جدول رقم (2):

أيام العطل بالنسبة لليد العاملة بطنجة الدولية.

اليد العاملة الأجنبية	عدد أيام العطل
الإسبان	12
الإيطاليين	10
البرتغال	6
الأمريكيين	5
الفرنسيين	3

Source: Campredon, J.P, Gonzalez, Garcia, Op.cit, pp.78-80.

تؤكد المعطيات الدقيقة التي يوفرها قانون الشغل بطنجة، مدى حرص الإدارة على خدمة مصالح العمال الأجانب، الذين استفادوا من عطل عامة وخاصة، بحيث كانت كل جالية تتمتع بعطل مرتبطة بأعيادها الوطنية والدينية، أما المغاربة فلم يستفيدوا إلا من بعض العطل العامة، وعيد الأضحى الذي كان يمثل بالنسبة للإدارة فرصة لرفع مداخيل "الأسواق" و"الكورنة".

ب - الحق النقابي والجمعيات المهنية.

لقد كان تضييق الخناق على العمال من طرف الإدارة، والرغبة في البحث عن الوسائل الكفيلة بتوحيد الصفوف، دافعا للنضال من أجل انتزاع الحقوق، وتأسيس الجمعيات المهنية التي عرفت انخراطا واسعا للعمال الأجانب. واستنادا إلى تمت الإشارة إليه بمدونة الشغل الصادرة سنة 1951، عرفت منطقة طنجة تأسيس مجموعة من الجمعيات المهنية، من أبرزها:

- النقابة الدولية لأرباب المخابز.
- الجمعية المهنية لبائعي المشروبات.
- جمعية وكالات الشحن البحري.
- الجمعية المهنية للسائقين والميكانيكيين.
- جمعية أصحاب الفنادق.
- جمعية مقاولات الأشغال والبناء[١].

(1) Campredon, J.P, Gonzalez, Garcia, Op.cit, p.81.

لقد لعبت هذه الجمعيات دورا أساس في الدفاع عن حقوق المنخرطين بها، خصوصا فيما يتعلق بالتعويضات، والتأمين، وتحسين شروط العمل. والملاحظ أن التشريع العمالي بطنجة كان في صالح اليد العاملة الأوروبية عموما، ولم يخدم إلا عدد قليل من المغاربة المسلمين الذين كانوا حديثي العهد بالوعي النقابي، خاصة في ظل غياب مكتب الشغل الذي لم تر النور إلا في حدود سنة 1951.

ج - حوادث الشغل والتأمين

سعيا منها لوضع حد للمشاكل الحقيقية التي تواجهها اليد العاملة بطنجة، اهتمت الإدارة الدولية بحوادث الشغل، والتي استوعبت الجزء الأكبر من القوى العاملة المغربية، وفي هذا الصدد اتجهت إلى تأطير فتح الاوراش الصناعية، واستغلال مقالع الأحجار، ومراقبة عمليات البناء والأشغال العامة.

ومن بين الإجراءات التي اعتمدتها الإدارة فتح بحث دقيق بإشراف من مفتشية الشغل، والتي كان هدفها السهر على مدى احترام المؤسسات الصناعية لشروط السلامة المهنية، وبناء على نتائج البحث، يتم اتخاذ قرار الترخيص للمؤسسة المعنية من عدمه. واستنادا إلى ما أشار إليه "كامبردون"، كانت حوادث الشغل مرتفعة في صفوف الأهليين، وتعويضاتها هزيلة لا تراعي حجم الضرر الحاصل، وأحيانا يتحمل العامل مسؤولية الخطأ المهني إن ثبت أن الضرر الناجم عن الحادثة يعود إلى الثقة المفرطة، وسوء

التغذية، أو ضعف في التأهيل المهني[1]. أما بالنسبة للشركة المشغلة فتقع عليها المسؤولية في حالة انعدام شروط الوقاية، والفحوصات الطبية، وغياب المراقبة.

أما فيما يتعلق بالتأمين ضد حوادث الشغل، فقد أصدرت الإدارة الدولية لائحة تتضمن المؤسسات المعترف بها، ومنها:

- شركة كاليدونيان للتأمين
- الشركة المغربية العامة للتأمين
- اتحاد لافالنتينا
- زيوريخ أكسيدون
- لاكاطالانا

وفي حديثها عن علاقة هذه المؤسسات بالعمال، أشارت جريدة منبر الشعب إلى أنه في ظل غياب قانون للشغل بطنجة، "**وضعت المحكمة المختلطة مسطرة تطبق بنودها لتسوية الخلاف الذي ينشب بين ضحايا حوادث العمل وشركات التأمين**"[2]، وقد كانت هذه المسطرة تتلخص في أن شركة التأمين يجب عليها أن تدفع للعامل الذي يصاب في حادثة ما ثلاثة أرباع أجرته خلال المدة التي يقضيها مريضا، أما إذا تسببت الحادثة في عاهة مستديمة فيتحتم على الشركة أن تؤدي للعامل أجرة سنة كاملة. هذا الحق الوحيد الذي تمتع به العامل في طنجة، كثيرا ما كانت شركات التأمين ترغب في انتزاعه، فتعمد إلى: "**وضع العراقيل في طريقه لكيلا يحصل على المبلغ الذي يستحقه مدة مرضه، فيضطر إلى الالتجاء إلى المحكمة التي تتأخر في التنفيذ، والعامل المسكين ينتظر ليحصل في الأخير على مبلغ زهيد لا يسمن ولا يغني من جوع**"[3].

ولم تفت الجريدة التنبيه إلى الأساليب الاحتيالية التي أصبحت تلجأ إليها شركات التأمين بعدما ضاقت بكثرة التعويضات، حيث أصبحت تتهم العامل بأنه يتعمد التأخر بالشفاء، فتسوقه إلى قسم البوليس حيث يقضي أسابيع قبل أن يمر على المحكمة، وقد تكررت هذه الواقعة مرات عديدة، والنموذج هنا في: "**قضية العامل محمد بن محمد البقيوي الذي قدم إلى المحكمة التأديبية بعد أن قضى في السجن مدة أسبوعين وزيادة بنفس التهمة**"[4].

ثالثا: مسألة الأجور ومستوى عيش العمال.

غني عن البيان أن الدراسات حول الوضع

---

(1) Campredon, J.P, Gonzalez, Garcia, Op.cit, p.90.

(٢) طنجة بين العمال وشركات التأمين»، **جريدة منبر الشعب**، عدد 186، بتاريخ 16 مارس ١٩٥٠، ص. 2.

(٣) نفسه.

(٤) «طنجة بين العمال وشركات التأمين»، **جريدة منبر الشعب**، م س، ص. 2.

العمالي بمطقة طنجة، تميل إلى التعميم، وأقرب إلى الغموض، في تقدير عدد العمال، وذلك راجع بالأساس إلى غياب إحصائيات دقيقة. فحسب ما أشار إليه مكتب الشغل بداية الخمسينيات يمكن الحديث عن 35.000 عامل يشكلون ما بين ربع أو خمس الساكنة العامة التي بلغت 172.000 نسمة سنة 1952. وعلى الرغم مما كان يعترض هذا التعداد من هفوات، فإنه يوفر لنا بيانات مهمة في شأن الساكنة النشيطة بمنطقة طنجة، والتي توزعت على النحو الآتي:

جدول رقم (3):

توزيع مناصب الشغل حسب القطاعات المهنية بطنجة

ما بين 1952-1946

قطاع النشاط	مناصب الشغل
العمال	12.507
الإدارة العمومية	4.651
عاطلين عن عمل (بطالة)	3.000
تقديرات العمال دون إحصاء	15.000
المجموع	35.000

Source: **Administration International de la Zone de Tanger**, Statistiques de la Zone 1946 – 1952, vol I, Ed, française, année 1953, p.108.

وإذا أردنا تتبع خصائص التشكيلة المهنية بمنطقة طنجة، فلا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على مجموعة من الإحصائيات التي يوفرها مكتب الشغل، ولو أن الظروف المحيطة بها لم تكن تنم عن التوصل إلى نتائج يكمن الاطمئنان إليها.

أ - إحصاء العمال سنة 1951

شرع في هذا الإحصاء مع بداية الخمسينيات، والغرض الوحيد المقصود منه هو الاطلاع على حاجيات المنطقة، ومعرفة ما إذا كانت اليد العاملة كافية للاستجابة إلى متطلبات الانتعاش الصناعي الذي عرفته طنجة بعد الحرب العاملة الثانية، خاصة بعد إحداث الحي الصناعي مغوغة سنة 1951.

ووفقا لما أشار إليه مكتب الشغل، تمركزت بروليتاريا منطقة طنجة أساسا في الوحدات الصناعية وأشغال البناء التي ساهمت في رفع معدل التشغيل في صفوف الطنجيين، لاسيما الإسبان والمغاربة، والشكل الآتي يوضح توزيعها حسب طبيعة التأهيل المهني:

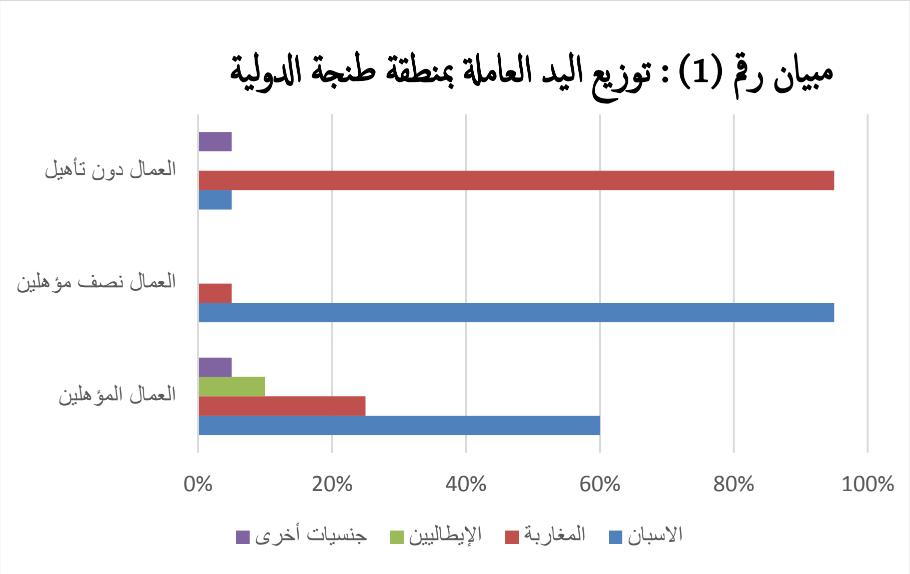

Source: Administration International de la Zone de Tanger, **Statistiques de la Zone 1946 – 1952,** Op.cit., pp.110-111.

نلحظ من خلال هذه البيانات، أن الإسبان كانوا يشكلون البروليتاريا الأجنبية الأكثر حضورا في المشهد العمالي بطنجة، خاصة فيما يتعلق بالعمال المؤهلين الذين كانت تصل نسبتهم إلى ٪60 من مجموع العمال بالمنطقة. متبوعين بالعمال المغاربة الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم من الفئة غير المؤهلة بنسبة ٪95. والجدير بالذكر هو الغياب شبه التام لباقي الجاليات، والتي لم يتعد حضورها ٪10، وتنتمي جلها لأطر المراقبة الساهرة على تدبير سوق الشغل بطنجة.

ب - مسألة الأجور

تفصح السجلات الإحصائية لسنة 1952، عن معلومات دقيقة في شأن الأجور المعتمدة في منطقة طنجة، والتي كانت تختلف من قطاع لآخر، وعموما يمكن تصنيفها إلى قسمين:

جدول رقم (4):

التشكيل المهني بطنجة الدولية ما بين 1946-1952.

- الإدارة وقطاع التجارة والخدمات.

التشكيل المهني	الأجر الشهري بالبسيطة	عدد العاملين بكل قطاع		
		الإدارة	الفنادق	التجارة
الموظفين	أكثر من 4000	136	20	38
العمال المؤهلين	ما بين 2000-4000	142	24	150
العمال نصف مؤهلين	ما بين 1000-2000	90	50	130
العمال غير مؤهلين	أقل من 1000	50	118	118

Source: Administration International de la Zone de Tanger, **Statistiques de la Zone 1946 – 1952,** Op.cit., p.109.

- قطاع الصناعة التحويلية وأشغال البناء

العمال	الأجرة اليومية بالبسيطة	
	أدنى أجر	أقصى أجر
العمال المؤهلين	51	101
العمال نصف مؤهلين	35	57
العمال غير مؤهلين	29	37

Source: Administration International de la Zone de Tanger, **Statistiques de la Zone 1946 – 1952,** Op.cit., p.111.

من خلال تحليل معطيات الجدولين أعلاه، يتضح لنا بأن أجور الموظفين كانت هي الأكثر ارتفاعا بمعدل 4000 بسيطة شهريا، وتصل إلى ثلاثة أضعاف ما كان يتقاضاه العامل غير المؤهل مثلا، والذي لم يكن يتجاوز أشهره الشهري 1000 بسيطة، على أساس أجر لا يتعد 30 بسيطة في اليوم(١). ويعد هذا التفاوت أحد العوامل المفسرة للمطالبة بتحسين الأجور، خاصة في ظل ارتفاع تكاليف المعيشة(٢).

ج - مستوى عيش العمال بمنطقة بطنجة.

أثارت هذه المسألة اهتمام الدارسين بالمنطقة السلطانية، وشكلت موضوع عدة أبحاث انطلقت منذ سنوات الثلاثينيات، والمثير هو غياب دراسات مماثلة في منطقة طنجة الدولية باستثناء بعض المعلومات المتفرقة في ثنايا المصنفات، والإحصائيات الرسمية، ومتابعات الصحافة المحلية. وتؤكد معظم الدراسات في هذا المجال على بؤس الحياة العمالية بطنجة، لاسيما العمال المغاربة الذين كانوا يتقاضون أجورا زهيدة، لا تتجاوز 30 بسيطة في اليوم، وهو أجر لم يكن يلبي الحاجيات من الغذاء والسكن، وتقدم لنا في هذا الشأن "جريدة منبر الشعب" كثيرا من التفاصيل حول

«(١) بلاغ عن الأجور التي تؤديها الإدارة الدولية»، **جريدة منبر الشعب**، عدد 187، الجمعة 17 مارس 1950، ص.2.

«(٢) طنجة تستغيث، فهل من مغيث»، **جريدة منبر الشعب**، عدد 40، بتاريخ 26 غشت 1949، ص.2.

وضعية عمال الميناء والذين كانوا يظلون طول النهار يشتغلون "**مقابل أجرة تتراوح بين 20 و30 بسيطة، وغني عن البيان أن هذه الأجرة لا تكفي الإنسان للعيش بمفرده، لاسيما إذا كانت له عائلة مكونة من عدة اشخاص**"(٣).

لقد ساهم الغلاء في تراجع القدرة الشرائية لمعظم العمال مغاربة واسبان، فالأسعار ما فتئت تعرف ارتفاعا مستمرا، في حين ظلت الأجور مجمدة وعرضة لتقلبات سعر الصرف، وهو ما كان يهدد استقرار وضعيتهم المعيشية، والحال أنه لا يمكن تفسير الغلاء بضعف الأجور فقط، بل كانت هناك أسباب أخرى دفعت باتجاه الغلاء مرتبطة بالأحداث الدولية "**الحرب الأسيوية الكورية**"(٤)، والتي استغلها التجار لاحتكار السلع والمضاربة في الأسواق، تنضاف إليها السياسة الجمركية التي نهجتها فرنسا وإسبانيا تجاه منطقة طنجة، والتي حدت كثيرا من حرية المبادلات التجارية، وفرضت قيودا على مسألة التموين(٥).

«50 (٣) بسيطة و8 ساعات في اليوم، والمعاملة الحسنة»، **جريدة منبر الشعب**، عدد 441، الأربعاء 14 فبراير 1951، ص.2.

(٤) «لا تستعجلوا الشر»، **جريدة منبر الشعب**، عدد 416، الاثنين 15 يناير 1951، ص. 1.

«(٥) طنجة تؤمل الخير وتنتظر الفرج»، **جريدة منبر الشعب**، العدد 182، بتاريخ 11 مارس 1950، ص.1.

د - عمال الميناء: أجر قليل ومعاناة يومية.

كانت الصحافة المحلية مرآة عاكسة لوضعية عمال الميناء (Dockers) بمدينة طنجة والذين عاشوا "مأساة" يومية، نلمسها من خلال ما أوردته "جريدة منبر الشعب"، وتفاعلت معه في أدق التفاصيل(١). ولتفسير واقعها المأزوم، خصصت جريدة "منبر الشعب" حيزا هاما من أعمدتها، للحديث عن عمال ميناء طنجة: **"وهم كبقية عمال المغرب، لا نقابات لهم ولا جمعيات، وحالتهم تزداد سوءا عن سوء بسبب غلاء المعيشة، وتحكم الأزمة الاقتصادية الخانقة، وتدهور العملة الاسبانية التي يقاضون بها أجورهم[....]فأنى اتجهت سمعت الشكوى والأنين، وأنى وليت وجهك طالعتك وجوه كئيبة حزينة لعمال عاطلين أو عمال بؤساء تستغل جهودهم اليومية بأتفه الأثمان فيبيتون منهوكي القوى جائعي البطون"**(٢).

وفي تتبعها لظروف العمل قدمت وصفا دقيقا ورد فيه: **"بمدخل الميناء تعقد "صفقة" من أعجب الصفقات"، هذا تاجر وردت عليه بضاعة يجب نقلها من هنا إلى هناك، فيأتي إليه شخص معروف، وبعد تشاور بينهما، يعمد الأخير إلى تقدير عدد العمال الذين يحتاجهم لنقل البضاعة، فيأذن لأحد معاونيه بتوزيع رقعة حديدية تسمى "التشابا"، ويكون عدد "التشابات" أقل بكثير من عدد المتطلعين إلى العمل الواقفين ببابه، ولكن هذه "التشابات الملعونة" لا تعطى إلا ليد مطمئنة إلى أنها ستصلها أما منظر الباقين فلا تسل عن حالهم"**(٣).

لقد سبق لروني كاليسو، أن تحدث عن ظروف تأطير اليد العاملة المغربية، والتي كانت بعيدة كل البعد عن الوضع العمالي بأوروبا، ويتدخل فيها وسيط يعرف باسم "الكابورال" أو "مقدم الميناء"، والذي يظل ينادي زملائه بالعمل، وهو في الحقيقة لا يفعل شيئا(٤). كما يتقاضى أجرا قد يصل إلى ضعف ما يتقاضاه العامل، أو أكثر بثلاث مرات(٥)، وقد أكدت "منبر الشعب" هذا المعطى بقولها: **"إذا انتهى العمل لا يمكن معرفة كم أخذ هذا العامل أو ذاك، لأن هذا سر إذا أفضى به أحد منهم اليوم، فستتخطاه رقعة "التشابا"، إلى الأبد، وعلى العامل الحريص على العمل أن يضم كفه على تلك "البركة"، التي يأخذها عن عمله الشاق، فلا ينظر إليها أو يعدها وعليه أن**

---

(١) في حديثها عن حقوق العمال بالميناء، أشارت جريدة الشعب إلى " أن إدارة الميناء كانت تخشى تحديد العمال بصفة رسمية، خشية منها أن يتحدوا ويطالبوا بحقوقهم المهضومة كالزيادة في الأجور الضئيلة، والتمتع بما يتمتع به جميع عمال العالم". «المعذبون في الميناء»، **جريدة الشعب**، عدد 42، 21 غشت 1952، ص. 2.

(٢) كيف تمثل "مأساة" العمال في ميناء طنجة كل يوم»، **جريدة منبر الشعب**، العدد 191، الأربعاء 22 مارس 1950، ص. 1.

(٣) «كيف تمثل "مأساة" العمال في ميناء طنجة كل يوم»، **جريدة منبر الشعب**، م س، ص. 1.

(٤) René, Gallissot, Op.cit, p. 28.

(٥) Ibidem.

يطأطئ رأسه ويتمتم طالبا من الله الخلف، "الله يخلف"، كأنه يقبل صدقة من محسنين"(١). وفي الختام وجهت الجريدة دعوة للمسؤولين عن تدبير ميناء طنجة، لبذل مجهودات لحل هذه المشاكل العويصة التي يعاني منها عمال الميناء، خاصة ما يتعلق منها بتلك الطرق العقيمة التي ينادون بها إلى العمل. ولم تكن هذه النازلة الوحيدة التي وقعت على رؤوس عمال الميناء، فالشركة صاحبة الامتياز، عوضا عن تنظيم أمر العمل بالميناء، اتجهت إلى الاستغناء عن العمال المغاربة "الرياس"، والذين أفنوا زهرة شبابهم في هذه الخدمة الشاقة، وتوظيف عدد من الأجانب لأسباب تقنية وفنية(٢). وبلغة تشي بكثير من الغبن الذي تعرضت له هذه الفئة من المغاربة، دافعت الجريدة عن "الرياس"، حيث أشارت إلى أن: **"القاطرات البحرية "الرموكات"، التي تستعمل لجر السفن الحاملة للبضائع كان يقودها منذ تأسيس الميناء رياس مغاربة قاموا بمهمتهم خير قيام خلال عشرات السنين قضوها كلها في خدمة ميناء طنجة. واليوم جاء الأميرال الفرنسي الجديد ليستبدل أولئك الرياس بعمال فرنسيين"**(٣).

كما استنكرت ضعف أجور اليد العاملة المغربية، بالمقارنة مع الفرنسيين، والذين أصبحوا يتقاضون ثلاثة أضعاف الأجرة التي كان يتقاضاها **"الرياس"**. والجدول التالي يبرز الفرق بينهما على مستوى الأجور.

---

(١) كيف تمثل "مأساة" العمال في ميناء طنجة كل يوم»، **جريدة منبر الشعب**، م س، ص. 1.

(٢) «في الميناء»، **جريدة الشعب**، عدد 35، 13 غشت 1952، ص. 2.

(٣) نفسه.

جدول رقم (5):

تفاوت الأجور بين عمال الميناء المغاربة والفرنسين (بالبسيطة الاسبانية)

الأجور	العامل المغربي	العامل الفرنسي
في الساعة	6	25
(في حدود 8 ساعات في اليوم)	42	200
الشهر	1260	6000

المصدر:

- «في الميناء»، **جريدة الشعب**، عدد 35، 13 غشت 1952م، ص. 2.

- A.D.N, Carton N° 409, Dossier E, Tanger, **Activité de l'Administration International, Travaux public, Port de Tanger.**

وفي تعليقها على البون الشاسع الموجود بين أجور المغاربة ونظرائهم الفرنسيين، لم تجد الجريدة حرجا من توجيه نقد لاذع للشركة، مسوغها في ذلك العنصرية المقيتة التي تتبناها، وتبين للملأ المزايا التي جاء بها الاستعمار للمغرب. وقد اتكأت الجريدة في البرهنة على صحة أطروحاتها، على غياب الضمانات الكفيلة بصون حقوق العمال، لاسيما ما يتعلق بحوادث الشغل، فالعامل الذي يصاب في حادثة شغل، تمتنع الشركة عن منحه التعويض الذي يستحقه، ويبقى يتردد على أقسام المحكمة ليحصل على مبلغ 275 بسيطة، وقد **"حرم طبعا من عمله"**(١). وعلى هذا الأساس طالبت جريدة "الشعب" باسم أهالي طنجة، من إدارة الشركة أن تضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار، وتعتمد على المثل القائل **"اللبيب بالإشارة يفهم"**، فهل استوعبت الشركة في سياستها هذه التوصيات؟

ولمواجهة ارتفاع تكاليف العيش بمدينة طنجة، وجه عمال المرسى رسالة إلى إدارة المنطقة، في شأن سوء المعاملة، وضعف الأجور، وطول ساعات العمل التي **"تبدأ من الساعة الثامنة صباحا إلى السادسة ليلا"**، ومن بين أبرز النقط التي تضمنتها الرسالة الاحتجاجية هي المطالبة بأجر يومي يصل إلى 50 بسيطة، مع تحديد ساعات العمل في ثماني ساعات، وتعويض قدره 10 بسيطات عن كل ساعة إضافية(٢).

في ظل هذا الوضع، اقترحت إدارة شركة الميناء على العمال 40 بسيطة في اليوم في حدود ثماني ساعات، و6 بسيطات لكل ساعة إضافية، لكنه لم يكن في مستوى تطلعات عمال الميناء الذين أصروا على تنفيذ مطالبهم بالنص.

والجدير بالذكر، أن هؤلاء العمال كما أشارت الصحف المحلية: **"كانوا لا يملكون نقابة تنظمهم وتدافع عن حقوقهم، وتضامنوا في الإضراب، مع أن جلهم كان لا يملك ما ينفقه خلال هذه الأيام ورغم ذلك لم يلتجئوا إلى العنف والقوة"**(٣).

وأمام فداحة الخسائر المالية التي تكبدتها شركة الميناء، تم التأكيد من طرف الشركة على تنفيذ مطالب العمال بصفة مؤقتة على أساس 40 بسيطة في اليوم، وعشر بسيطات لكل ساعة إضافية، مع تحديد ساعات العمل في ثماني ساعات، في انتظار وصول التعليمات من باريس والرباط.

«(١) المعذبون في الميناء»، **جريدة الشعب**، عدد 42، 21 غشت 1952، ص. 2.

(٢) A.D.N, Carton N°409, Rapport de monsieur Boisseson, ministre plénipotentiaire, Chargé du consulat général de France à Tanger à monsieur le ministre des Affaires Etrangères, **au sujet de Grève des Dockers**, le 2 déc 1955, p. 1.

(٣) «50 بسيطة و8 ساعات في اليوم، والمعاملة الحسنة»، **جريدة منبر الشعب**، عدد 441، الأربعاء 14 فبراير 1951، ص.2.

وأمام تماطل الإدارة الدولية وشركة الميناء في تنفيذ بنود الاتفاق، وجد عمال الميناء أنفسهم مضطرين للعودة مجددا إلى الإضراب سنة 1955، والذي حددت تفاصيله القنصلية العامة الفرنسية بطنجة من خلال رسالة وجهتها إلى سلطات الحماية الفرنسية مؤرخة في 2 دجنبر 1955، ورد فيها ما يلي: "**برزت احتجاجات شملت 300 عاملا بميناء طنجة، ناتجة عن تسريح عدد كبير من العمال بفعل تأثيرات الأزمة الاقتصادية الخانقة، وتراجع الأنشطة الملاحية، بالإضافة إلى تقليص العمل لأيام محدودة فقط، وقد انفجر الوضع عندما تملصت الشركة من أداء أجور العمال أيام العطل**"(١).

وفي ظل هذا الوضع، رفع العمال المغاربة بالميناء، ملفا مطلبيا إلى مكتب الشغل التابع للإدارة الدولية، كانت أهم نقاطه تتلخص فيما يلي:

- **تطبيق زيادة في الأجور بنسبة 270٪، من 370 فرنك إلى 1000 فرنك كأجر يومي.**
- **الحصول على ضمانات لتأدية الأجور كل 15 يوما "الكانزا".**
- **رفع عدد العمال المغاربة بالميناء**(٢).

وخوفا من تداعيات الإضراب المحتملة على القدرة الشرائية، نتيجة توقف تدفق السلع إلى السوق المحلية، ينضاف إليها خطر عزوف الخطوط الملاحية عن ميناء طنجة وتحويل البضائع إلى موانئ أخرى مجاورة، عقدت شركة الميناء اجتماعا ضم أعضاء من لجنة المراقبة وممثلين عن الجمعية التشريعية والغرف المهنية، خلص إلى منح المضربين زيادة في الأجور قدرها 20٪، وبموجبها يرتفع الأجر اليومي من 40 إلى 50 بسيطة، دون الاستجابة لمطلب رفع عدد العمال(٣).

خلاصة:

تمخضت عن مرحلة التدويل بطنجة عديد من المتغيرات في الحياة المهنية، وأبرزها ميلاد فئة المأجورين، التي تشكلت في معظمها من الحرفيين المفلسين، والقادمين من الجنوب الإسباني بحثا عن تحسين شروط العيش، وقد عانت هذه الفئة في نشأتها من سياسية تمييزية في الأجور ومناصب العمل، وهو ما قوى رغبتها في الدفاع عن حقوقها المهضومة.

وعلى امتداد الفترة المدروسة تطورت الحركة العمالية بطنجة، مستفيدة من احتكاكها بالتجارب الاشتراكية الدولية، وهو ما أهلها لتحقيق مكتسبات اجتماعية مثل تخفيض ساعات العمل، ورفع الأجور، لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التي تؤرخ لبداية الاهتمام بقضايا التشغيل من خلال تأسيس مكتب الشغل، ومصلحة الشؤون الاجتماعية، والاعتراف بتأسيس الجمعيات النقابية.

---

(1) A.D.N, Carton N°409, **Rapport au sujet de Grève des Dockers**, Op.cit, p. 2.

(2) Ibidem.

(3) A.D.N, Rapport de monsieur Boisseson, Op.cit., p.3.

ببيليوغرافية

مصادر ومراجع أجنبية:

A.D.N, Carton N° 409, Dossier E, Tanger, **Activité de l'Administration International, Travaux public, Port de Tanger, 1955.**

René, Gallissot, **Le patronat européen au Maroc (1931-1942)**, 1er Ed, Centre Universitaire de la recherche scientifique, Rabat, 1964.

Campredon, J.P, Gonzalez, Garcia, **Derecho Del Trabajo de la Zona De Tánger**, Ed, Internacionales, Tánger, 1954.

Administration International de la Zone de Tanger, **Statistiques de la Zone 1946 – 1952**, bureau des affaires économiques, vol I, Ed, française, année 1953.

مراجع عربية:

كتب:

أحمد، بوجداد، «حول الفئات العمالية بطنجة من خلال صحافة طنجة»، ضمن **ندوة طنجة في التاريخ المعاصر ١٨٠٠-١٩٥٦**، منشورات كلية الآداب الرباط، 1991، ص. 221.

بوبكر، بوهادي، **المغرب والحرب الأهلية الإسبانية** 1936-1939، منشورات بيت الحكمة، تطوان، ط1، 2020.

الجرائد:

« بسيطة و 8 ساعات في اليوم، والمعاملة الحسنة»، **جريدة منبر الشعب**، عدد 441، الأربعاء 14 فبراير 1951.

« المعذبون في الميناء»، **جريدة الشعب**، عدد 42، 21 غشت 1952.

« في الميناء»، **جريدة الشعب**، عدد 35، 13 غشت 1952.

« كيف تمثل "مأساة" العمال في ميناء طنجة كل يوم»، **جريدة منبر الشعب**، العدد 191، الأربعاء 22 مارس 1950.

« لا تستعجلوا الشر»، **جريدة منبر الشعب**، عدد 416، الاثنين 15 يناير 1951،.

« طنجة تؤمل الخير وتنتظر الفرج»، **جريدة منبر الشعب**، العدد 182، بتاريخ 11 مارس 1950.

« بلاغ عن الأجور التي تؤديها الإدارة الدولية»، **جريدة منبر الشعب**، عدد 187، الجمعة 17 مارس 1950.

التراث الثقافي اللامادي بمدينة وادي زم وبواديها؛ الاحتفالات بالأطفال أنموذجا

The intangible cultural heritage of the city of Oued zem and its valleys;

Model celebrations for children.

الصافي عبد الرزاق

طالب باحث بسلك الدكتوراه

جامعة محمد الخامس كلية علوم التربية الرباط.

تحت إشراف: الدكتور خليل السعداني،

الدكتور سيدي محمد معروف الدفالي.

الملخص:

يعتبر التراث اللامادي جوهر الانسان والمعبر عن هويته في تفاعله مع المكان الذي عاش ويتعايش فيه، ومن هذا المنطلق كانت الاحتفالات بالأطفال منذ الصغر الى الكبر احدى اهم أسس واهتمامات الساكنة بمدينة وادي زم.

الكلمات المفاتيح: التراث اللامادي، الأطفال، الاحتفالات.

- **Summary:**

The intangible heritage is considered the essence of man and expresses his identity in his interaction with the place in which he lived and coexisted, and from this standpoint, celebrations for children from childhood to adulthood were one of the most important foundations and interests of the residents of Oued Zam.

Keywords: intangible heritage, children, celebrations.

مقدمة:

يعتبر مفهوم التراث، مفهوما محوريا وأساسيا، يعرفه محمد عابد الجابري بقوله؛ التراث: "كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي سواء ماضينا أو ماضي غيرنا، سواء القريب منه أم البعيد"(١)، وفي إطار التعريف يقول أيضا؛ "إن التراث خزان للأفكار والرؤى والتصورات تأخذ منه الأمة ما يفيدها في حاضرها أو ما هو قابل لأن يعين على حركة التقدم"(٢). ويعرفه عباس الجراري بقوله: التراث هو ذلك الإرث الذي وصلنا على مر العصور والأزمان، والذي لا يزال مثلا في حياتنا متمثلا فيما أنتجته عقول الأجيال السابقة، وما أوحت به قلوبهم من علوم وفنون وآداب، هي خلاصة حضارة هذا البلد، وثمرة عبقرية أبنائه"(٣).

يعتبر التراث اللامادي الثقافي المعبر عن هوية وجوهر الإنسان الوادزمي في تفاعله مع ذلك المجال الهضبي القاري، بل وأن هذا التراث اللامادي أصبح يحظى باهتمام العديد من المحافل العلمية والمنظمات والهيئات الدولية.

يحتل الزواج والإنجاب بمدينة وادي زم وبواديها أهمية كبيرة، فذلك هو الضامن لاستمرار النسل والحفاظ على ارث وممتلكات العائلة، فكانت المرأة منذ حملها تخضع لمجموعة من الطقوس وفق احتفالات متعددة كتوفير الاكل الذي تحبه والشراب الذي ترغب فيه، إلى أن تصل إلى مرحلة الإنجاب، فالفطام، فالطهارة، فالاحتفال بحفظ القرآن الكريم بل وإلى الزواج.

أهمية البحث:

- قد تسهم نتائج البحث الحالي في تكوين تصور علمي عن مدى أهمية التراث اللامادي في حياة الفرد والمجتمع.
- إغناء الدراسات المرتبطة بهذا الجانب نظرا للخصاص الموجود، وإحداث تراكم معرفي حول الموضوع.
- بناء أدوات جديدة للبحث في هذا المجال وتوضيح طريقة استخدامها والنتائج المترتبة عنها.
- تسليط الضوء على مجتمعات وعلى خصوصيات ثقافية كانت قد تناست أو في طريق النسيان.
- توجيه نظر الباحثين القادمين إلى إيلاء هذا النوع من البحوث أهمية كبيرة والتأكيد عليهم لكونه يسعى إلى حفظ الذاكرة الجماعية.

---

(١) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات.. ومناقشات، الطبعة الأولى، بيروت، تموز/ يوليو ١٩٩١، ص ٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٣٨.

(٣) مريم أمشغال، ملامح من التراث اللامادي لقبيلة إد براهيم، (ص ١٢٩ – ١٤٢)، كتاب جماعي واحة تغجيجت: المجال، التاريخ، التراث، والمجتمع، أشغال الندوة العلمية حول: واحات تغجيجت بين الغنى الطبيعي والثقافي وآفاق الاستدامة المنعقدة يوم ١٤/ ١٠/ ٢٠١٧، تنسيق: رشيد صديق، تقديم ومراجعة: حسن حافظي علوي، الطبعة الأولى ٢٠٢٢، ص. ١٢٩.

خامسا: أهداف البحث:

- **الأهداف العملية:** الاهتمام بالمعيش اليومي الذاكراتي الترفيهي لكونه يشكل ذاكرة الإنسان وهوية المجال، سيمكن من دراسة المجال، كما أنه ينبغي الحفاظ عليه للأجيال المقبلة لأنه يشكل هويتها.
- **الأهداف العلمية:** تنويع مقاربات دراسة المجتمعات من خلال النبش في التراث اللامادي الثقافي الذاكراتي.

مشكلة البحث وفرضياته ووسائله وأدواته:

تسعى هذه المقالة المتواضعة إلى دراسة المجتمعات دراسة وصفية تقوم على رصد أدق تفاصيل حياة الإنسان اليومية والمرتبطة بالاحتفالات بالأطفال الذين يشكلون المستقبل والضامن لاستمرار الحياة، عبر النبش فيما تختزنه ذاكرات الإنسان الوادزمي والذي كان يستند عليه في تحقيق المتعة والترفيه، ومن هنا كانت الإشكالية المحورية لموضوع البحث هي؛ ما هي خصائص الاحتفالات بالأطفال بوادي زم وبواديها؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الإشكالية طرحنا مجموعة من التساؤلات الفرعية على الشكل التالي:

- هل يمكننا أن نتوقع بأن وادي زم وبواديها تحتوي على تراث احتفالي بالأطفال؟
- ما هي خصائص هذا التراث اللامادي الثقافي؟
- هل يمكن للتراث الثقافي ومن ضمنه الاحتفالات بالأطفال تحقيق المتعة والترفيه.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على وسائل وأدوات منها:

المقابلة والملاحظة والمشاركة والتسجيل، حيث حرصت أشد الحرص على تسجيل وتدوين الأشياء في أدق تفاصيلها كلما سنحت الفرصة بذلك، من خلال تسجيل يعتمد على الملاحظة والمشاركة، وما سنح لي بذلك هو انتمائي إلى المجتمع المدروس وادي زم وبواديها، وتسجيل تفاصيل حياة الإنسان اليومية بكل دقة، وفي ذلك قد يرى البعض إطنابا وعدم الفائدة، وفيه أرى تدقيقا واستفاضة في البحث عن الخصوصية التراثية اللامادية للإنسان بالمنطقة.

- ما هي خصائص التراث الثقافي اللامادي لمنطقة وادي زم وبواديها؟
- ما خصائص الاحتفالات بالأطفال؟

وللإجابة عن هاته الإشكالية استندنا على منهج تاريخي وصفي، يهدف إلى إبراز خصائص الاحتفالات بالأطفال وأهميتها في حياة الفرد والمجتمع.

طقوس الميلاد والإنجاب (الزيادة):

إن الإنسان الوادزمي تزخر حياته بالعديد من المعتقدات المرتبطة بالإنجاب، لذلك يعتبر الزواج، أمرا ضروريا ومهما ليحفظ نسل العائلة واستمرارها، إذ من الضروري أن يتزوج الابن في سن مبكرة، من أجل تخليف أطفال يضمن بهم استمرار نسل العائلة، وأيضا ليفتخر بهم وليساعدوه في الحياة.

الزوجة منذ أن تعلم بحملها تبدأ في الاستعداد لاستقبال هذا الصغير من خلال إعداد "ألزَمِيتَة أَو أَلبْسِيسَةَ"، وذلك من خلال "قلي القمح وطحنه وغربلته "وشراء بعض الحبوب أو المنسمات وبعض المكسرات التي تضيف مذاقا جميلا إلى هذا الدقيق، وهي: حَبَّة حْلاوَة، نَافْع، جَلْجْلانْ، كَاوكَاو، إيلانْ، سُوجَا، لَوْزْ، تخلط بالزيت الرومي أو السمن، مع مزاولتها لأعملها "المنزلية بشكل عاد قدر المستطاع"[1]. وهو الذي يوضحه محمد الشرقاوي –البزيوي– بقوله؛ "عندما يدخل الشهر التاسع للمرأة الحامل ويقترب موعد الولادة يقوم أهل الحامل بصنع "البسيسة" أو سلو ويتكون صنع "البسيسة" على الشكل التالي: يُقلى القمح، وينقى من غير زيت ثم يطحن وتنزع منه النخالة. بحيث تؤخذ نواة القمح فقط، ثم يضاف إليه السكر المدقوق كَلاصي، والتقاوت، وهي حبة حلاوة والنافع والكروية والجلجلان وغيره، ثم يعجن الخليط بالزيت البلدي "زيت الزيتون" ثم يحتفظ به إلى حين الولادة فيقدم منه للوالدة والزائرين"[2]. ولعل أهمية هذه الاكلة توضحها الدكتورة ليجي بقولها "ويضمن تذوق "الزميتة" من طرف الوالدة الحديثة للطفل حياة مزدهرة، كما يقيها هي من الغشيان"[3].

بعد هذا الاستعداد، وعندما تكتمل فترة الحمل، ويحين وقت الوضع، من خلال إحساس الحامل بالوخز والألم في البطن، تقوم باستدعاء أمها وحماتها "عْدُوزْتْهَا"، ليكنَ بجوارها في هاته المرحلة الصعبة، وعندما يشتد المخاض، يتم استدعاء امرأة تكون محترفة في توليد النساء "قَابْلَةَ"، لتساعد المرأة على الإنجاب، التي تقوم بإلصاق ثوب في عمود من أعمدة السقف أو مسمار مثبت جيدا، من أجل "تْوُجَاعْ" والانجاب فالقابلة "هي من أقدم المهن تاريخيا، ظلت لقرون عديدة في التاريخ العربي عموما والتراث الثقافي المغربي خصوصا، شخصية لها مكانة خاصة في المجتمع، تهتم بالمرأة الحامل قبل الوضع: زيارتها والإطلاع على أحوالها وتقديم المشورة إليها وتقدير وضعية الولادة، هل ستكون عادية سهلة أم

(١) مصطفى الميموني، جوانب من التراث الثقافي بمجال بني مسكين، (ص ٣٧، ص٤٩)، التراث الثقافي اللامادي بالشاوية، الملتقى الثالث حول تراث وأعلام الشاوية جماعة بني خلوق– دائرة البروج إقليم السطات، إشراف وتحرير: شعيب حليفي ورياض فخري وخالد سرتي، نشر جامعة الحسن الأول بسطات، الطبعة الأولى ٢٠١٩، ص. ٣٩.

(٢) محمد الشرقاوي –البزيوي–، ورقات من تاريخ أبي الجعد: المدينة– الزاوية خلال الفترة ما بين ١٨٩٤ م– ١٩٥٦م، نشر دار الثقافة، الطبعة الثانية ٢٠٢١، ص. ١١٥– ١١٦.

(٣) الدكتورة ليجي، المعتقدات والطقوس الشعبية للمغاربة قبل مائة عام، ترجمة: سعيد عاهد، نشر دار القلم العربي للنشر والتوزيع بلوك ج رقم ١٩٠ المغرب العربي القنيطرة– المغرب، الطبعة الأولى: ٢٠٢٢، ص. ١٢٥.

عسيرة. وقد تهتم القابلة بأطوار نمو المولود، أي أنها تقوم بدور طب الولادة والرضع. وهي في كل هذا محترفة على قدر كبير من الكفاءة والمسؤولية، تمارس مهنتها بأدوات بسيطة اعتمادا على خبرتها مقابل اجر غير محدد أو متفاوض بشأنه، بل كانت تقوم بعملها ابتغاء "الأجر" في الآخرة والتماسا لثواب الله سبحانه، إلا أن المجتمع لم يهملها بل اعترف لها بالجميل فكرمها وجعل لها مكانة متميزة يحترمها الكبير والصغير"(١).

نجد جريدة السعادة تتضمن مقالا حول القابلة يقول؛ "عقب الوضع مباشرة تكون الوالدة منهوكة القوى في حاجة إلى الراحة والمسئول عن العناية بالطفل بعد وضعه مباشرة إنما هو الطبيب المباشر أو القابلة المباشرة لعملية الولادة أو القابلة التقليدية التي لا خبرة لها بقواعد التمريض واغلب هؤلاء جاهلات فيحسن أن ينبه عليها أن تغسل يديها جيدا بماء ساخن وصابون ومطهر إن أمكن"(٢). انطلاقا من هذا المقال نستشف بان القابلة كان لها حضور مهم داخل المجتمع لكن كان من الواجب التنبيه إلى أهمية النظافة لحماية حياة الطفل والأم.

(١) سعاد زبيطة، النساء المغربيات زمن الاستعمار ١٨٣٠-١٩٦٢ الموروثات والمتغيرات، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى ٢٠٢٠، ص. ٨٠-٨١.

(٢) السعادة، ٢٦ غشت ١٩٥٥، العدد ٩٤٥٨.

إذا فالقابلة كان لها دور مهم في توليد النساء، ولعل ذلك ما حدى بالسلطات خلال ٠١ أبريل ١٩٥٥ إلى إصدار "ظهير شريف بالجريدة الرسمية عدد: ٢٢١٤ ص: ٨٩٤، يتعلق بتنظيم مهنة القابلة "المولدة"(٣). فبمجرد خروج المولود الصغير وإطلاقه لصرخته الأولى، تقوم القابلة بفحصه فإذا كان ذكرا "تزغرد المولدة ثلاث مرات، أما إذا كانت أنثى فإنها تزغرد مرة واحدة فقط"(٤).

و"تقول القابلة وهي تقطع الحبل السري: شكرا لله الذي جعلني آتي إلى العالم بهذا المسلم"؛ وبعدها، تمسك الطفل وتهمس له في أذنيه: "الله أكبر". وإثر ذلك، توجه له خطابا قصيرا، قائلة: "ستكبر وتنسى، ستكون سعيدا وتتعلم القراءة"، ثم تضع قليلا من السكر على لسانه لينعم بحياة حلوة، قبل أن تضغط على عظام جمجمته وتجر أنفه"(٥)لتأخذه إحدى النساء الحاضرات، وتلفه في ثوب أبيض يسمى "أَلْكْمَاطْ"، " لِيكَا بَيْضَا"(جزء أو قطعة من الصوف)، بعد أن تقوم القابلة بقطع حبله السري، الذي تضمه إلى المشيمة

(٣) الجريدة الرسمية عدد: ٢٢١٤ ص: ٨٩٤.

(٤) مصطفى الميموني، جوانب من التراث الثقافي بمجال بني مسكين، (ص ٣٧، ص٤٩)، التراث الثقافي اللامادي بالشاوية، الملتقى الثالث حول تراث وأعلام الشاوية جماعة بني خلوق- دائرة البروج إقليم السطات، إشراف وتحرير: شعيب حليفي ورياض فخري وخالد سرتي، نشر جامعة الحسن الأول بسطات، الطبعة الأولى ٢٠١٩، ص. ٣٩.

(٥) الدكتورة ليجي، م. س، ص. ١٢١.

ليدفن في مكان بعيد عن بصر الإنسان، وعن شم الحيوانات، تخرج إحدى تلك النساء الحاضرات بالخروج لتقوم بزف خبر المولود للأب الذي يكون في الخارج يتتبع أخبار زوجته، فتقول له "مَبْرُوكْ ألعَزْرِي" إذا كان المولود ذكرا، وتقول له "مَبْرُوكْ ألعَزْرية " إن كانت طفلة. "بعد انتهاء عملية الوضع وتقميط المولود تحرص الحاضرات على وضع جانبه وجانب أمه قليلا من الملح وسكينا لطرد الأرواح الشريرة المتربصة بهما، ومنعها من إذايتهما"[١]. كما أن الأم تلبس ملابس جديدة "وتضع على رأسها الكنبوش (وهو منديل طويل به ألوان)"[٢].

بعد تلقي الأب لهذا النبأ يسارع في أداء أول مهمة تنتظره وهي ذبح ديك، كان قد تم وسمه أي اختياره لهاته المناسبة[٣]، أو غيره الذي أحضرته أم المرأة النفساء، حتى تعد به وجبة "ألرْفِيسَةَ أو التريد". فَالْرْفِيسَةَ تتكون من سميد مصنوع من القمح، يتم عجنه بدون خميرة وماء وملح وزيت، ويقومون بخبزها عن طريق وضعها على شكل دائري، ثم إدخالها إلى الفرن إلى أن تنضج ويتغير لونها الى الأحمر[٤].

بعد ذلك يقومون بإخراجها ودقها وتفتيتها "تَهْرَاسِهَا أي دْكْدِيكِهَا"، باستعمال حجر مغسول أو "رْزَامَةَ دْيَالْ ألمْهْرَازْ"، ثم يضعونها في "ألقَسْرِيَةَ، ألكَصْعَةَ "، ويقومون بسقيها ب" بِألْبْلُولْ "الذي يتضمن العدس،الحمص،"ألمْسَاخْنْ الذي يسمى أيضا "رَاسْ ألحَانُوتْ"، أو "رَاسْ الْعَطَارْ "، بخصوص ألتْرِيدْ، فهو يتكون من "مَسَمَنْ " مقطع إلى قطع صغيرة، تضاف إليه نفس التوابل التي سبق ذكرها، كما أنهم يقومون بشواء اللحم"دَوَارَةَ "يشتريها الزوج من السوق، وكل هذا من أجل أن تستعيد "ألمَرْا ألنَافْسَةَ" أي المرأة النفساء، قوتها وتسترجع طاقتها وعافيتها، وحيويتها في اقرب وقت ممكن، وتقوم النساء القريبات منها (من عائلتها،ومن جيرانها..) بإحضار ألرْفِيسَةَ، أو ألتْرِيدْ، أو البَرْكُوكْشْ أو كما يسمى أيضا بِطَرْنَةَ المعد بالدجاج البلدي من منازلهم وهو مطبوخ، أو يحضرون الخضر والدجاج والزيت والتوابل، يتم إعداده في بيت النفساء، وتقوم المرأة النفساء بإعطاء ألكُحْلْ وَالسِوَاكْ، وَألقُرُنْفَلْ، وَألحَرْكُوسْ...للنساء اللواتي زرنها، واللواتي يعطينها "ألبْيَاضْ" حسب قدراتهن المادية[٥].

---

(١) طليح عبد العزيز، إيقوين نبش في الذاكرة دراسة اثنوغرافية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ٢٠١٦، ص. ١٤٠.

(٢) محمد الشرقاوي –البزيوي-، ورقات من تاريخ أبي الجعد: المدينة- الزاوية خلال الفترة ما بين ١٨٩٤ م-١٩٥٦م، نشر دار الثقافة، الطبعة الثانية ٢٠٢١، ص. ١١٦

(٣) رواية شفهية للسيدة ميمونة الوراق، يوم ٢٥/ ٠٨/ ٢٠١٧، على الساعة ١٦:٣٠.

(٤) رواية شفهية للسيدة فاطنة الجوراني، يوم ٠٩/ ١٢/ ٢٠٢٢، على الساعة ١٤:١٩.

(٥) رواية شفهية للسيدة جمعة الصافي، يوم ٠٩/ ١٢/ ٢٠٢٢، على الساعة ١٤:٢١.

بعد أن تنتهي عملية "تْكْمَاطْ " المولود –ة–، تحرص أمها أو أم زوجها على وضع سكين وقليل من أَلمِلْحْ، وَأَلْقَطْرَانْ، وَأَلْشَبَة، وَأَلحَرْمَلْ، بجانبه وبجانب أمه، بل وأيضا أنهم يضعون هاته الأشياء في سُرَةَ وتعلق في "أَلدَوْحْ"، الذي سيتم استعماله للرضيع، "أما دم المرأة حديثة الولادة، ونظرا لأنه قابل للاستعمال في السحر الشرير الموجه ضدها، فيخفى ليحجب تماما عن الأنظار. ومن حق القابلة بمفردها لمسه، ولهذا، فهي التي تتكلف بتنظيف غسيل الأم. والأمر نفسه ينطبق على خرق المولود التي تغسلها القابلة وتجففها في غرفة مغلقة، بعيدا عن الأنظار. ومن اللازم عليها أيضا أن تنشر الخرق هذه على أوان مصنوعة من النحاس ("مهراز" أو صينية)، نظرا لأن النحاس يبعد الجن الذين قد يغريهم تدنيس الخرق ونقل أمراض فتاكة بالنسبة للطفل إليها. ولا تتناول النفيسة (النفساء) طعامها إلا بمعية القابلة بمفردها، وذلك طيلة سبعة أيام عقب الوضع. وحتى في حالة وجود أشخاص آخرين يتناولون طعامهم في نفس الغرفة، فإن أكلها يوضع في طبق منفرد، ولا يحق لأي شخص مسه باستثناء قابلتها"(١).

"وفي اليوم الثالث عقب الإنجاب، يصبغ وجه الأم بالزعفران والزنجفر، وذلك قصد محو الكلف الذي ظهر عليه. وحتى لا تصاب الأم بنزيف، يعلق حرز خطه "طالب" في فخذها الأيمن. كما تثبت أشرطة رابطة صغيرة حول السبابتين والذراعين والفخذين، وبعدها يمسد بطنها بكمادات شديدة البرودة بهدف تبريد دمها. وتروم الكمادات الباردة والأشرطة الرابطة كذلك منع الدم من السيلان"(٢).

تستمر العناية بالأم النفساء إلى غاية اليوم السابع، وهنا يقومون بمساعدتها على الوقوف ووضع حزامها، وتقوم بارتداء ملابس جديدة مع وضع بعض الزينة مثل الكحل في العينين، والحركوس في انفها وبعض المناطق من شعرها، بالإضافة الى القرنفل الذي يخلط مع "الزهر، او الريحة" ويوضع فوق الاذنين وبجانب الرأس من اليمين واليسار "المدادغ"، كما تقوم بوضع مجوهراتها بمساعدة احدى قريباتها.

"وعقبها، ينصب الاهتمام على المولود. توقد أولا شمعتان من الحجم الكبير متعددتا الألوان تم جلبهما من ضريح الولي الصالح الذي نذر له الطفل، وذلك ليكون فأل الطفل منيرا. ثم تنزع عنه ملابسه ليبقى عاريا تماما، وتمسكه الوالدة فوق طست، لتشرع القابلة في سكب الماء المطهر المجلوب مع الشمعتين من نفس الضريح. تصب السائل في البداية على يده اليمنى وجنبه الأيمن، ثم على اليد اليسرى والجنب الأيسر، وأخيرا على الرأس وهي تقول: "ثمة في هذا العالم السفلي الحصبة، والسعال الديكي، والقوباء،

(١) الدكتورة ليجي، م. س، ص. ١٢٨.

(٢) المرجع نفسه، ص. ١٢٩.

والجدري، والسعفة، الخ، الخ..."، وذلك بنية جلية ترمي إلى أن يجرف هذا التطهير معه جراثيم جميع هذه الأمراض وأن يعقم الوليد ضدها. وفي الطست حيث ينهمر الماء المطهر، ترمي صديقات ونساء العائلة قطعا نقدية فضية، مرفقة إياها بالحرمل والملح. ومن شأن هذه القطع الفضية تبييض فأل المولود، وهي تسمى "تبيضة"، لكنها تكون من نصيب القابلة في النهاية. أما الحرمل والملح، فيمنعان صغار الجن من الاستحمام في الطست خلال تنظيف الوليد، وإلا أصيب بمرض. وبعد النطق بأسماء الأمراض، تستحضر القابلة الأولياء المحليين، وخاصة الذي سيحمي الطفل من بينهم. ومع إنهاء التطهير، يتم التخلص من مياهه أسفل شجرة، وذلك قصد نقل الطاقة السحرية المتولدة عن تماسها بالمولود إلى الشجرة"(١).

في هذا اليوم، يتم دعوة أفراد العائلة، جيران، أصدقاء وبعض الفقهاء"أَلْطُلْبَة"، إلى حضور"حفل العقيقة أو السابع، هو مستهل المناسبات الاحتفالية التي يخص بها المجتمع الفرد خلال دورة حياته، وهو احتفال يقام يوم سابع ازدياد المولود. وتعد مناسبة حفل العقيقة أو السابع احتفالا مزدوجا؛ احتفال بالمولود، واحتفال بالأم الولود. الاحتفال بالأم التي اجتازت مرحلة الحمل عامة والمخاض خاصة فأنجبت ذرية، ولاحتفال بالمولود خلف السلف وضامن الاستمرارية..."(٢).

حفل السبوع هذا يكون بتسمية المولود، عبر ذبح خروف أو جدي، أو بعض الديوك، وتسمية الله أثناء الذبح ويردد اسم المولود أثناء عملية النحر ثلاث مرات، فاليوم "السابع عقب الوضع هو يوم تسمية الوليد. وهو كذلك يوم تطهيره وتقديمه لجن الدار الذين سيصبحون أصدقاء وحماة له. وتسمى هذه الطقوس مراسيم "الراحة"، أي شعائر تجاوز الفترة الخطيرة التي يكون، خلالها، بإمكان جميع القوى الخفية إيذاء الأم وطفلها"(٣).

كما يتم الباس الطفل ملابس جديدة بعد تبخيرها "بالجاوي" والملحة الحية، والحرمل وعبر اشعال شمعتين يتم ادخال الشمعتين من الأسفل واخراجها من العنق طردا للأرواح الشريرة(٤).

يكون الذبح "وقت الضحى الباكر حتى ينطق المولود باكرا، كما يتم الحرص حين تنظيف كرش الذبيحة أن تضحك المنظفات حتى يضحك مبكرا كذلك. يسمي الذابح الله ويكبر"(٥)،ليتم الشروع في إعداد المرق أو الكسكس مع قراءة آيات من القرآن

(١) الدكتورة ليجي، م. س، ص. ١٣٦.

(٢) عبد العزيز طليح، م. س، ص. ١٣٩.

(٣) الدكتورة ليجي، م. س، ص. ١٣٣.

(٤) رواية شفهية للسيدة فاطنة الجوراني، يوم ١٥/ ٠٧/ ٢٠٢٢، على الساعة ١١:٤٧.

(٥) عبد العزيز طليح، م. س، ص. ١٤١.

الكريم، والدعاء للمولود بالصلاح، ويتضح الأمر أكثر من قول مصطفى الميموني؛ "بعد مرور سبعة أيام يقام حفل العقيقة، الذي يتم فيه ذبح كبش والإعلان عن اسم المولود، وهناك من يراعي في اختيار الاسم بعض المناسبات، فإذا ازداد المولود مثلا في عيد المولد غالبا ما يسمونه مُولُود إذا كان ذكرا وُمولُدة إذا كانت أنثى، وفي عيد الأضحى (العيد الكبير) يسمون الذكر عبد الكبير والأنثى: الكبيرة"(١).

تقوم العديد من الأسر بذبح الذبيحة تجنبا لخطر الأرواح الشريرة، "وإذا كان الوالدان أو الأجداد على قيد الحياة، فالمولود لا يسمى باسمهم، أما إذا كان أحدهم متوفى، فالوليد يحمل اسمه احتراما لذكراه. وفي حالة وفاة والد الطفل والأخير في يومه السابع، يلقب الصغير باسم الأب مع إضافة لقب "خْليفة" (خَليفة)، ومن ثمة يصبح ينادى عليه "خليفة فلان" رغم أن هذا ليس اسمه الحقيقي"(٢).

وتتجلى العديد من الأهازيج التي يحضر فيها البعد الروحي المرتبط بالزاوية الشرقاوية وتأثيرها في سكان المنطقة على النحو التالي؛

"أسيدي صالح والصلاح اللي فاتو
أبركة مولاي بوعبيد والعباد اللي فاتوا
أملات لوليد إعطيك أوليد في إوليد
هاك نبغيك يا أم الرجال تبقاي ديما غزال"(٣).

وأثناء ترديد هاته الأغاني يكون من حق الحاضرات تقبيله وإعطائه "الزرورة"، وقبل الطواف به على الحاضرات تقوم الأم أو القابلة بربط "سرة" وهي كيس صغير من الحرمل والشبة، ولوحة أحد "المحضرة" من اجل أن يكون قويا عليما، وعندما يستيقظ الطفل في الصباح أو خلال طيلة اليوم، ويبدأ بالبكاء تقوم الأم بترديد مجموعة من الأغاني التي تهدف الى تسكين روعه؛

- صْبَاحْ وْليدي صْبَاحُو
- مْيَاتْ نَاكَة في مْرَاحُوا
- بمْيَاتْ عَبدْ إسُوكْهَا
- وَمْيَاتْ خْدَمْ تْكُودْهَا.
- فْلانَة لالاهُمْ بالزينْ فَايْتَاهُمْ.
- فْلانَة لالاهم بالسْمِيَةَ فْيَتَاهُمْ.
- كُوسْ كُوسْ كُوسْ أُمُكْ حَجْلَة أُبَاكْ فَرْكُوسْ.
- بالكْيَاسَة بالكْيَاسَة مُكْ فَيَاشَة.
- بَاكْ قْضيبْ الوَرْدْ مَنْ دَارْ إبْغِيهْ.
- يَكْبَرْ ويزيدْ يَاسيدي وزيد.

(١) مصطفى الميموني، جوانب من التراث الثقافي بمجال بني مسكين، (ص ٣٧، ص٤٩)، التراث الثقافي اللامادي بالشاوية، الملتقى الثالث حول تراث وأعلام الشاوية جماعة بني خلوق- دائرة البروج إقليم السطات، إشراف وتحرير: شعيب حليفي ورياض فخري وخالد سرتي، نشر جامعة الحسن الأول بسطات، الطبعة الأولى ٢٠١٩، ص. ٤٠.

(٢) الدكتورة ليجي، م. س، ص. ١٣٣.

(٣) محمد الشرقاوي –البزيوي-، ورقات من تاريخ أبي الجعد: المدينة- الزاوية خلال الفترة ما بين ١٨٩٤ م- ١٩٥٦م، نشر دار الثقافة، الطبعة الثانية ٢٠٢١، ص. ١١٦.

- شَبْ شَبينْ كُل نْهَارْ دْرَاعْ وُشَبْرينْ يا سيدنا جبريل.
- الله الله يالعالي يَالفُوكَاني.
- كما أن الأم أثناء ترديدها لتلك الأغاني من الممكن أن تتطرق لأغاني أخرى تتنكر فيها للمرأة التي لا تحسن التصرف مثل؛
- الله الله يالعالي يالفُوكَاني.
- المرة اللي تَنْضَغْ العْلكْ وَالدُورْ عَدْ الجَارْ وَتْعَاوُدْ لخْبَارْ مَاتْخَلصْ وَخَا زينها يَقْطَعْ النار.
- الرحمة ياربي يالعالي لما شوف من حال وليدي.
- يالله يالي متوكل كلابها فين نتي رايحا.

عندما يتمم الرضيع أربعون يوما، يحلق رأسه من الجوانب، وذلك باختيار والدي الطفل أسرة غنية معروفة بجودها وكرمها في القبيلة أو الدوار أو من الأهل والأصدقاء، الذين يقومون بهذه العملية، عملية "أَلحَلْقْ". بعد هاته العملية يتم خلط الحناء والماء ويضعونها على رأس الطفل، ويقومون بتمرير "سْبُولَةَ تَعْتْ أَلصَوْفْ " على رأس الطفل –ة–، حتى لا يكون رأسه كبيرا "تْضُرْبُوُا السُرَةَ" وإذا ما حدث هذا الامر يأخذون الرضيع إلى رجل أو امرأة معرفة عائلته او عائلتها بعلاج هذا الأم، واذا أصيب بمرض، يتم أخذه عند فقيه "بَاشْ إسْبَبْ لِيهْ"، ويعطي حجابا لأمه لتلصقه له بعنقه و"وَشْوِيَا شَبَةَ، أُو القُصْبُرْ، وَالمَلحَةَ أَلحَيَةَ " من أجل أن يبخر اتقاء العين(١)، وتتضمن جريدة السعادة مقالا حول ولادة مولود بمدينة وادي زم تحت عنوان وادي زم مولود سعيد "رزق الله سبحانه القائد الهمام الفاضل السيد احمد ابن سيدي الحسن بنيس عامل بني سمير ووادي زم ولدا افتر له ثغره وفرح به هو وعائلته وأقام جنابه حفلة يوم سابع ميلاده حضرها الولاة والعمال والفقهاء والشرفاء ورجال السلطة المحلية. فنهنئ قائدنا بمولوده السعيد ونرجوا له دوام الأفراح"(٢).

لعل اهتمام جريدة السعادة بحفل ولادة الأطفال دليل على فرح الأسر وسعادتهم بولادة أطفال يخلفونهم ويملئون المنازل فرحا وبهجة على والديهم، وألم الأطفال الم ومعاناة لآبائهم، ففي سياق الفرح بولادة الأطفال نجد مقالا أخر يتضمن؛ "رزق الله تعالى الأديب السيد احمد بن مسعود الموظف بمراقبتنا بنية مباركة افترا لها ثغره وأقام يوم عقيقتها حفلة حضرها أعيان وموظفون. فنهنيه ببنيته ونرجو أن يجعلها الله مباركة سعيدة"(٣).

"وفي حالة وفاة طفل قبل بلوغ يومه الأربعين، فقميصه الأول يدفن معه. ويوم القيامة، والجو جد حار

(١) رواية شفهية للسيدة ميمونة الوراق يوم ٢٥/ ٠٨/ ٢٠١٧، على الساعة ١١:٣٢.

(٢) ES-SAADA, Samedi 9 Février 1952, N 8374.(السبت ٥ جمادى الأولى عام ١٣٧١، ٢ فبراير ١٩٥٢

(٣) السعادة، الثلاثاء فاتح جمدى الأولى عام ١٣٧١، ٢٩ يناير سنة ١٩٥٢، العدد ٨٣٦٤.

نظرا لهبوط الشمس إلى السماء الأولى، يبلل الطفل، الذي يتحول إلى عصفور، قميصه هذا في عيون الجنة المنعشة ليبرد به جبين والده. ولا يجب البكاء على مولود جديد عند وفاته، ذلك أن فقدان ابن صغير عربون على عدم التعرض للحرق في العالم الآخر، علاوة على أن الدموع المذروفة عليه تتحول، يوم الحشر، إلى نهر يفصل نهائيا الطفل عن والديه"(١).

❖ **طقوس الفطام**(٢): يعرف الطفل خلال السنتين الأوليتين حدثا مهما، يعيشه كل طفل، وهو حدث الفطام، الذي يبتدئ بإعداد الأم "كُرصَةَ ديال ألْمَسْمَنْ"، وتأخذها إلى الفقيه الذي يكتب فوقها اسم الله، وتقوم بإلصاقها له في عنقه، أو إعطائها له لحملها، يأكل منها هو والأطفال الصغار حتى "يَتْقَاسْمُوا مْعَاهْ هَوُلْ أَلْبَرْزُولَةَ"، بالإضافة إلى أن الأم تضع القَطْرَانْ، أَو لاتُوخْ، أَوْ حَرِيقَةَ، أَوْ الإِبْزَارْ على تدييها، حتى يشعر الطفل بالمذاق الحار أثناء الرضع. ويمنعون الأطفال الصغار من تناول "ألطَيْحَانْ"، لأنه يتسبب في ظهور "حَبْ أَلْشْبَابْ عَلَى وُجُوهِهِمْ "، أما بخصوص الأطفال الذين يتأخرون في النطق، فإنه بحلول العيد الأضحى يتم طلب سبعة السن للبهائم، من الجيران، يطبخونها ويأكل منها هو والأطفال الصغار، حتى يتحدث مثلهم، أيضا من الأحداث التي يعيشها الأطفال أثناء الصغر، هو إصابتهم بمجموعة من الأمراض، على سبيل المثال لا الحصر: بُوصُفَيْرْ، الذي يتم علاجه "بتَشْرَاطْ اليدين والرجلين" بُو حَمْرَونْ، وأيضا يصابون بالسعال الذي يتم علاجه بقلي "أَلزَعْتَرْ فِي الزَيْتْ" إذ يعملون على ذهن جبينه وصدره "تَيْصَلْبُوا لِيهْ جَبْهْتُوا أو كَاشُوشُوا"، وأيضا مرض "أَلْحُمْرَةَ" الذي يصبح من خلاله جسم الطفل "مُورْدَدْ"، ويتم علاجه من خلال "تْشْرَاطْ، أُو البَخَانْ بِالمَلْحْ"(٣).

صيغ قصيرة لحفظ أسماء الأصابع:

يعمل الوادزميون على توظيف مجموعة من الأساليب في عملية تعليم أبنائهم بعض ما يحتاجونه في حياتهم اليومية، ومنها أسماء الأصابع مثل؛

- صغير أو عاقل (الخنصر) سْرق البيضة.
- لباس الخواتم (البنصر) شواها
- الطويل أو خاوي (الوسطى) نقاها
- الشاهد (السبابة) كال لو فاين حقي
- كْبير الفُم (الإبهام) دار كَال لو: كْلاتوا لَمْشيشة.
- فاين المشيشة؟

تحت الزرب

- فاين الزرب؟"(٤).
- كالو حرقاتوا العافية
- كاليه فين العافية؟

(١) الدكتورة ليجي، م. س، ص. ١٢١- ١٢٢.

(٢) يقول الله عز وجل :" وَالْوَلِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرادَ أن يُتِمَ الرَضَاعَةَ"سورة البقرة ،الاية ١٥:

(٣) رواية شفهية للسيدة فاطنة الجوراني، يوم ٢٥/ ٠٨/ ٢٠٢٣، على الساعة ١١:٣٧..

(٤) الدكتورة ليجي، م. س، ص. ١٦٦-١٦٧.

- كاليه طفاها الما
- كاليه فين الما؟
- كاليه وردوا الثور
- كاليه فين الثور
- كاليه بشا مع الواد الواد تال بير العواد(١).

خلال هاته العملية يدغدغ الحاكي إبط يد الطفل التي ظل ممسكا بها وهو يطوي كل إصبع ذكر اسمه(٢).

❖ **طقوس حفل أَلْطْهَارَةَ(٣):**

"من بين أهم المناسبات التي يحتفل بها... نجد حفل الإعذار والذي يتم خلاله إحياء سنة الختان، وهي سنة نبوية شرعها الإسلام ولها فوائد صحية كثيرة"(٤)، كما يشكل حفل الختان(٥)، بوادي زم، حدثا بارزا ومهما، لما يعرفه من طقوس، إذ يعتبرونه محدد من محددات دخول الإسلام، ولعل هذا يتبين من خلال الأغاني التي يتم ترديدها.

يتم دعوة يوم الختان أعمام الطفل وأخواله، وبعض الأصدقاء، وذلك حتى يقدم أحدهم المساعدة "لِلْحَجَامْ". ولعل اسم الحجام أطلق على هاته العملية التي تسمى أيضا "الحجامة" باعتبارها تسمية "آتية من اسم منفذ العملية وهو الحجام أي الحلاق وتسمى العملية أيضا بـ" الطهارة". تبتدئ "الطهارة" أو "حجام" عادة بتحديد يوم إجراء العملية وتبدأ الاستعدادات لها قبل الموعد المضروب مع الحجام. حيث يقام طقس "الحناء" في الليلة قبل يوم الختان، وفي هذه الليلة تقدم المأكولات للمدعوين والمدعوات، وفي الغد يحمل الطفل على ظهر الحصان، ويلبس حينها الجلباب ويضع القب. وغالبا ما يركب خلفه خاله ليمسك بالحصان فيقال: "مانطهر ولدي حتى يجي خالو يركبو قداموا ويعطيه من مالو"(٦).

قبل الشروع في هاته العملية، يتم وضع الحناء في اليد والرجل اليمنى للطفل، ويتم إلباسه لباسا فضفاضا

---

(١) رواية شفهية للسيد الحاج عزوز الصافي، يوم ١٥/ ٠٧/ ٢٠٢٢، على الساعة ١٢:٣٤.

(٢) الدكتورة ليجي، م. س، ص. ١٦٧.

(٣) يقول الله عز وجل :" وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن دريتي قال لاينال عهدي الظالمين " (٣) سورة البقرة ،الاية :١٢٤
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول : (الفطرة خمس :الختان ،والاستحداد ،وقص الشارب ،وتقليم الأظافر ،ونتف الاباط)

(٤) زكرياء اكجدول، طاطا: المجال، الإنسان والتاريخ ما بين (١٨٧٣- ١٩٥٦) دراسة منوغرافية، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى ٢٠٢٠، ص ١٤٥

(٥) قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :ابتلاه الله بالطهارة : خمس في الرأس ،وخمس في الجسد :في الرأس :السواك ، والاستنشاق ،والمضمضة ،وقص الشارب ،وفرق الرأس وفي =

= الجسد خمسة :تقليم الأظافر ،وحلق العانة ،والختان ،والاستنجاء من الغائط ،والبول ،ونتف الابط.

(٦) محمد الشرقاوي –البزيوي–، ورقات من تاريخ أبي الجعد: المدينة- الزاوية خلال الفترة ما بين ١٨٩٤ م- ١٩٥٦م، نشر دار الثقافة، الطبعة الثانية ٢٠٢١، ص. ١٢٠.

أبيض اللون، حتى يظهر في أجمل صورة ممكنة، ويظل هذا الطفل ما بين يدي العم والعمة والخال والخالة وأيضا الجدة والجد، يلعبون معه يد تلتقفه من يد إلى أن يصل "أَلْحَجَامْ". يضعون بقرب الطفل قالب سكر، ودَزَةَ ذْيَالْ الصُوفْ، باعتبارها عادة مهمة بالنسبة للسكان في المنطقة، تقوم عبر وضع ما سبق بجوار الطفل إن لم يكن له إخوة قد سبق ختانهم.

عندما يصل "الحجام"، يخرج ويهيئ ادواته من حقيبته، يحمل أحد الأقارب الطفل على أصوات زغاريد تطلقها النساء في المنزل بعد لباسه "بذلة بيضاء(جلباب) ويتم جمع بعض الأعشاب (الحرمل، القزبر، الملح) وتجمع في قطعة من الثوب وتعلق في عنق الطفل"[١]، ويقوم احدهم يحضر "غُربَالْ عَامَرْ بْرِيوْا تَاعْ أَلْغَلَمْ" موضوعة فيه بيضة، "ليستعمل بعض حبات البريو المناسبة- (والتي يختارها بنفسه من حبات القصعة)- في عزل تمرة العضو عن الجزء المراد قطعه، ويجلس إلى جانب "لمعلم" فتيان قويان يمسكان بالصبي جيدا.

وبعد عملية التمسيد اللازم وإدخال حبة "البريو" في مكانها المناسب يقول "لمعلم" للطفل انظر إلى ذلك

(١) مصطفى الميموني، جوانب من التراث الثقافي بمجال بني مسكين، (ص ٣٧، ص٤٩)، التراث الثقافي اللامادي بالشاوية، الملتقى الثالث حول تراث وأعلام الشاوية جماعة بني خلوق- دائرة البروج إقليم السطات، إشراف وتحرير: شعيب حليفي ورياض فخري وخالد سرتي، نشر جامعة الحسن الأول بسطات، الطبعة الأولى ٢٠١٩، ص. ٤٠.

الفرخ في السماء وعندما يرفع الطفل رأسه للسماء يكون المقص الحاد قد فعل فعلته"[٢]،وأثناء عملية الختان تلهي القريبات الأم بالغناء من خلال تلبيسها "قُفْطَانْ"، ويقومون بمشط شعرها "تَيْسَوْلَفُوهْ بِكْرَيْشَاتْ أَلنَقْرَةَ"، ويغطونها كاملة بإيزار كما لو أنها عروس، يقول عنها سكان المنطقة "تَيْدَرْزُوُا أُمْ دْرِي"، "وتضع رجلها اليمنى في قصعة مملوءة بالماء لكي لا يخاف أو يتألم طفلها"[٣]،وتعمل النساء على غناء مجموعة من الأغاني يمكننا ذكر بعضها على النحو التالي:

١/ *وَمَنْطَاهَرْ وْلِيدِي تَيْجِي خَالُوا

*وَمَنْطَاهَرْ وْلِيدِي تَيْجِي خَالُوا.

*وَمَنْطَاهَرْ وْلِيدِي تَيْجِي خَالُوا.

*وِجِيبْ لُوُ نَاكَةَ بَيْضَا تْزِيدْ فِي مَالُوا.

*وِجِيبْ لُوا نَاكَةَ بَيْضَا تْزِيدْ فِي مَالُوا.

*وِجِيبْ لُوا نَاكَةَ بَيْضَا تْزِيدْ فِي مَالُوا

٢/ *هَاكْ يَلَالَةَ وُشَدْ يَلَالَةَ أَو زَيَنْتْ أُوْلِيدِي أُو حَيْدْتْ أَللوْمَةَ عْلِيَا.

*هَاكْ يَلَالَةَ أُو شَدْ يَلَالَةَ أُو زَيْنْتْ أُولِيدِي أُو حَيْدْتْ أَللوْمَةَ عْلِيَا.

*هَاكْ يَلَالَةَ أُو شَدْ يَلَالَةَ أُو زَيْنْتْ أُولِيدِي أُو حَيْدَتْ أَللوْمَةَ عْلِيَا

(٢) مصطفى عربوش، من تاريخ منطقة إقليم تادلة وبني ملال، مكتبة الطالب ١٤٠٩-١٩٨٩، الطبعة الأولى ابريل ١٩٨٩، ص. ٢٢٩.

(٣) (٣) مصطفى الميموني، م. س، ص. ٤٠.

٣/ *رَطْبْ إِيدْكْ يَالحَجَامْ رَطْبْ إِيدْكْ إِرْحَمْ بَابَاك.

*رَطْبْ إِيدِيكْ يَالحَجَامْ رَطْبْ إِيدْكْ إرْحَمْ بَابَاكْ.

*رَطْبْ إِيدْكْ يَألحَجَامْ رَطْبْ إِيدْكْ إِرْحَمْ بَابَاكْ.

٤/ *وطَالْعَا مَنْ أَلْغمَامْ كِيفْ أَلْكَمْرَا هَا لاَلَةْ وَسَالْفْهَا مَرْشُوشْ بِأَلعَطْرِيَةَ هَالاَلَةَ.

*وطَالْعَا مَنْ أَلْغمَامْ كِيفْ أَلْكَمْرَا هَا لاَلَةْ وَسَالْفْهَا مَرْشُوشْ بِالعَطْرِيَةَ(١).

انطلاقا مما سبق ف"عندما يرتفع صراخ الطفل مدويا من شدة ألم استئصال هذا الجزء من عضوه التناسلي، تشدد النسوة اللائي يقبعن خلف "غرفة العمليات" من عزفهن وغنائهن وصلاتهن على النبي (الصلاة والسلام على رسول الله لا جاه إلا جاه سيدنا محمد الله مع الجاه العالي)، وترى ريسو أن مهمة هذا الإنشاد والموسيقى المصاحبة له هي إبعاد الأرواح الشريرة المترصدة وصرف انتباهها عن حالة الضعف التي يوجد فيها الصبي الختين. وفي هذه اللحظة يكون الصبي قد طهر وانتقل إلى عالم الرجولة، لقد استبدل قلفته بالرفاهية. وتؤكد المراقبة الذكورية المحضة في إنجاز هذه العملية من جهة، وتحمل الصبي الختين للألم من جهة ثانية، الطابع الإعدادي لطقس الختان"(٢).

أثناء ترديد هاته الأغاني يتم ارجاع المرأة، عن طريق المشي للخلف "لَوْرَانِيَة"، إلا أن يقول لها قريباتها "دُورْ"، عندما تدور تقوم ب"ألعَسْفْ عْلَى ألبَيْضَة". وتجلس ممسكة ابنها"مطأطأة الرأس وسط النسوة المتحومات حولها، ويوضع فلذة كبدها الجريح في حجرها، ثم تنخرط في البكاء إشفاقا عليه من هذه التجربة الدموية المؤلمة. ويرمز هذا البكاء حسب البعض إلى فقدان الأم لطفلها الذي أصبح رجلا"(٣).

دون إغفال أن تضل محاولة إسكاته من البكاء، كما تفعل ذلك النساء الحاضرات من خلال إعطائه قطعا نقدية حتى يسكت، كما "يوضع الطفل فوق ظهر أمه لتذهب به إلى الخيمة المقابلة لخيمتها: ولعلها كانت في الأول خيمة أخيها خال الصبي. وهي تغني مع زميلاتها: فين خيمة خي فين هي نمشي ليها. وفي الخيمة التي تدخلها يُحَنُون لطفلها ويقدمون لها السكر الأبيض رمزا لبياض السعد وحلاوته. ثم ترجعه إلى خيمتها بالغناء والتطبيل فتضعه وتغطيه بشقتها. وتقدم له رأس بصل يعضه ثم يقدموا له لحمة بوعكاف ليعضها أيضا. بينما يقوم أحد أصدقائه بخطفها من

---

(١) رواية شفهية للسيدة فاطنة الجوراني، يوم ٢٥/ ٠٨/ ٢٠٢٣، على الساعة ١١:٤٤.

(٢) عبد الغني منديب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، افريقيا الشرق ٢٠١٠- الطبعة الثانية، ص. ١٦٧.

(٣) المرجع نفسه، ص. ١٦٨.

يده. تبدأ عملية الزرورة أي تقديم الهدايا للطفل وتهنئة أهل البيت على نجاح الحفل والعملية. فالوداع"[١].

كما يتم إعداد وجبة غداء يتم تناولها من طرف الحجام ومن الأقارب، وبعدها ينصرف الحجام بعد أن تعطيه عائلة الطفل "لْوَايَة دْيَالْ سبُولْ أَوْ قَالْبْ سكر، ومعه الرجال الأقارب، في حين تبقى النساء، حتى يتناولن وجبة الغداء هن الأخريات، ثم بعدها كل واحدة تذهب في طريقها، في حين تبقى الأم معتنية بابنها ومراقبة إياه حتى لا يمس الثوب جرحه ويتسبب له في نزيف، وذلك هو حالها في الليل أيضا. كما تقوم باستقبال جاراتها اللواتي يأتين إليها في يوم الطهارة، حيث يتم إحضار الأكل من روز ومرق وغيرها، ويقومون بإعطاء الأم "ألبْيَاضْ".

"وعادة ما يأخذ الأب طفله (قبل سن الرشد) إلى المسجد ويهيئه للقيام بالصوم. يظهر الأب والأم على حد سواء عطفهما وحنانهما تجاه الأبناء، لكن بمجرد ما يصل الابن سن البلوغ يكف الأب عن إظهار حنانه، بينما تستمر الأم وحدها في إظهاره نحوه بصورة علانية. وهكذا يطور الأبناء مع أمهاتهم علاقات قوية من العاطفة المعلنة، إذ غالبا ما تفضل الأمهات المطلقات أو الأرامل العيش مع أبنائهن وتنتظرن منهم المساعدة المادية والمعنوية. ومن السائد اعتقاده، أن الأب إذا استمر في إظهار عاطفته وحنانه تجاه ابنه، فإن الابن سيصبح "طريا كالمرأة" بعد أن يبلغ الرشد، ويسمح للآخرين بالسيطرة والهيمنة عليه. وهكذا يعامل الأب ابنه معاملة يغلب عليها الطابع الرسمي والقسوة "(قاصح بالدارجة في الأصل)"[٢].

❖ **حفل السلكة والمعروف**[٣]:

"يعد الاحتفال بالأطفال الذين أتموا حفظ القرآن تقليدا متوارثا يتضمن أبعادا ودلالات تعكس تميز المغاربة وتفردهم في الفرح والتشجيع، ومناسبة حظي خلالها الأطفال المتوجون باحتفال شعبي بهيج تنشد فيه الأمداح وتزخرف لوحة الختم بألوان زاهية وتكتب عليها آيات قرآنية كريمة بخط جميل، وقد عبر عبد الواحد الراضي في مذكراته عن تقدير المغاربة وتبجيلهم للأطفال حفظة القرآن وتشجيعهم بالهدايا في جو من المرح بقوله: لا أنسى احتفالية حفظ القرآن، وحرص العائلات على تحفيز الأطفال بالهدايا والغناء الجميل، (طه والحولي مربوط حداها) وفقيه المسيد في أجمل لحظاته، إذ تغمره هو أيضا الهدايا والعناية السخية"[٤].

---

(١) مصطفى عربوش، م. س، ص. ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) ديل إيكلمان، الإسلام في المغرب، ترجمة: محمد أعفيف، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٥، ص. ٢٢٣.

(٣) رواية شفهية للسيدة حدهم الغرودي، يوم ١٤/ ٠٧/ ٢٠٢٢، على الساعة ١١:٣٠.

(٤) قاسم الحادك، جوانب من التسلية والترفيه في مغرب الحماية من خلال المذكرات والسير، (ص. ٩٧ الى ص. ١٢١)، كتاب التسلية والترفيه في تاريخ المغرب، إعداد وتنسيق: خالد سرتي/ جلال زين العابدين، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية =

شكل تعليم القرآن الكريم أحد أهم القضايا الأساسية بالنسبة للوادزاميين، وهذا حال كل المغاربة، وهو ما يتضح من قول فاطمة إزم؛ "شكل تعليم القرآن وحفظه أساس تربية الذكور في المجتمع المغربي، وكان المغاربة يولون مكانة خاصة للفقيه المشارط في الكُتاب الذي يعرف بالمسيد، ودأب سكان (وادي زم) على تنظيم، مثل جميع المغاربة، حفل ديني عندما ينهي أحد أبنائهم حفظ سورة "الرحمن" أو "طه"، أو حفظ القران الكريم حفظا تاما، وذلك إكراما لكتاب الله وللفقيه"[1]، وتسمى بالسلكة "خرج السلكة"، وتتم عبر الكتابة في اللوحة "زوقو لو الويحة" من أجل أن يأخذه المحضرة لبيته ليفرح والده وأمه بحفظه، ويتم تزويق اللوحة باستعمال "السمخ"، ويمسك الطفل من أذنيه مع ترديد؛

حذق حدذق يا يوه اسعدات مو وبوه

علم هاذ الصبي ببركة النبي

بيضة بيضة الله باش نزوق لوحتي

لوحتي عن الطالب والطالب في الجنة

والجنة محلولة حللها مولانا

محمد وصحابوا في الجنة يتصابوا[2].

كما أن المحظرة الذين يصلون الى ٢٠ أو ٣٠ طفل، أثناء اقتراب عيد من الأعياد "العواشر" يقومون بالتجول في القبيلة بطلب من الفقيه الذي يدرسهم حاملين ألواحهم متنقلين من منزل الى منزل لأخذ ما جدات به الأسر عليهم من دجاج وبيض ونقود لتعطى للفقيه[3].

بعد إتمام الطفل لحفظ القرآن الكريم يتم إعداد طقس يسمى "المعروف" الذي يتم ببناء الخيمة في الكاعة وإعداد الكسكس بعد ذبح خروفين فرحا بذلك، وهناك من الأسر من درست ابنين القرآن الكريم في وقت متزامن[4].

يتم نسج زربية للفقيه الذي درس الطفلين وسلهام، يوضعان أمام باب الخيمة إشارة الى الفقيه أنه إن نجحا الطفلين في الاختبار أمام افراد الجماعة وفقهاء القبيلة سيحصل عليهما الى جانب خروف سمين مجهز لذلك، دون اغفال ان الطفل او الطفلين

=

بنمسيك بالدار البيضاء، مطبعة force equipement، ٢٠٢٢، ص. ١٠٥.

(١) فاطمة إزم، طقوس الاحتفال والفرح في قبائل الشاوية، (ص ٦١، ص٧٦)، التراث الثقافي اللامادي بالشاوية، الملتقى الثالث حول تراث وأعلام الشاوية جماعة بني خلوق- دائرة البروج إقليم السطات، إشراف وتحرير: شعيب حليفي ورياض فخري وخالد سرتي، نشر جامعة الحسن الأول بسطات، الطبعة الأولى ٢٠١٩، ص. ٦١.

(٢) رواية شفهية للحاج عزوز الصافي، يوم ٠٥/ ٠٢/ ٢٠٢٢، على الساعة؛ ٠٧:٤٩.

(٣) رواية شفهية للحاج عزوز الصافي، يوم ٠٥/ ٠٢/ ٢٠٢٢، على الساعة؛ ٠٧:٤٩.

(٤) ابني الحاج حمد الصافي رحمه الله واسكنه فسيح جناته؛ الحاج عزوز الصافي واخوه العربي الصافي، رواية شفهية للحاج عزوز الصافي يوم ٠٥/ ٠٢/ ٢٠٢٢.

الحافظين للقرآن الكريم يتم نسج جلبابين لهما من طرف امهما فرحا بهما واعدادا لهما ليدخلا مرحلة "تطالبيت"، أي ان يصبحوا طلبة حاملين لكتاب الله تعالى(١).

بعد تناول وجبة الغذاء يتم امتحان الطفل الحافظ للقرآن الكريم امام فقهاء القبيلة ومقدم الفقهاء "مقدم الطلبة"أي امتحان مدى تمكن الطفل من حفظ القرآن الكريم، بعد اجتياز الامتحان بنجاح يحصل الفقيه على الهدايا التي جهزت له بهذه المناسبة، والجدير بالإشارة أن الفقيه الذي علمهم لا يتحمل مسؤولية امتحانهم بل تعطى هذه المهمة لمقدم الطلبة، باعتباره رئس الفقهاء "الطلبة"(٢).

خاتمة:

يعد التراث الثقافي اللامادي جزءا لا يتجزأ من هوية الأفراد والجماعات، فكان المعبر عن ما يخالجهم من أفراح وأقراح، وعلى إعتبار أن الطفل يشكل وريث العائلة والضامن والمحافظ على استمرارية نسلها، كانت ترافقه منذ أن كان جنينا في البطن إلى أن كبر وتعلم القرآن الكريم مجموعة من الطقوس والاحتفالات، التي تبرز قيمته ومكانته، فكان الاهتمام بهذا الموضوع في سياق الاهتمام بتاريخ وتراث وادي زم وقبائلها السماعلة، بني سمير، بني خيران، التي لا زالت إلى اليوم تحافظ على هاته العادات والتقاليد التي تشكل مرآة عاكسة لثقافة الإنسان.

(١) سي محمد ولد الحسين، يوم ٠٦/ ٠٢/ ٢٠٢٢، على الساعة ١٠:٠٠.

(٢) رواية شفهية للحاج عزوز الصافي، يوم ٠٥/ ٠٢/ ٢٠٢٢، على الساعة؛ ٠٧:٤٩.

البيبليوغرافيا:

▪ **المكتوبة:**

- حديث نبوي شريف.
- الجريدة الرسمية عدد: ٢٢١٤ ص: ٨٩٤.
- السعادة، ٢٦ غشت ١٩٥٥، العدد ٩٤٥٨.
- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات.. ومناقشات، الطبعة الأولى، بيروت، تموز/ يوليو ١٩٩١.
- مريم أمشغال، ملامح من التراث اللامادي لقبيلة إد براهيم، (ص ١٢٩- ١٤٢)، كتاب جماعي.
- واحة تغجيجت: المجال، التاريخ، التراث، والمجتمع، أشغال الندوة العلمية حول: واحات تغجيجت بين الغنى الطبيعي والثقافي وآفاق الاستدامة المنعقدة يوم ١٤/ ١٠/ ٢٠١٧، تنسيق: رشيد صديق، تقديم ومراجعة: حسن حافظي علوي، الطبعة الأولى ٢٠٢٢.
- مصطفى الميموني، جوانب من التراث الثقافي بمجال بني مسكين، (ص ٣٧، ص٤٩)، التراث الثقافي اللامادي بالشاوية، الملتقى الثالث حول تراث وأعلام الشاوية جماعة بني

خلوق- دائرة البروج إقليم السطات، إشراف وتحرير: شعيب حليفي ورياض فخري وخالد سرتي، نشر جامعة الحسن الأول بسطات، الطبعة الأولى ٢٠١٩.

- محمد الشرقاوي –البزيوي-، ورقات من تاريخ أبي الجعد: المدينة- الزاوية خلال الفترة ما بين ١٨٩٤ م- ١٩٥٦م، نشر دار الثقافة، الطبعة الثانية ٢٠٢١.
- الدكتورة ليجي، المعتقدات والطقوس الشعبية للمغاربة قبل مائة عام، ترجمة: سعيد عاهد، نشر دار القلم العربي للنشر والتوزيع بلوك ج رقم ١٩٠ المغرب العربي القنيطرة- المغرب، الطبعة الأولى: ٢٠٢٢.
- سعاد زبيطة، النساء المغربيات زمن الاستعمار ١٨٣٠-١٩٦٢ الموروثات والمتغيرات، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى ٢٠٢٠.
- طليح عبد العزيز، إبقوين نبش في الذاكرة دراسة اثنوغرافية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ٢٠١٦.
- محمد الشرقاوي –البزيوي-، ورقات من تاريخ أبي الجعد: المدينة- الزاوية خلال الفترة ما بين ١٨٩٤ م- ١٩٥٦م، نشر دار الثقافة، الطبعة الثانية ٢٠٢١.
- زكرياء اكجدول، طاطا: المجال، الإنسان والتاريخ ما بين (١٨٧٣- ١٩٥٦) دراسة منوغرافية، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى ٢٠٢٠.
- محمد الشرقاوي –البزيوي-، ورقات من تاريخ أبي الجعد: المدينة- الزاوية خلال الفترة ما بين ١٨٩٤ م- ١٩٥٦م، نشر دار الثقافة، الطبعة الثانية ٢٠٢١.
- مصطفى عربوش، من تاريخ منطقة إقليم تادلة وبني ملال، مكتبة الطالب ١٤٠٩-١٩٨٩، الطبعة الأولى ابريل ١٩٨٩.
- عبد الغني منديب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، افريقيا الشرق ٢٠١٠- الطبعة الثانية.
- قاسم الحادك، جوانب من التسلية والترفيه في مغرب الحماية من خلال المذكرات والسير، (ص. ٩٧ الى ص. ١٢١)، كتاب التسلية والترفيه في تاريخ المغرب، إعداد وتنسيق: خالد سرتي/ جلال زين العابدين، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك بالدار البيضاء، مطبعة force equipement، ٢٠٢٢.
- فاطمة إزم، طقوس الاحتفال والفرح في قبائل الشاوية، (ص ٦١، ص٧٦)، التراث الثقافي

اللامادي بالشاوية، الملتقى الثالث حول تراث وأعلام الشاوية جماعة بني خلوق– دائرة البروج إقليم السطات، إشراف وتحرير: شعيب حليفي ورياض فخري وخالد سرتي، نشر جامعة الحسن الأول بسطات، الطبعة الأولى ٢٠١٩.

- ديل إيكلمان، الإسلام في المغرب، ترجمة: محمد أعفيف، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٥.

- **الشفهية:**

- رواية شفهية للحاج عزوز الصافي، يوم ٠٥/ ٠٢/ ٢٠٢٢، على الساعة؛ ٠٧:٤٩.
- رواية شفهية للسيدة فاطنة الجوراني، يوم ٠٩/ ١٢/ ٢٠٢٢، على الساعة ١٤:١٩.
- رواية شفهية للسيدة ميمونة الوراق، يوم ٢٥/ ٠٨/ ٢٠١٧، على الساعة ١٠:٣٠.
- رواية شفهية للسيدة جمعة الصافي، يوم ٠٩/ ١٢/ ٢٠٢٢، على الساعة ١٤:٢١.
- رواية شفهية للسيدة حدهم الغرودي، يوم ١٤/ ٠٧/ ٢٠٢٢، على الساعة ١١:٣٠.
- رواية شفهية لابني الحاج حمد الصافي رحمه الله واسكنه فسيح جناته؛ الحاج عزوز الصافي واخوه العربي الصافي، رواية شفهية للحاج عزوز الصافي يوم ٠٥/ ٠٢/ ٢٠٢٢.
- رواية شفهية للسيد سي حمد ولد الحسين، يوم ٠٦/ ٠٢/ ٢٠٢٢، على الساعة ١٠:٠٠.

أحوال مصر والحجاز من خلال رسالة الشيخ إبراهيم العباسي للوزير أحمد باشا ١٧ صفر ١٢١٨هـ الموافق ٣١ مايو ١٨٠٣م دراسة وتحقيق

د. بكيل محمد محمد الكليبي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد جامعة ذمار

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق وثيقة رسالة الشيخ إبراهيم العباسي للوزير أحمد باشا ١٧ صفر ١٢١٨هـ / ٣١ مايو ١٨٠٣م، وتسليط الضوء على اوضاع مصر، واقتضت الدراسة استخدام منهج البحث التاريخي وصفاً وتحليلاً لمضمون الوثيقة، واحتوت الدراسة على اربعة محاور ومقدمة وخاتمة، تناولت المقدمة مشكلة الدراسة واهميتها واهدافها، وتضمن المحور الاول النص الحرفي للوثيقة ونقدها، وخصص المحور الثاني للتعريف بمصطلحات الوثيقة، في حين تناول المحور الثالث سياقات الوثيقة السياسية والاجتماعية، أما المحور الرابع والاخير، تناول التحليل التاريخي لمضمون الوثيقة، واختتمت الدراسة بخاتمة تضمنت جملة من النتائج المتعلقة بالموضوع، ومن ابرزها التعريف بالمصطلحات التي وردت في مضمون الوثيقة، وتحليل جوانب الغموض الذي اكتنفها.

الكلمات المفتاحية: وثيقة، ولاية، مصر، الحجاز، شريف، مكة.

Abstract:

This study aims to achieve a document of Sheikh Ibrahim Abbasi for the Minister Ahmed Pasha 17 Zero 1218 H / 31 May 1803, and highlight the situation of Egypt, and the study rose to the use of historical research approach and analyzes the content of the document, The study was at four axes, aimed and conclusively, topped the problem, importance and objectives, and ensured the first axis of the artisanal text and its criticism, and allocated the second axis to introduce document terms, while eating the third axis The political and social document. The fourth and final axis, addressed the historical analysis of the document, and concluded by the study in accordance with the results of the subject, and is the most prominent definition of terms in the content of the document and analyzing the ambiguities I was classified.

Keywords: Document, State, Egypt, Hijaz, Sharif, Mecca.

نسخة من وثيقة التحقيق:

يا عظيم الجود يا مولانا بلغنا المقصود يا مولانا

اللهم إنا نسألك عزاً دائماً مؤبداً وعمراً في السيادة طويلاً مديداً لحضرة عين
الاعيان وافتخار الاوان ذي الرأي السديد والعزم الشديد والخلق
الحسن الحميد الوزير المعظم مولانا وعزيزنا احمد باشا محافظ ثغر الاسكندريه
لازالت ايامه بها بهيه محفوفاً بالامن والسرور مدى الايام والدهور
مبلغاً جميع المرام محفوظاً بعين عناية ربه في المبدأ والختام بجاه سيدنا محمد
عليه افضل الصلاة وازكى السلام امين امين

اما المعروض بعد مزيد التحيات وازكى التسليمات والادعية المستجابة
في ساير الاوقات فالذي نعرضه بين يدي علمكم الكريم بعد الصحة والتسليم
ان سابق تاريخه موافقاً لقضاء الله تعالى وقدره تحركت العساكر على حضرة الوزير
محمد باشا في طلب الجامكيه وشددوا عليه في الطلب باغراء طاهر باشا فنشأ
بسبب ذلك الحرب ثلاثة ايام وملك طاهر باشا القلعه فطلب محمد باشا
الصلح مع العسكر وان يعطيهم جامكيتهم فلم يرضى طاهر باشا بذلك
ولم يقبل شفاعة العلما فعند ذلك خرج محمد باشا من مصر الى ناحية
دمياط وتولى طاهر باشا بالقهر والغلبه ومكث اربعة وعشرين يوماً
ومصر في الكرب والظلم الشديد وفي الخامس والعشرين قتل في بيته
وكان ابراهيم والمماليك ارتحلوا من المنية الى الجيزة بنحو يوم ينتظرون
قدوم محمد بيك فلما بلغ ابراهيم بيك قتل طاهر باشا حضر بالجيزه وصحح
مصر بالعساكر خوفاً على الرعيه فقابلوه العلما والشيخ السادات ونقيب الاشراف
والاعيان واستغاثوا به في دخول مصر فلم يرضى وقال لا يمكنني ادخل حتى
ياتينا العفو من حضرة مولانا السلطان نصره الله تعالى فطلبوا منه نظام
مصر فولى سليم اغا اغات انكشاريه ومكنه من القلعه ونزل منها الارنؤد
واقام محتسباً ووالى فحصل للرعيه الامن والراحه وفي يوم تاريخه كنا بالجيزه
عند المذكور اليه فمدحكم واثنى عليكم ثناءً جميلاً واخبرنا انه ورد من
الحجاز مكاتيب مضمونها ان الحج الشريف سافر من مكة في خامس المحرم وخرج الشريف
في ذلك اليوم المذكور الى الحجاز بعد ان حرق بيته بيده وفي تاسع المحرم دخل
عبد الوهاب الى مكة ووالى بها قيل انه بفرمان من الدولة العليه
ووافق القضا ان خروج محمد باشا من مصر ودخول عبد الوهاب الى مكة
في يوم واحد وبيوم تاريخه بلغنا ان محمد باشا باقي في ناحية الشرق ودمياط
والواصل لكم صحبة ولدنا الشيخ خليل مراسلة من مصطفى افندي قاضي الشرع الشريف
بثغر سكندريه سابقاً مضمونها ان لبنتنا دين على زوجها الذي طلقها
الحاج مصطفى المسيرجي المرصوص من احكم الحليه حضور المذكور بين ايديكم الكرام
واستخلاص ما كان لها بذمته على موجب الشرع الشريف وامر بطلبه عالمكم الله

الحاج ...
ابراهيم العباسي ...
... خادم ... العباسي
المرسي بثغر سكندريه
...

المقدمة:

تعد الوثيقة من المصادر التاريخية المهمة التي تسلط الضوء على الاحداث التي عاصرها كاتبها وتحتوي على معلومات تاريخية جديدة لم يطرقها الباحثين في دراساتهم، وهذه الميزة تجعل من الوثيقة ذات قيمة كونها تتضمن وقائع واحداث جديدة تمكن الباحث من معالجة الفجوات البحثية نتيجة شح المادة التاريخية التي توضح وقائع يكتنفها الغموض ويعتريها النقص في المعلومات الدقيقة التي تحتاجها دراسات الباحثين، وينتج عن انعدام الدليل (الوثيقة)، التعذر في الصول إلى اليقين العلمي، وهذا يجعل من الوثيقة مصدر علمي موثوق سواء كانت وثيقة رسمية أو خاصة.

تقدم الوثيقة التاريخية دليل علمي جديد للباحثين تمكنهم من الوقوف على معطيات تاريخية جديدة تحتاج من الباحث القيام بتحليل مضمونها بشكل علمي، ونقد بناء حتى يتمكن من الاستفادة المعلوماتية التي تختزنها، وهذا يحتاج إلى باحث متمرس يستطيع استنباط المعلومات من بين ثنايا سطورها كي تمكن من الاجابة الموضوعية عن القضايا والاحداث التي تتطلب اجابات علمية لا تضمنها صفحات المصادر، باعتبار الوثيقة مستند رسمي يقدم كم معرفي ذو قيمة علمية كبيرة، من خلال عملية تحقيق علمي رصين لمضمونها.

مشكلة الدراسة:

اقتضت الدراسة قيام الباحث بتحقيق وثيقة تاريخية تتضمن رسالة الشيخ ابراهيم العباسي للوزير احمد باشا ١٧ صفر ١٢١٨هـ / ٣١ مايو ١٨٠٣م، وهذه الوثيقة تحتاج إلى تسليط الضوء لما احتواه مضمونها، واثارة جملة من الاسئلة حول الاوضاع السياسية والاجتماعية لمصر والحجاز وموقف الدولة العثمانية منها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة أنها تشكل اضافة نوعية جديدة ومتخصصة، للمكتبة اليمنية والعربية بدراسة جديدة، فضلاً عن كون هذه الوثيقة تحقق لأول مرة.

أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة إلى نقل مضمون الوثيقة من خطها القديم التي كتبت به إلى الخط العربي الحديث ونقدها.
- التعريف بالمصطلحات والرموز التي وردت في مضمون الوثيقة.
- التعرف على السياق السياسي والاجتماعي الذي تضمنته الوثيقة.
- تفسير وتحليل السياق التاريخي للمضمون الوثيقة التاريخي.

منهج الدراسة:

اقتضت الدراسة استخدام منهج البحث التاريخي لتحليل وتوصيف مضمون الوثيقة وقراءة افكارها.

محاور الدراسة:

تضمنت الدراسة المحاور الاتية:

المقدمة: تناولت مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها.

المحور الأول: نص الوثيقة ونقدها.

المحور الثاني: التعريف بمصطلحات الوثيقة.

المحور الثالث: دراسة السياق السياسي والاجتماعي للوثيقة.

المحور الرابع: تحليل السياق التاريخي للوثيقة.

الخاتمة: تضمنت النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المحور الأول: نص الوثيقة ونقدها:

١ـ نص الوثيقة:

" ياعظيم الجواد يا مولانا.... بلغنا المقصود يامولانا اللهم انا نسيلك عزاً وتأييدا وعمراً في السيادة طويلاً مديداً لحضرة عين الاعيان وافتخار الاوان ذي الرأي السديد والعزم الشديد والخلق الحسن الحميد الوزير المعظم مولانا وعزيزنا احمد باشا محافظ ثغر الاسكندرية لازالت أيامه بها بهية مصحوباً بالأمن والسرور من الايام والدهور مبلغنا جميع المرام ملحوظاً بعين عناية ربه في المبدأ والختام بجاه سيدنا محمد عليه افضل وازكى السلام امين امين امين...

أما بعد اهدي عزيز التحيات وازكى التسليمات والدعوات المستجابة في سائر الاوقات فالذي نحيط به شريف علمكم علمكم الكريم بعد التحية والتسليم ان سابق تاريخ موافقا لقضاء الله تعالى وقدرة تحركت العساكر علي حضرة الوزير مجمد باشا في طلب الجماكية وشدوا عليه في الطلب باغرا طاهر باشا فنشأ بسبب ذلك الحرب ثلاثة ايام وملك طاهر باشا القلعة فطلب محمد باشا الصلح مع العسكر وان يعطيهم جامكيتهم فلم يرضى طاهر باشا بذلك ولم يقبل شفاعة العلماء فعند ذلك خرج محمد باشا من مصر إلى ناحية دمياط وتولى طاهر باشا وتولى طاهر باشا بالقوة والغلبة ومكث اربعة وعشرين يوما ومصر في الكرب والظلم الشديد وفي الخامس والعشرين قتل في بيته وكان ابراهيم والسناجق ارتحلوا من المنية إلى جهة البحر ينتظرون قدوم محمد بيك فلما بلغ ابراهيم بيك قتل طاهر باشا حضر بالجيزة وحوط مصر بالعساكر خوفاً على الرعية فقابلوه العلماء والشيخ السادات ونقيب الاشراف والاعيان واستغاثوا به في دخول مصر فلم يرضى وقال: لا يمكن ادخل حتى يأتينا العفو من حضرة مولانا السلطان نصره الله تعالى فطلبوا منه نظام مصر فولى سليم اغا اغات انقشاريه (الانكشارية) ومكنه من القلعة ونزل منها الارنفوت واقام محتسباً ووالي فحصل للرعية الأمن والراحة وفي يوم تاريخه كنا بالجيزة عند المشار اليه فمدحكم واثنى عليكم ظنا جميل واخبرنا انه ورد من الحجاز مكاتيب مضمونهم ان الحج الشريف سافر من مكة خامس المحرم وخرج الشريف في ذلك اليوم المذكور إلى جدة بعد حرق بيته بيده وفي تاسع المحرم دخل عبد الوهاب إلى مكة وولي شريفاً غيره قيل انه بفرمان من الدولة العلية ووافق القضاة ان خروج محمد باشا في مصر ودخول عبدالوهاب إلى مكة في يوم واحد ويوم تاريخه بلغنا أن محمد باشا باقي في ناحية الشرق ودمياط والواصل كل

صحبة ولدنا الشيخ خليل مراسلة من مصطفى افندي قاضي الشرع الشريف بثغر سكندرية سابقاً مضمونها ان لبنتنا دين على زوجها التي طلقها الحاج مصطفى المسيري المرجو من مراحمكم العلية حضور المذكورين بين ايديكم الكرام واستخلاص ما كان لها بذمته عليه بموجب الشرع الشريف والله يطيل مقامكم الكريم المحرر الداع تحت على الدوام إبراهيم العباسي شهاب الدين الشاذلي خادم ابي العباس المرسى بثغر سكندرية عمت بركاته ١٧ صفر ١٢١٨هـ الختم"(١).

وفي اعلى الوثيقة يبدوا فيها رد من قبل من ارسلت اليه.

٢ـ نقد الوثيقة:

أولاً: النقد الظاهري:

ـ كتبت الوثيقة في ورقة بيضاء مستطيلة.

ـ لغة الوثيقة اللغة العربية.

ـ لون الحبر اسود وغامق

ـ نوع الوثيقة مستند خاص يحمل ختم شخص يقوم على مقام ديني في مدينة الاسكندرية.

ـ لا يبدوا على الوثيقة اي تلف خارجي.

ثانياً: النقد الباطني:

ـ لم تفتتح الرسالة بـ: بسم الله الرحمن الرحيم.

ـ ترك كاتب الرسالة بعد السبعة السطور الأولى مقدمة الرسالة فراغ بحجم ثلاثة أسطر ثم افتتح مضمون الرسالة.

ـ تتكون الرسالة من ٣٣ سطر وذيلها بإسمه وصفته وختمه الرسمي والتاريخ واليوم والشهر.

ـ كتبت الرسالة بخط عربي جميل وواضح، وعريض متناسق مع حجم الورقة المستطيلة.

المحور الثاني: التعريف بمصطلحات الوثيقة:

تناولت الوثيقة، رسالة مرسله من الشيخ إبراهيم العباسي خادم مقام سيدي أبي العباس المرسى بالإسكندرية إلي الوزير أحمد باشا في ١٧ صفر ١٢١٨هـ الموافق ٣١ مايو ١٨٠٣م، وتضمنت المصطلحات الآتية:

مقدمة الرسالة: احتوت مقدمة الرسالة على تسعة أسطر مدح وثناء.

١ـ الوزير: منصب حكومي يتولاه شخص يكون عضو في حكومة دولة ما، يقودها رئيس وزراء، ويعين الوزير لقيادة وزارة متخصصة، أو منصب وزير دولة يعينه رئيس الوزراء(٢).

(١) ـ رسالة الشيخ ابراهيم شهاب الدين الشاذلي خادم مقام العباسي في الاسكندرية لمحافظ مدينة الاسكندرية احمد باشا في ١٧ صفر ١٢٠١٨هـ، وثيقة منشورة على صفحة مركز التاريخ العربي في منصة اكس (تويتر سابقاً)، بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠٢٣م، الساعة ٩:٢٨ مساءً على الرابط الاتي:
https://x.com/arabhistoryp/status/

(٢) ـ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، ج٢، تحقيق: محمد عبدالكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص ٣٠٢.

٢ـ **أحمد باشا**: أحد ضباط المماليك ومحافظ الإسكندرية بعد اغتيال طاهر باشا فقرر العثمانيين تقليده امر ولاية مصر فقبل العرض من اعيان الانكشارية(١).

٣ـ **محافظ**: منصب إداري يطلق على من يتولى إدارة محافظة وهذا يعد من التقسيمات الإدارية التي تتواجد اليوم في عدد من البلدان ومنها مصر(٢).

٤ـ **ثغر**: ناحية من الارض يقال: ما بتلك الثغرة مثله، وقيل كل طريق يرتاده الناس بسهولة ويسر يعد ثغر(٣).

٥ـ **الاسكندرية**: تقع شمال مصر، وهي اليوم ثاني اكبر مدنها بعد القاهرة، وتمتد في شريط ساحلي ضيق من الأرض على طول ساحل البحر الابيض المتوسط وهذا شكل يعطيها ميزة للاستفادة من ساحل البحر، وهي مدينة اسسها الاغريق بقيادة الاسكندر المقدوني وسميت بإسمه(٤).

٦ـ **العساكر**: اسم يطلق على الجنود قد يكون فصيل او سرية او كتيبة(٥).

٧ـ **محمد باشا**: هو محمد بك الالفي احد قادة المماليك وتحالف مع الانجليز لطرد الفرنسيين من مصر(٦).

٨- **الجماكية**: لفظ عثماني تعني مستحقات الموظف من راتب وتسمى ارزاق(٧).

٩ـ **طاهر باشا**: كان من قطاع الطريق انظم إلى جنود خسرو باشا، ثم تمرد عليه وتمكن من تولي ولاية مصر، حتى اغتيل من قبل احد الجنود الانكشارية، في ٢٥ مايو ١٨٠٣م(٨).

١٠ـ **دمياط**: مدينة قديمة في مصر على زاوية بين البحر ونهر النيل تتميز بهواء طيب وكانت من اهم الثغور في العهد الاسلامي(٩).

---

(١) ـ رفعت محمد، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (١٧٩٨- ١٨٤٩م)، ج١، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، ط١، ص ٧٧.

(٢) ـ ينظر محافظة على موقع:
www.google.com/serch?kgmid

(٣) ـ ابن منظور، لسان العرب، ج١، دار المعارف، تحقيق: عبدالله علي الكبير واخرون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٣٠هـ، ص ٤٨٧.

(٤) ـ الموسوعة العربية العالمية، ج٢، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م، ص ٢٣.

(٥) ـ سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١٥٤.

(٦) ـ عيشي وهيبة؛ لطرش زينب، التجربة الإصلاحية لمحمد علي باشا في بناء دولة مصرية حديثة ١٨٠٥-١٨٤٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة احمد دراية، الجزائر، ٢٠١٥م، ص ١٤.

(٧) ـ احمد بن اسماعيل بن محمد تيمور، معجم تيمور الكبير للألفاظ العامية، ج٣، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م، ص ٤٧.

(٨) ـ محمد شفيق غربال، محمد علي الكبير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م، ص ١٥.

(٩) ـ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٤٧٢.

١٢ـ **الغلبة**: السيطرة.

١٣ـ **مكث**: بقى.

١٤ـ **الكرب**: المحنة.

١٥ـ **ابراهيم بيك**: احد قادة المماليك دخل في صراع مع اتباع القائد المملوكي مراد بيك وقاد هذا الصراع إلى اضعاف قوة المماليك في مصر(١).

١٦ـ **السناجق**: تنظيم اداري بمعنى لواء وهي وحدة ادارية من الإدارة الرئيسية في التقسيمات الادارية عند العثمانيين(٢).

١٧ـ **المنية**: مدينة مصرية ذات اهمية، وهي من المدن الساحلية تقع في شمال صعيد مصر على الضفة الشرقية لنهر النيل، وهي مركز محافظة المنيا، تقع في وادي النيل بين اسيوط جنوباً وبني سويف شمالاً، وتحاذي حافة الصحراء الشرقية، وبها يمر خط القاهرة الصعيد وتتميز بالصناعات التقليدية وزراعة قصب السكر واستخراج السكر وتكريره(٣).

١٨ـ **الجهة البحرية**: جهة الساحل.

١٩ـ **الجيزة**: وهي من المدن المصرية الملاصقة للقاهرة حالياً، وتعد مركز محافظة مستقل عن القاهرة على ضفة نهر النيل الغربية، وتتميز بوجود العديد من المنشأت التاريخية والاثرية ابرزها معالم الاهرامات(٤).

٢٠ـ **حوط مصر بالعساكر**: احاط مصر بالجنود.

٢١ـ **الرعية**: العامة ورعى الامير رعيته رعاية(٥).

٢٢ـ **الشيخ**: من استبان عليه السن وظهرت فيه الشيب ويقال: شيخان وشيوخ(٦)، والشيخ رجل علم ودين في الوقت الحاضر.

٢٣ـ **السادات**: ومفردها سيد(٧)، وسيد الرئيس أو الامير، وجمعها امراء، أو باشوية وهم من الموظفين العثمانيين في ولاية(٨).

٢٤ـ **نقيب الاشراف**: النقيب بفتح النون وكسر القاف، وسكون الياء اخر الحرف، وبعدها باء موحدة، وجمعها نقباء والنقيب كالعريف المقدم على القوم ويعرف اخبارهم، وينقب عن احوالهم المعيشية(٩)،

---

(١) ـ عيشي وهيبة؛ لطرش زينب، مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) ـ مصطفى عبدالكريم الخطيب، معجم المصطلحات والالقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص ٢٥٩.

(٣) ـ يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص ٢٠٩.

(٤) ـ يحيى شامي، مرجع سابق، ص ١٩٨.

(٥) ـ ابن منظور، لسان العرب، ج٣، دار المعارف، تحقيق: عبدالله علي الكبير واخرون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٣٠هـ، ص ١٦٧٧.

(٦) ـ ابن منظور، لسان العرب، ج٤، دار المعارف، تحقيق: عبدالله علي الكبير واخرون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٣٠هـ، ص ٢٣٧٣.

(٧) ـ احمد الزيات؛ ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٢م، ص ٤٦٧.

(٨) ـ محمد فؤاد شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١-١٨١١م، ج١، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م، ص ١٦.

(٩) ـ محمد المرتضى الزبيدي الحسني، تاج العروس من جوهر القاموس، ج١، مصر، ١٣٠٧هـ، ص ٤٩٢.

والاشراف يقصد بهم اولاد ابي طالب، واولاد العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه)، واولاد الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)[١].

٢٥ـ الاعيان: ومفردها عضو الابصار للإنسان، ويقال: اعيان البلد كبار القوم واشرافهم[٢].

٢٦ـ استغاثوا: طلب النجدة والمساعدة[٣].

٢٧ـ مولانا السلطان: يقصد به السلطان العثماني سليم الثالث الذي تولى عرش الدولة العثمانية في ٧ ابريل ١٧٨٩م، بعد اخية السلطان عبد الحميد الاول، وشهد عهد السلطان سليم الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م[٤].

٢٨ـ نظام مصر: تنظيم الإدارة، وترتيب الولاية[٥].

٣٠ـ سليم اغا: احد ضباط الفرقة الانكشارية العثمانية في ولاية مصر[٦].

(١) ـ ابي العباس احمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج١١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٨م، ص١٦٢.

(٢) ـ احمد الزيات؛ ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٢م، ص ٦٤١.

(٣) ـ عيشي وهيبة؛ لطرش زينب، مرجع سابق، ص ١٨.

(٤) ـ يلماز اوزتونا، موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري ٦٢٩-١٣٤١هـ / ١٢٣١-١٩٢٢م، ج٢، ترجمة: عدنان محمود سلمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ص ٦٤٣-٦٤٨.

(٥) ـ منير غبور؛ احمد عثمان، صفحات من تاريخ مصر محمد علي باشا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص ٥.

(٦) ـ عيشي وهيبة؛ لطرش زينب، مرجع سابق، ص ١٨.

٣١ـ اغات: مفردها آغا، وجمعها آغوات، كلمة تركية محرفة من الاصل الفارسي آقا وتعني الأب أو العم أو الاخ الكبير وتأتي ايضاً بمعنى السيد استعملها العثمانيين كثيراً في تعاملاتهم على مدى تاريخهم الطويل ومنها اغا الانكشارية وهو بمثابة قائد الجيش[٧].

٣٢ـ الانكشارية: تعني القوات الجديدة مصدرها الدرويش حاج بكتاش ولي ويقال ان السلطان اورخان بن عثمان اصطحب هذه الفرقة من هؤلاء الجنود إلى مسكن هذا الشيخ وطلب منه مباركتهم واطلاق اسم عليهم فاطلق عليهم اسم يني جري، وعظم هذا الجيش واصبح يضم فيالق عسكرية تتشكل من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم واعمارهم مابين السادسة والخامسة عشرة من مختلف الولايات العثمانية في اوروبا يتم جمعهم في وقت معين من السنة ويتم تربيتهم تربية عسكرية وحب السلطان العثماني[٨].

٣٣ـ الارنفوت: يقصد بهم (الأرناؤوط)، وهم جنود عثمانيين من اصل الباني وكانوا اكثر عدد في الجيش العثماني[٩].

٣٤ـ محتسباً: من يقوم بالعمل الخيري تطوعاً بغير مقابل ولايريد من ذلك الا ابتغاء وجه الله، والحسبة يقوم بها اشخاص متطوعون ممن يرغبون في تطبيق

(٧) ـ مصطفى عبدالكريم الخطيب، مرجع سابق، ص ١١.

(٨) ـ سهيل صابان، مرجع سابق، ص ٤١.

(٩) ـ محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ج١، ص١٦ .

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر دون مقابل مادي[١].

٣٥ـ الحجاز: اقاليم في شبه الجزيرة العربية، ويشغل الجزء الشمالي الغربي منها محاذي لساحل البحر الاحمر بشكل مستطيل من الشمال إلى الجنوب، ولهذا الاقليم اهمية كبيرة[٢]، لدى المسلمين كونه يضم أهم المراكز الدينية في العالم الاسلامي لاحتضانها مكة المكرمة، والمدينة المنورة[٣].

٣٦ـ مكاتيب: يقصد بها الرسائل المكتوبة، والمكاتيب رسائل متنوعة ومتعددة[٤].

٣٧ـ الحج الشريف: هو كثرة القصد لمن تعظمه وترجو مغفرته[٥]، وقيل الحج هو القصد اي حج الينا فلان اي قدم[٦]، والحج زيارة مكان مخصوص له وقت محدد ومعلوم بقصد الزيارة والطواف والوقوف بعرفة[٧].

٣٨ـ مكة: مدينة دينية مقدسة وتعد من اشهر المدن الاسلامية، وموقعها في اقليم الحجاز وتد اكبر المدن[٨]، وهي من المدن التي تقع في سهل تهامة في وادي ضيق يسمى وادي غير ذي زرع، واليها يحج كل المسلمين سنويا[٩].

٣٩ـ خرج الشريف: غادر الشريف غالب بن مسعد مكة المكرمة، إلى مدينة جدة، بعد أن ايقن عدم قدرته قتال الامير السعودي سعود بن محمد وترك المدينة لأخيه[١٠].

---

(١) ـ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج٢، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٦٢١.

(٢) ـ حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف، د.م، د. ت، ص١٦.

(٣) ـ خالد حسين سعيد جوهي، الحضارم في الحجاز ودورهم في الحياة العلمية والتجارية ١٢٥٦ – ١٣٢٧هـ / ١٨٤٠–١٩١٨م، سلسلة اصدارات مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (٢٠)، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ٢٠١٧م، ص١٨.

(٤) ـ بكيل محمد الكليبي، الإعلام العثماني في اليمن ١٨٧٢–١٩١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة ذمار، ٢٠٢٠م، ص ٦٩.

(٥) ـ الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، ج١، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م، ص٢٨٦..

(٦) ـ ابن منظور، لسان العرب، ج٢، دار المعارف، تحقيق: عبدالله علي الكبير واخرون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٣٠هـ، ص٢٨٦.

(٧) ـ ابراهيم محمد بن ابراهيم الحلبي، مجمع الانهر في شرح الابهر المنتقى في الملتقى، ج١، تحقيق: شيخي زاده؛ العلاء الحصكفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص ٣٨٢..

(٨) ـ محمد شفيق افندي، في قلب الحجاز سلسلة مقالات سياسية واجتماعية دينية تتضمن حقائق ومشاهدات في قلب شبه الجزيرة العربية لم يسبق للرحالة تدوينه، مكتبة المنار، مصر، ط١، ١٩٢٧م، ص ٥٥.

(٩) ـ علي اكبر فياض، تاريخ الجزيرة العربية والإسلام، ترجمة: عبد الوهاب علوب، مركز نشر جامعة القاهرة، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص٥٩.

(١٠) ـ بندر علي العرومي، ضم الحجاز في عهد الدولة السعودية الأولى ١٢٢١هـ / ١٨٠٢–١٨٠٦م، رسالة ماجستير
=

٤٠ـ **جدة:** هي ميناء الحجاز الرئيسي، على ساحل البحر الاحمر، وزاد اهمية هذه المدينة زمن الدولة العثمانية التي احاطت المدينة بسور لحمايتها وشيدت بها العديد من الخانات للنزلاء الحجاج والمعتمرين الذين يصلوا اليها عن طريق(١).

٤١ـ **عبدالوهاب:** هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان، صاحب الدعوة الوهابية في نجد ولد عام ١١١٥هـ الموافق ١٧٠٣م، في مدينة العيينة من بلدان العارض في نجد نشاء في كنف والده الذي عرف عنه التدين والعلم، فقد كان قاضي مدينة العيينة وعالمها الديني حفظ القرآن الكريم عن والده، ثم اخذ علوم اللغة العربية، وقواعدها ودرس بعض كتب الفقه، على مذهب الامام احمد بن حنبل، ثم واصل في طلب العلم واظهر تبصراً كبير الامر الذي اعجب والده الذي شجعه على الاستزادة في طلبه، واخذ يتنقل بين مدن نجد المختلفة لطلب العلم حتى نبغ علمه وقدراته وعقد العزم على انتهاج منهج السلف الصالح بالدعوة لنبذ البدع وتطهير ما علق بالإسلام من شوائب وخرافات فضلاً عن ذلك انكر على بعض رجال العلم كثيراً من الامور الذي عدها مخالفة لتعاليم الدين الاسلامي، ورغم اعجاب الكثير من اهل العلم به إلا انه لم يلقى الاستجابة المطلوبة لما يدعوا اليه(٢)،

٤٢ـ **وولى شريف غيره:** تولى شرافة مكة الشريف عبد المعين بن مساعد الذي خلف اخية غالب بن مسعد الذي خرج من مكة المكرمة عقب سيطرة الامير السعودي سعود بن محمد لاسيما أن الشريف عبدالمعين بن مسعد اشترط لتسليم مكة المكرمة للسعوديين بإن يتم تعيينه شريفاً عليها فوق الامير سعود بن محمد على ذلك ودخل مكة محرماً في الثامن من محرم ١٢١٨هـ الموافق ٢٩ ابريل ١٨٠٣م(٣).

٤٣ـ **فرمان من الدولة العلية:** الفرمان هو كلمة مشتقة من مصدر الأمر باللغة الفارسية، اي خطاب الأمر، أو المرسوم وعلامة الحاكم، وهو ايضاً مرسوم عالي يتوجب إعلانه لمن تم تعيينه في شغل وظيفة عليا من قبل السلطان العثماني وهو قرار مكتوب(٤).

٤٤ـ **خروج محمد باشا في مصر:** هو محمد علي باشا ابن ابراهيم اغا، ينحدر من اصل الباني ولد ببلدة قولة احد الموانئ الصغيرة على الحدود بين اقليم تراقية،

=

غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢٤هـ، ص ١٢٠-١٣٧.

(١) ـ علي صائب، الجغرافية المفصلة للممالك العثمانية، ترجمة: جمعة بن احمد الانطاكي، مكتبة الحرم النبوي، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٢) ـ حسن خلف الشيخ خزعل، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مطابع دار الكتب، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، ص ٥٥-٥٦.

(٣) ـ بندر علي العرومي، مرجع سابق، ص ١٢٠-١٣٧.

(٤) ـ الفرمانات العثمانية، الجمهورية التركية ـ رئاسة الوزراء والإدارة العامة لأرشيفات الدولة، رئاسة الارشيف العثماني، رقم النشر ٦٣، انقره، ترجمة: سهيل صابان، دارة الملك عبدالعزيز للنشر، الرياض، ٢٠٠٣م، ص ١٤.

ومقدونيا عام ١١٨٣هـ الموافق ١٧٦٩م، توفى والده ابراهيم وهو في سن الطفولة فتربى في كنف عمه طوسون حتى توفى، فأخذه احد اصدقاء والده حتى بلغ سن الثامنة عشر من عمره، حينها اقدم محمد علي باشا على تعلم الفروسية، وتزوج إحدى قريباته، ودخل في خدمة حاكم ميناء قولة وبلغ عنده منزلة كبيرة لما اظهره محمد علي باشا من فطنه وذكاء في جباية الاموال الضريبية، فضلاً عن ذلك اعانته اموال زوجته في العمل بالتجارة، وعندما بلغ محمد علي باشا سن الثلاثين من عمره خدمته الظروف التي المت بالدولة العثمانية، فولاية مصر تعرضت لغزو فرنسي بقيادة نابليون بونابرت وهذا التحدي تطلب من السلطان العثماني سليم الثالث اصدار امر لجمع الجنود وارسالهم إلى مصر، حيث ارسل محمد علي مع جنود البانيين ارسلهم حاكم قولة بلغ عددهم ٣٠٠ جندي بقيادة ابنه علي اغا، وعين محمد علي باشا مساعد له، وعندما وصل الجنود العثمانيين إلى مصر التحموا بالقوات الفرنسية، وكتب للجيش العثماني الخسارة، ونجى محمد علي باشا من هذه الواقعة وعاد إلى مسقط راسه، ثم عاد في عام ١٨٠١م، مع قوات اخرى، وبقى بعد ذلك في مصر، حيث خدمته الظروف في توليه قيادة الجنود العثمانيين في مصر حتى تقلد منصب الوالي[١].

(١) ـ عمر الإسكندري؛ سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢م، ط١، ٢٠١٢م، ص ١٢١-١٢٥.

٤٥ـ **الشيخ خليل**: هو خليل بن ابراهيم العباسي شهاب الدين الشاذلي[٢].

٤٦ـ **مراسلة**: يقصد بها رسالة والرسائل تتعدد وتتنوع حسب رغبة المرسل[٣].

٤٨ـ **مصطفى افندي**: هو مصطفى افندي الميري قاضي الشرع في مدينة الاسكندرية سابقاً[٤].

٤٩ـ **قاضي الشرع الشريف**: هو شخص يتولى القضاء ليحكم بين المتنازعين وفقاً لإحكام الشريعة الاسلامية، ويرتبط بحكم هذه الوظيفة الدينية بالقيام بالعديد من الاعمال منها الوساطة في حل النزاعات، وولاية الاطفال والاحداث وغيرها[٥].

٥٠ـ **ابراهيم العباسي**: هو ابراهيم العباسي شهاب الدين الشاذلي موظف في خدمة المقام العباسي في مدينة الاسكندرية[٦].

٥١ـ **مقام العباسي**: هو مقام وضريح احد مشائخ الصوفية بمدينة الاسكندرية نسبة لابي العباس المرسى المولود في الاندلس عام ٦١٦هـ الموافق ١٢١٩م، ويتصل نسبه بالأنصار، وحمل لقب مدينة مرسيه التي ولدبها ونشاء حيث كان والده يعمل في التجارة

(٢) ـ ينظر الوثيقة نفسها.

(٣) ـ بكيل محمد الكليبي، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٤) ـ ينظر الوثيقة نفسها.

(5)ـ Hallaq' Wael, AnIntroducton toIslamic, Oxford University Publishing House, London, 2009,p175.

(٦) ـ ينظر الوثيقة نفسها.

وسمحت حالة والده المادية في ارساله للتعليم وعند بلوغه سن الشباب سافر مع والده من الاندلس للحج عن طريق البحر وغرق كل من كان معهم ونجا ابي العباس واخيه وانتقل إلى تونس وعمل مثل والده في التجارة، والتحق بالمدرسة الصوفية الشاذلية في تونس ومنها رحل إلى الاسكندرية في مصر وتوفى بها وعمل له مقام يحمل اسمه لايزال إلي اليوم(١).

٥٢ـ ١٧ صفر ١٢١٨هـ: الموافق ٣١ مايو ١٨٠٣م.

المحور الثالث: سياقات الوثيقة السياسية والاجتماعية:

تضمن فحوى الوثيقة العديد من السياقات التي يمكن استشفافها من خلال مضمونها، الذي تناول العديد من الموضوعات، ومن هذه السياقات الاتي:

١. السياق السياسي:

يوضح السياق السياسي للوثيقة حدثين مهمين احداهما يسلط الضوء على احداث ولاية مصر، بعد طرد الحملة الفرنسية، بمساعدة الانجليز، والحدث الاخر يتناول اوضاع ولاية الحجاز، والظروف السياسية التي تعيشها، فكانت على النحو الاتي:

أولاً: أوضاع ولاية مصر:

تمكنت الدولة العثمانية من ضم مصر اليها، بعد ان تمكن السلطان سليم الأول من الاجهاز على اخر معاقل الدولة المملوكية، وقتل اخر سلاطينها السلطان طومان باي في ١٣ ابريل ١٥١٧م، واصبحت جميع املاك الدولة المملوكية للعثمانيين، وبحكم الامر الواقع سلم بقية المماليك للدولة العثمانية، واعترفوا بحكم السلطان سليم(٢)، مقابل ذلك ترك العثمانيين ولاية مصر بيد عناصر المماليك مع اجراء بعض التعديلات التي من شأنها بقاء السيطرة، بصورة توضح قناعة العثمانيين بحكم مصر بصورة غير مباشرة، وجعل امر الولاية بيد منظومة سياسية تشكل خليط بين المماليك والعثمانيين(٣)، ومع ذلك شهدت ولاية مصر بعد السيطرة العثمانية استقرار نسبي، في اوضاعها لاسيما أن العثمانيين شجعوا حركة التجارة، وضبطوا الاسواق فتدفقت السلع التجارية المختلفة اليها بدون عوائق تذكر(٤).

---

(١) ـ عبدالحليم محمود، العارف بالله أبو العباس المرسى، المؤسسة المصرية العامة للنشر والتأليف، القاهرة، ط١، ١٩٦٩م، ص ٣٨-٤١.

(٢) ـ سيد محمد السيد، مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر دراسة وثائقية في النظم الأدارية والقضائية والمالية والعسكرية، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص ٦٧-٦٨..

(٣) ـ اسامة محمد أبو نجل، حركات التمرد في مصر في بداية العهد العثماني (١٥١٧-١٥٢٤م)، والنتائج المترتبة عليها، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد ٢٦، جامعة قطر، ٢٠٠٣م، ص ٥ .

(٤) ـ مصطفى كامل عبده، حكاية مصر وبلاد السودان في العصر العثماني، سلسلة شهرية للشباب تعنى بنشر تاريخ مصر، العدد ٣٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٤٤٦.

شكلت مصر بعد خضوعها لحكم الدولة العثمانية، قاعدة مركزية للعثمانيين في الشرق، ومنطلق سياساتهم نحو المناطق العربية الاخرى، نظراً لموقعها الجغرافي المهم في المشرق العربي، وهذا يفسر سبب توجه الفرنسيين لاحتلالها من ايدي العثمانيين عام ١٧٩٨م، رغبة منهم في زيادة نفوذهم في البحر الابيض المتوسط، ولكن الفرنسيين فشلوا بالسيطرة عليها، نتيجة التعاون بين العثمانيين والانجليز، الذين تمكنوا من الحاق الهزيمة بالجيش الفرنسي، وتقدم الجيش العثماني من دخول القاهرة وسط ترحيب كبير من أهالي مصر، امام ذلك واجهت الدولة العثمانية تحديات سياسية كبيرة، في هذه الولاية لاسيما بعد طرد الفرنسيين، إذ سرعان ما دب النزاع بين الدولة العثمانية والجنود المماليك من أجل السيطرة على الولاية، ودخل الطرفين في صراع دامي، ظهرت شخصية محمد علي باشا، الذي قادته حنكته السياسية للسيطرة على مصر، حيث عين والياً عليها في ١٨٠٥م، لكن ولايته كانت مهددته من قبل المماليك واستطاع بدهاء من بسط سيطرته واخضاع جميع المعارضين له(١)، وبذلك تمكن محمد علي باشا من تثبيت اركان حكمه ليجعل من ولاية مصر مشروعاً سياسياً مهماً، ساعده في ذلك خبرته السياسية، والتجارية وتدرجه في تنفيذ اولوياته مبتعداً عن المجازفة والمغامرة، ونجح في بناء مصر الحديثة(٢).

(١) ـ عمر الإسكندري؛ سليم حسن، مرجع سابق، ص ١١٨-١٣٠.

(٢) ـ منير غبور؛ أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٥.

ثانياً: أوضاع ولاية الحجاز:

تعد ولاية الحجاز من أهم الولايات العربية التي سيطر عليها العثمانيين بعد سقوط دولة المماليك في مصر عام ١٥١٧م، حيث ترتب على ذلك دخول الحجاز سلمياً تحت الحكم العثماني، بعد ان اعلن الاشراف الولاء للدولة العثمانية، وبالتالي اصبح الحجاز خاضعاً للدولة العثمانية، نظر العثمانيين للحجاز بأهمية بالغة لمكانة هذه الولاية الدينية في نفوس المسلمين لاحتضانها المقدسات الإسلامية التي استمدت منها الدولة العثمانية الصفة الشرعية والمشروعية على مستوى العالم الإسلامي(٣)، تعاون الاشراف مع الدولة العثمانية، حيث تحكمت المصالح المشتركة بين الجانبين ومنها:

١- ابقاء الاشراف في حكم الحجاز مقابل إعلان الولاء للدولة العثمانية.

٢- اعتماد الدولة العثمانية على الاشراف لضبط الولاية لصالح الحكم العثماني.

٣- التزام الاشراف بتنفيذ سياسة الدولة العثمانية وعدم الخروج عن توجهاتها السياسية والدينية(٤).

(٣) ـ اعلي عبد المنعم شعيب، التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٩؛ إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ص ٣١.

(٤) ـ احسين محمد الغامدي، دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر ١٢١٣-١٢١٦هـ / ١٧٩٨- =

شهدت ولاية الحجاز تحديات كبيرة، لاسيما بعد أن توسعت الدولة السعودية الأولى، ونظرت الدولة العثمانية، لهذا التوسع بريبة وشك، حاولت معها وضع التدابير اللازمة لمنع سقوط المقدسات الإسلامية بيد السعوديين، ولم تنجح الدولة العثمانية، في منع سقوط الحجاز في أوائل عام ١٨٠٣م، بعد حصار دام شهر، ثم تبع ذلك السيطرة على مدينة (الطائف جنوب مكة المكرمة)، وتمكن السعوديون من الدخول إلى مكة في ٣٠ ابريل ١٨٠٣م، وبعد قرابة ثلاثة اشهر من السيطرة السعودية على مكة تمكن شريف مكة غالب بن مساعد من استعادتها في ٦ اغسطس من نفس العام، وعلى الرغم من السيطرة السعودية القصيرة إلا انها احدثت هزة كبيرة على مستوى العالم الإسلامي(١)، لمكانتها الدينية والروحية لدى الشعوب الاسلامية، حيث استمدت الدولة العثمانية مشروعيتها السياسية من خلال السيطرة المباشرة، على هذه المقدسات الإسلامية(٢).

٢- السياق الاجتماعي:

شهدت مصر اوضاع اجتماعية صعبة نتيجة انعدام الاستقرار السياسي، وتقاسم النفوذ داخل هذه الولاية، فبعد طرد الفرنسيين دخلت الولاية، في اتون نزاع شديد بين الزعامات المملوكية المدعومين من قبل الانجليز، وبين حاكم مصر الجديد المدعوم من قبل المصريين، الذين نظروا إلى محمد علي باشا الحل المناسب لمعالجة أوضاع الولاية السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية التي ساءت نتيجة الانقسام السياسي(٣).

ناقشت الوثيقة الجانب الاجتماعي وما يتعلق بعملية الترابط الاجتماعي، حيث ناقشت موضوع الطلاق، الذي يعد ظاهرة اجتماعية تنتج عن اختلاف الزوجين وانتهاء حالة الوفاق والعيش المشترك، وهذه الظاهرة تعد من اهم عوامل التفكك الاسري، نتيجة الغاء الزوجين لعقد الزواج الشرعي، حيث يترتب على ذلك دفع الرجل نفقه للزوجة عند الطلاق يتم حسب الاتفاق(٤).

يمكن القول اجمالاً أن معاملة المرأة وما يترتب لها من حقق كان يتم بموجب الشرع الاسلامي الذي يوضح الحقوق والواجبات على الزوجين اللذان قرر الانفصال الشرعي في علاقاتهم الزوجية، وهذا الجانب يقوم به اما رجال الدين، أو قاضي الشرع الاسلامي المخول في الفصل في الخصومات والمنازعات.

=

١٨٠١م، مجلة دار المنظومة، مجلد ٢٥، العدد ١، ١٩٩٩م، ص ١٢-١٣.

(١) ـ يلماز اوزتونا، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٥٣.

(٢) ـ بكيل محمد الكليبي، الإعلام العثماني في الحجاز ١٨٨٣-١٩١٨م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة إب، ٢٠٢٤م، ص ٦٨.

(٣) ـ منير غبور؛ أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٤) ـ احمد رأفت عبد الجواد، مبادى علم الاجتماع، مكتبة النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، ص ١١٦.

المحور الرابع: التحليل التاريخي للوثيقة:

تحدد الوثيقة سياقها التاريخي من خلال استعراض الاحداث التي دارت في ولاية مصر والحجاز خلال العام ١٨٠٣م، حيث يعد هذا العام مفصلياً في اوضاع الولايتين على النحو الاتي:

ولاية مصر: شهدت هذه الولاية العديد من الاحداث السياسية بعد خروج الفرنسيين منها حيث حاولت الدولة العثمانية، فرض وجودها من خلال الوالي محمد علي باشا والجيش العثماني المشكل من الجنود الالبان من جهة، وبين عدد من الامراء المماليك الذين يدعمهم الانجليز من أجل توسيع نفوذهم في الولاية، وتحجيم سلطة الدولة العثمانية، وتمكن العثمانيين من احكام قبضتهم عليها بفضل مجموعة من التدابير الآتية:

١- قوة شخصية الوالي محمد علي باشا وحنكته السياسية التي جعلت منه القائد المضل لدى المصريين الذين عانوا لسنوات من بطش الامراء المماليك.

٢- قدرة الوالي الجديد على احتواء الزعامات المملوكية بعيداً عن الاندفاع نحو المواجهة العسكرية التي من شأنها القضاء عليه نظراً لقوة خصمة.

٣- تشتت الامراء المماليك واختلافهم نتيجة وجود تنافس سياسي بينهم للظفر بالولاية بعيداً عن الدولة العثمانية.

٤- قاد تعاون المماليك مع الانجليز إلى اضعاف مشروعهم بإدارة الولاية على الرغم من امتلاكهم القوة لتحقيق ذلك.

٥- استغلال الوالي محمد علي باشا لكل هذه التناقضات وبنا عليها اهدافه السياسية التي تحققت بتثبيت وجوده بالولاية نتيجة خبرته وقراته للاحداث ومألاته.

ولاية الحجاز: شهدت ولاية الحجاز خلال عام ١٨٠٣م أحداث سياسية مفصلية هددت وجود العثمانيين داخل هذه الولاية لاسيما بعد أن تمكن السعوديين من السيطرة عليها، حيث شكلت هذه السيطرة تحدي كبير لشرعية الدولة العثمانية، ومشروعيتها كدولة إسلامية تحافظ على المقدسات الإسلامية، وتتزعم العالم الإسلامي، وبحسب مضمون الوثيقة التاريخي يمكن ملاحظة الاتي:

١- ضعف قوة الدولة العثمانية في حماية المقدسات الإسلامية في ولاية الحجاز.

٢- قوة نفوذ الدولة السعودية الأولى التي تمكنت من فرض وجودها بالقوة بالسيطرة على المقدسات الإسلامية التي اتخذ منها العثمانيين الشرعية الدينية لمشروعهم السياسي على مستوى العالم الإسلامي.

٣- ضعف الشريف غالب بن مسعد نتيجة تدهور اوضاع مصر السياسية لاسيما أن جميع المخصصات المالية والحماية للحجاز كانت تتكفل بها ولاية مصر.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى النتائج الاتية:

ـ مرت الوثيقة بعملية نقل المضمون الحرفي لها من خط العربي الذي كتبت به إلى الخط العربي الحديث ونقد محتواها.

ـ خرجت الدراسة بفك رموز الوثيقة والتعريف بمصطلحاتها التي وردت في مضمونها.

ـ تفسير سياقات الوثيقة السياسية والاجتماعية التي مرت بها ولاية مصر والحجاز.

ـ توضيح السياق التاريخي للوثيقة من خلال تتبع الاحداث التي دونتها الوثيقة التاريخية.

قائمة المصادر والمراجع:

١- رسالة الشيخ ابراهيم شهاب الدين الشاذلي خادم مقام العباسي في الاسكندرية لمحافظ مدينة الاسكندرية احمد باشا في ١٧ صفر ١٢٠١٨هـ، وثيقة منشورة على صفحة مركز التاريخ العربي في منصة اكس (تويتر سابقاً)، بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠٢٣م، الساعة ٩:٢٨ مساءً على الرابط الاتي:

https://x.com/arabhistoryp/status/

٢- بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، ج٢، تحقيق: محمد عبدالكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٣- رفعت محمد، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (١٧٩٨- ١٨٤٩م)، ج١، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، ط١، د. ت.

٤- ينظر محافظة على موقع:

www.google.com/serch?kgmid

٥- ابن منظور، لسان العرب، ج١، دار المعارف، تحقيق: عبدالله علي الكبير واخرون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٣٠هـ.

٦- الموسوعة العربية العالمية، ج٢، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.

٧- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م.

٨- عيشي وهيبة؛ لطرش زينب، التجربة الإصلاحية لمحمد علي باشا في بناء دولة مصرية حديثة ١٨٠٥-١٨٤٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة احمد دراية، الجزائر، ٢٠١٥م.

٩- احمد بن اسماعيل بن محمد تيمور، معجم تيمور الكبير للألفاظ العامية، ج٣، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.

١٠- محمد شفيق غربال، محمد علي الكبير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

١١-ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
١٢-مصطفى عبدالكريم الخطيب، معجم المصطلحات والالقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٣-يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١٤-ابن منظور، لسان العرب، ج٣، دار المعارف، تحقيق: عبدالله علي الكبير واخرون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٣٠هـ.
١٥-ابن منظور، لسان العرب، ج٤، دار المعارف، تحقيق: عبدالله علي الكبير واخرون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٣٠هـ.
١٦-احمد الزيات؛ ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٢م.
١٧-محمد فؤاد شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١-١٨١١م، ج١، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
١٨-محمد المرتضى الزبيدي الحسني، تاج العروس من جوهر القاموس، ج١، مصر، ١٣٠٧هـ.
١٩-ابي العباس احمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج١١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٨م.
٢٠-احمد الزيات؛ ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٢م.
٢١-يلماز اوزتونا، موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري ٦٢٩-١٣٤١هـ / ١٢٣١- ١٩٢٢م، ج٢، ترجمة: عدنان محمود سلمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
٢٢-منير غبور؛ احمد عثمان، صفحات من تاريخ مصر محمد علي باشا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
٢٣-ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج٢، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
٢٤-حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف، د.م، د. ت.
٢٥-خالد حسين سعيد جوهي، الحضارم في الحجاز ودورهم في الحياة العلمية والتجارية ١٢٥٦-١٣٢٧هـ / ١٨٤٠-١٩١٨م، سلسلة اصدارات مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (٢٠)، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ٢٠١٧م.
٢٦-بكيل محمد الكليبي، الإعلام العثماني في اليمن ١٨٧٢- ١٩١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة ذمار، ٢٠٢٠م.
٢٧-الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، ج١، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.

٢٨- ابن منظـور، لسـان العـرب، ج٢، دار المعـارف، تحقيـق: عبـدالله عـلي الكبيـر واخـرون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٣٠هـ.
٢٩- ابراهيم محمد بن ابراهيم الحلبي، مجمع الانهر في شرح الابهر المنتقى في الملتقى، ج١، تحقيـق: شـيخي زاده؛ العـلاء الحصـكفي، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٣٠- محمد شـفيق افنـدي، في قلـب الحجاز سلسـلة مقالات سياسية واجتماعية دينية تتضمن حقـائق ومشاهدات في قلب شبه الجزيرة العربية لم يسبق للرحالـة تدوينـه، مكتبـة المنـار، مصـر، ط١، ١٩٢٧م.
٣١- عـلي اكبـر فيـاض، تـاريخ الجزيـرة العربيـة والإسلام، ترجمة: عبد الوهاب علوب، مركز نشر جامعة القاهرة، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.
٣٢- بندر علي العرومي، ضم الحجاز في عهـد الدولـة السـعودية الأولى ١٢٢١هــ/ ١٨٠٢-١٨٠٦م، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة، كليـة الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢٤هـ.
٣٣- عـلي صـائب، الجغرافيـة المفصـلة للممالـك العثمانية، ترجمة: جمعة بن احمد الانطـاكي، مكتبـة الحرم النبوي، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ.
٣٤- حسبن خلف الشيخ خزعل، حياة الشـيخ محمـد بن عبدالوهاب، مطابع دار الكتب، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
٣٥- الفرمانات العثمانية، الجمهورية التركية ـ رئاسـة الوزراء والإدارة العامة لأرشيفات الدولة، رئاسة الارشيف العثماني، رقم النشر ٦٣، انقره، ترجمـة: سـهيل صـابان، دارة الملـك عبـدالعزيز للنشـر، الرياض، ٢٠٠٣م.
٣٦- عمر الإسكندري؛ سليم حسن، تاريخ مصـر مـن الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مؤسسـة هنداوي للتعليم والثقافـة، مصـر، ٢٠١٢م، ط١، ٢٠١٢م.
37- Hallaq'Wael, AnIntroducton toIslamic, Oxford University Publishing House, London, 2009,p175.
٣٨- عبدالحليم محمـود، العـارف بـالله أبـو العبـاس المرسـى، المؤسسـة المصـرية العامـة للنشـر والتأليف، القاهرة، ط١، ١٩٦٩م.
٣٩- سيد محمد السـيد، مصـر في العصـر العثمـاني في القـرن السـادس عشـر دراسـة وثائقيـة في الـنظم الأدارية والقضائيـة والماليـة والعسـكرية، مكتبـة مدبولي للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٤٠- اسامة محمد أبو نجل، حركات التمرد في مصر في بداية العهد العثماني (١٥١٧-١٥٢٤م)، والنتائج المترتبة عليها، حولية كلية الإنسـانيات والعلـوم الاجتماعية، العدد ٢٦، جامعة قطر، ٢٠٠٣م.
٤١- مصطفى كامل عبده، حكاية مصر وبلاد السودان في العصر العثماني، سلسلة شهرية للشباب تعنـى

بنشر تاريخ مصر، العدد ٣٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.

٤٢-علي عبد المنعم شعيب، التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٤٣- إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٤٤-احسين محمد الغامدي، دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر ١٢١٣-١٢١٦هـ / ١٧٩٨-١٨٠١م، مجلة دار المنظومة، مجلد ٢٥، العدد ١، ١٩٩٩م.

٤٥-بكيل محمد الكليبي، الإعلام العثماني في الحجاز ١٨٨٣-١٩١٨م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة إب، ٢٠٢٤م.

٤٦-احمد رأفت عبد الجواد، مبادى علم الاجتماع، مكتبة النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

الإذاعات الموجهه فى الحقبة الناصرية
صوت العرب نموذجاً

١٩٥٣-١٩٦٧م

Conductded Radios in Naseer,s Era
Swat El Arab as a model

1953-1967

د. زينب البكرى

دكتوارة كلية الآداب- جامعة القاهرة

تحتاج الأنظمة الحاكمة - أيا كان المسار الايدلوجى المصاحب لها - إلى وسيلة فعالة للاتصال بينها وبين الجماهير، فما بالك بالتوجه الاشتراكى وخطبه ذات النبرة الحماسية التى تستثير الجموع الغفيرة كى تقف ورائه خلف المشهد السياسى، بصرف النظر أيا كانت تبعات هذا المشهد، ومن هذه الزاوية نجح الفكر الاشتراكى فى مصر فى تعبئة ضخمة لعقول غالب المصريين، اسفرت فى نهايتها عن تكوين كايرزما ضخمة فى شخص السلطة الحاكمة، وهنا تبرز أهمية ما سمى بالوسيط الإعلامى كوسيلة لتحقيق أهداف بعينها وضعت بعناية من قبل النظام الحاكم. ومن هنا وقع اختيارى على الدور المهم الذي انيط بإذاعة صوت العرب كى تقوم به، فلماذا صوت العرب تحديداً، وهل كانت تخدم الايدلويجية الاشتراكية حقاً، وما هى مسارات النجاح التى بلغت اقصاها ثم انحرفت عن مسارها لتهوى إلى خيبات الفشل؟ وهل كان هذا الفشل لارتباطها بالنظام الحاكم.

كلمات مفتاحية:

إذاعة موجهه - صوت العرب - نظام حاكم - أيدلوجية - فكر اشتراكى.

The rolling regiems, whatever the ideological path, that accompined it, needs to an effective means of communications bettwen it and the public,what about the socialist thought, which its declaims speeches has an enthusiastic tone that provokes the

crowded public to stand behind the political scence,regardless the consequeces of this sense, and from this point of view, the socialist thoughts scucced in making mass mobilization for the minds of most Egyptian, which formed massive charisma in the person of rulling autjority. And here the important of what so-called the media, as a mediator to achieve certain goals, that putted carefully by the regieme. Hence i choised the important role of Swat el Arab radio station. So, why this choise specifically? Was it served the socialist ideology? What about its pass to a maximuim success, then it veered off its way to fall into disappointment, finaly, is this failure due to its connection with the rulling regime.

Key words:

Conductded Radios – Swat El Arab – rulling regiem – ideology – socialist thought.

مدخل

يلعب الاعلام دوراً فى غاية الاهمية لدى الأنظمة الساسية، باعتباره ممثلاً لتوجهات وافكار النظام الحاكم فى المقام الاول، مع تدشينه بمزيج ثقافى من شأنه أن يقوم بصبغته بالصبغة الثقافية، حتى لا تكشف أوراقه دفعة واحدة، وقد لعبت الاذاعات المسموعة دوراً كبيراً فى أتون الحرب العالمية الثانية، فكان هناك مذياع الشعب لدى ألمانيا، Volksempfanger، الذى نجح جوزيف غوبلز– وزير اعلام هتلر فى الحرب العالمية الثانية – فى ان يجعله متاحاً لجميع اطياف الشعب الالمانى(١). فكانت تجربة المذياع ماثلة أمام الاشتراكيين فى مصر، الذين كانوا يتحينون الفرص لبسط ايدلوجايتهم على جموع " العامة"، من لا يتمون إلى النخب المثقفة، ولهذا وقع اختيار على إذاعة صوت العرب، ليكون ذلك البوق الذى يبث الافكار الاشتراكية للشعب المصرى.

وتتجلى اول عقبة فى سبيل إنجاز هذا العمل، أن تراث إذاعة صوت العرب – السياسى-، تم محوه كاملاً، وبذلك ضاع ارث مهم جداً فى الدراسات التى تتعلق بالتجربة الناصرية فى مصر، ولكننا حاولنا إيجاد البديل، فتم ملاحقة أقطاب هذه الإذاعة قبل أن يرحلوا عنا، ومن هنا اعتمدت هذه الورقة على الروايات الشفهية كمصدر فعال للكتابة التاريخية، والتى من

(١) يمكنك الرجوع إلى الموقع الخاص بهذه الاذاعه الالمانية:
Repair Handbook.web. archieve .com

شأنها أن تقدم صورة متباينة الأبعاد فى دراسة الظاهرة موضع الدراسة، أمثال المعاصرون، ممن عملوا فى إذاعة صوت العرب: عبد الوهاب قطاية، محمد مرعى، ومحمد الخولى، وسعيد عماره، ولمياء محمود التى عاصرت تلك الفترة وتشغل الآن منصب مدير شبكة إذاعة صوت العرب، وكذلك شهادة أحمد سعيد رحمه الله من خلال البرامج التى حل فيها ضيفاً، أو من خلال من سجلوا لقاءات معه. كما اعتمدت البحث على الكتابة التاريخية التى من شأنها أن تمدنا بالجانب المكمل لهذه الصورة. وسوف يعالج البحث الأفكار الآتية: لماذا الراديو فى تلك الحقبه الناصريه؟ وهذا بدوره يجعلنا نتتبع نشأة الإذاعة المصرية، وتحديداً فكرة انشاء إذاعة صوت العرب، مع تسليط الضوء على البرامج التى تقدمها إذاعة صوت العرب، كيف تبدل الدور المهم الذى قامت به إذاعة صوت العرب فى العدوان الثلاثى ١٩٥٦، ليقدم صورة زائفة فى العام ١٩٦٧م، وما هى ملامح هذا الزيف؟ وتبعاته المختلفة على الوسط الاذاعى تحديداً.

بداية الإذاعة المصرية:

برزت اهمية الجماهير والرأى العام منذ بداية القرن العشرين، ثم تبعها ظهور الايدلوجيات المختلفة التى كان لها دورها الكبير فى الحرب النفسية بين جماهير الدولة الواحدة أو شعوب الدول المختلفة، ونظراً لطبيعة الراديو كوسيلة اعلامية جماهيرية لها مقدرة على تقديم المعلومات لملايين الأشخاص، فهذا يجعل الوسيلة الاخبارية لها قدرة هائلة فى توجيه الاهتمام بل والرأى، حيث أن المتلقى يفترض أن الأحداث التى تتم تغطيتها هامة لمجرد القيام بنقلها، وهذا يجعله يهتم بهذا المضمون ويعتبره شيئاً جديراً بالاهتمام[١].

ومن المعروف أن وسائل الاعلام شديدة الفاعلية فى نقل الاخبار، ولها مقدرة على خلق آراء حول الموضوعات الجديدة، وهذا يجعل قدرتها على التأثير خلال أوقات الثورات وعدم الاستقرار الاجتماعى كبيرة؛ حيث تكون الفرص كبيرة خلال هذه الظروف ليس فقط لتدعيم الأفكار الثورية ولكن أيضاً لاعادة تعريف الموضوعات التى لم يعطها المتلقى اهتماماً، خاصة أنه فى ظل ظروف التغيير الاجتماعى او السياسى يزداد عدم اليقين وتزداد الحاجة إلى المعلومات التى تزيد يقين الفرد، وذلك فى اطار تعريف ديلبوشرام للمعلومة بأنها المضمون الذى يقلل عدد اليقين أو عدد البدائل الممكنة فى ظرف معين[٢].

كانت الإذاعة فى مصر بيد عدد من الافراد لكل منهم محطة اذاعية صغيرة أولها تلك التى أنشأها المهندس حبشى حبشى والتى بدأت فى العام ١٩٣٠

(١) جيهان احمد رشتى: الأسس العلمية لنظريات الاعلام، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧٨، ص٦١٢ .

(٢) لمياء محمود سيد: تأثير العلاقات السياسية على المضمون الاخبارى لاذاعة صوت العرب، اطروحة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ١٩٩١، ص٢١.

لتذيع الاغانى والمنولوجات والسهرات الغنائية معتمدة فى ذلك على الاعلانات التجارية، واستمر هذا الحال حتى ٢١ يوليو ١٩٣٢ عندما الغت الحكومة هذه المحطات وأعطت شركة ماركونى البريطانية امتياز اقامة محطة اذاعية حتى صدر قرار حكومى يقضى بتوقيع اتفاق تصبح بموجبه هذه الشركة نائبة عن الحكومة المصرية فى ادارة شئون الإذاعة نظير أجر سنوى قدره ٥٧٣٤ جنيهاً، لينتهى بذلك عهد الاذاعات الاهلية وبدأ تنفيذ هذا العقد فى ٣١ مايو ١٩٣٢م(١).

وقد تولت الحكومة ادارة الإذاعة بشكل مباشر فى ٣١ مايو ١٩٤٧ ، بعد أن قررت وزارة الشئون الاجتماعية انهاء عقد شركة ماركونى واستلام الإذاعة اللاسلكية بكل ما يتصل بها ما يتصل بها من الاجهزة والمعدات والالات(٢)؛ حيث كانت ميزانيتها من الميزانيات الملحقة،اى أنها استقلت بمصروفاتها وايرادتها، مع الحفاظ على الموازنة بين المصروفات والايرادات بما تقدمه الحكومه تحت بند" اعانة حكوميه"، وظل الحال كذلك حتى العام ١٩٦٢م(٣).

---

(١) نبيل حنفى : دور الاذاعة فى توجيه الراى العام، مع التطبيق على ج.م.ع، اطروحة ماجستير، جامعة القاهرة ،كلية الاعلام، ١٩٦٧،ص٦٤.

(٢) حسنى أمين وصفى السيد: دور الاذاعة المسموعة فى التنمية القومية فى الجمهورية العربية المتحدة، اطروحة كتوارة، كلية الآداب، قسم الصحافة، ١٩٧٣، ص٩٠.

(٣) نبيل حنفى : دور الاذاعة فى توجيه الراى العام، مع التطبيق على ج.م.ع،ص٦٤.

صوت العرب" فكرة":

بداية فكرة انشاء إذاعة صوت العرب ترجع إلى مايو ١٩٥٣م، عندما طالب جهاز المخابرات المصرية الذى كان يرأسه زكريا محى الدين بانشاء برنامج يتحدث إلى الجماهير العربية وفقاً لمبادئ الثورة وأهدافها(٤)، ثم صدق على الفكرة مجلس قيادة الثورة، وقام جمال عبد الناصر بوضع النقاط الرئيسية لتنفيذ الفكرة(٥)، التى ترجع إلى فتحى الديب، حيث يقول: " إن اى ثورة تحتاج إلى اعلام، وكانت الإذاعة هى الوسيلة الوحيدة والمثالية آنذاك القادرة على توصيل ما نريده إلى الجماهير فى اى مكان، وكما هو معروف فإن الإذاعة لعبت دوراً كبيراً ورئيسياً فى الحرب العالمية الثانية، وكانت تجارب الاذاعات فى الصراعات والحروب ماثلة أمامى، وبخاصة تلك التى تستخدم أداة للتعبئة، وتشكيل وعى الجماهير، وحين طلب منى زكريا محى الدين اعداد الخطة، كان أول أمر افكر فيه هو كيفية ايجاد وسيلة تربط بين الثورة فى مصر والجماهير العربية فى كل مكان، وجاءت فكرة الإذاعة، واذكر أن جمال عبد الناصر حين ناقش معى الخطة، توقف طويلاً معى فى مسألة الإذاعة يناقشنى فى كيفية عملها والخطوط الرئيسية التى يجب أن تتحرك فيها، واحالنى إلى صلاح سالم بصفته وزيراً للارشاد

---

(٤) مجلة الاذاعة والتلفزيون، العدد ٢٧٨، اغسطس ١٩٨٨، ص١٤.

(٥) المرجع نفسه.

القومى.....[١].

انطلاقه بلا حدود:

بدأ بث صوت العرب فى الساعة السادسة من مساء السبت الرابع من يوليو عام ١٩٥٣، بزمن ارسال قدره نصف ساعة، وتم توزيع الدقائق الثلاثين على النحو التالى:

١. لحن مميز خاص يتميز بالصبغة العربية (أمجاد يا عرب أمجاد/ كارم محمود........ دقيقة.
٢. نشرة الأخبار متضمنة لكل الأخبار التى تهم المستمع العربى من أبناء الوطن العربى....... من ٧ إلى ١٠ دقائق.
٣. أغنية أو اغنيتان من الأغانى المحببة.. ١٠ دقائق.
٤. التعليق السياسى يتناول حدث اليوم......... لا يتعدى عشر دقائق.
٥. ينتهى البرنامج بإعادة اللحن المميز.... دقيقة[٢].

اتخذت صوت العرب اغنية " أمجاد يا عرب أمجاد" شعاراً لها، وهي الأغنية التى كتبها عبد الفتاح مصطفى ولحنها أحمد صدقى وغناها كارم محمود، والتى من مقاطعها:

أمجاد يا عرب أمجاد
ايش تروى الجبال الشم من خيرة رجال أبطال
تكتبها السيوف بالدم مسطورة على الرمال
أجدادنا فخر الأجداد أولادنا زين الأولاد
أمجاد يا عرب أمجاد.

كان واضحاً من هذه البداية أن الفكر الاشتراكى يشمر عن ساعديه لينقل إلى الجمهو ركل ما يريد أن ينقله، رافعاً شعار "أمجاد يا عرب أمجاد" للتذكير بفكرة القومية العربية، التى كانت فى هذه اللحظة فى حسبان الفكر اشتتراكى، وكما ذكرت بدا بث الاذاعه مدة نصف ساعة، فتم زيادة هذا المعدل الزمنى بشكل تدريجى؛ لتقدم الإذاعة خلال شهر واحد من قيام الثورة٥١ حديثاً وطنياً و٣٥ برنامجاً خاصاً و١٧ تمثلية إذاعية وطنية و٣٧ قصة شعرية وزجلية وطنية تدعو للعهد الجديد وتشرح اهدافه[٣]. وزادت المساحة الزمنية لعدد ساعات الارسال؛ ففى يناير ١٩٥٤ اصبح الارسال يومى لمدة ساعة، بعد أن حل صوت العرب محل البرنامج الثانى الذى تم الغائه[٤]. وفى يوليو ١٩٥٤ ارتفع الارسال إلى سبع ساعات يومياً ثم زيد حتى اصبح ٢٢ ساعة ونصف يومياً[٥]. اعقب ذلك

(١) عباس متولى: اذاعة صوت العرب التى قوضت الاستعمار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩، ص٣٧.
(٢) احتفالية صوت العرب بالعيد التسعين للمؤسس الرئيس التاريخى أحمد سعيد، ٢٩ اغسطس ٢٠١٥- ٢٩ اغسطس ٢٠١٥،ص٥.
(٣) عاطف عدلى العبد: الاذاعة والتلفزيون فى مصر، دار الفكر العربى، ٢٠٠٢، ص٦٩.
(٤) المرجع نفسه، ص١١٦.
(٥) عباس متولى: اذاعة صوت العرب التى قوضت الاستعمار، ص٤٢.

بث صوت العرب لبرامجها عبر ثلاث اذاعات: صوت العرب، إذاعة فلسطين، إذاعة وادى النيل، لمتابعة ما يطرأ على الساحة من متغيرات، وتغطية الأحداث(١).

البرامج الاذاعية المختلفة

عملت الاذاعه على تقديم أنواعاً مختلفة من المواد الاذاعية التى تجمع بين السياسة والفن والادب والعلوم والموسيقى العربية وبرامج المنوعات(٢). وعنيت الإذاعة بنشرات الاخبار العامة والمحلية والنشرات الاجنبية إلى جانب النشرات المالية والتجارية، حيث بلغت عدد النشرات الاخبارية التى تقدمها الإذاعة ١٣٩ نشرة يومياً تذاع ب ٣٣ لغة فضلاً عن اللغة العربية فى برامجها المحلية والموجهة(٣).

ومن أشهر البرامج التي قدمتها إذاعة صوت العرب، برنامج الشعب في سيناء الذى، الذى كان يقدم أثناء فترة إحتلال سيناء كوسيلة لمد جسور التواصل بين أهالي سيناء المحتلة ووطنهم مصر، وبرنامج كومبيونت والذي كان يذاع مساء يوم الأربعاء، برنامج ملتقى الأحبة كل أسبوع، بالإضافة إلى البرامج الأخبارية الرصينة التي تعد مصدرا مهما آنياً لأهم الإنفرادات الأخبارية التي قدمها نخبة من أهم مذيعي الأخبار والمحاورين السياسيين في العالم العربي فى هذه الفترة، ومنهم منال هيكل وشحاتة أبو المجد ومحمد حلمي وعلي الطواب وأيمن عطية وفايز المليجي(٤).

ومن ناحية أخرى، أولت صوت العرب عناية خاصة للبرامج السياسية، أشهرها برنامج" أكاذيب تكشفها الحقائق" تقديم أحمد سعيد، ومحمد عروق، وبرنامج "الخليج والجزيرة" يذيعها سعد غزاله، وبرنامج "المغرب العربى" لمحمد عبد الفتوح، وبرنامج "معهد على الهواء"، لعبد الوهاب قتاية، وبرنامج" شارع الصحافة" لعاطف كامل، بالاضافة إلى البرامج الآتية: حوار مفتوح، حوار مع مستمع، أسماء فى الأخبار، وهى برامج تناوب عليها فريق الشئون السياسية الذى ضم: سمير عبد التواب، صلاح السويفى، محمد الدالى، عصمت إبراهيم، ممدوح أبو بكر، صبرى صبيحه، محمد فهيم(٥). ويذكر عبد الوهاب قطايه الذى كان يعمل كمذيع فى صوت العرب من ١٩٧٠-١٩٦٠، أنه كان يقدم برنامج "سوق عكاظ"، وهو برنامج ادبى، "حديث الذكريات" الذى استضاف فيه رجاء النقاش، صلاح عبد الصبور، نازك

(١) اتحاد الاذاعة والتلفزيون ، الكتاب السنوى، ٢٠٠٤، ص٦٩.

(٢) سهير سيد جاد: البرامج الثقافية فى الاذاعة المسموعة دراسة مقارنة بين البرنامج العام وصوت العرب، اطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ١٩٧٨ .

(٣) نبيل حنفى : دور الاذاعة فى توجيه الراى العام،ص٧٠.

(٤)ويكيبيديا الموسوعة الحرة متاحة على الانترنت مادة اذاعة صوت العرب.

https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=صوت_العرب

(٥)عباس متولى: اذاعة صوت العرب التى قوضت الاستعمار، ص٣٠.

الملائكة، وبرنامج "١+١"، وبرنامج "حوار مفتوح"، ومن اشهر البرامج التى قدمت " برناج" لغة العـرب"، كانت عدد حلقاته ٢٧٠ حلقة، لدرجة أن مجمع اللغة طالب بشراء نسخة منه بعـد اذاعتـه فى الـدول العربيـة، كما أنه نال جائزة اتحـاد الـدول العربيـة، بالاضـافة إلى برنامج " الجميلة تشكو"، ومن البرامج التى اسـتمرت بإذاعة صوت العرب " لغة الحضارة"(١).

وللحـديث عـن الـدور المحـورى الـذى قامـت صوت العرب كان لنا أن نلتقى بالاستاذ محمود الخولى الذى عمل بصـوت العـرب منـذ العـام ١٩٦١م حتـى العـام ١٩٧١م، وكـان يقـدم النشـرات الاخباريـة، ثـم تعاون مع احمد سـعيد فى سلسـلة مـن البـرامج القوميـة الاشتراكية، التى تهدف إلى تقـديم الأفكـار الاشـتراكية للناس: ومن أهم هذه البرامج معالم الاشتراكية العربية، ورواد الاشتراكية، والبرنامج الآخير يعتمـد عـلى فكـرة ال sami Drama، حيـث يكتـب المـادة العلميـة كبـار الكتاب مثل: أحمد رشدى صـالح، سـامى داود، عميـد الامام وهو فلسطينى، وبعد ذلك يتم تناول هذه المـادة بشكل درامى من خلال فنـانين أمثـال: محمـد السبع، كريمة مختار، احسان القلعاوى، عايـدة عبـد الجـواد، (التى كانت نقيب الممثلين فى لبنان)، ويذكر عمارة أنه تم تقديم سيرة حياة الفـلاح الفصيـح، وسـبارتاكوس، وأبـو ذر الغفـارى، وسـان سـيمون، وبرنـارد شـو، وتومـاس بـين، وكـارل مـاركس وبرنـارد شـو،ولينن، وماوتستونج وغيرهم من دعاة الاشتراكية(٢).

كانت هذه البرامج تهدف إلى تقديم فكـر اشـتراكى بطريقة مبسـطة لعمـوم النـاس، ومثـال عـلى ذلـك، أن الميثاق الـوطنى الـذى اصـدره عبـد الناصـر فى العـام ١٩٦٢م نص فى المادة الثلاثين على " أن يعطى للفـلاح والعامل نصف مقاعد المجالس الشعبية عـلى اخـتلاف المستويات" هذا هو نص المادة، فتـم اعـادة صـياغته ليتم استيعابه، وكان ذلك دور الاستاذ عبد الفتاح شلبى مؤلف الإغانى المعتمـد لـدى الإذاعـة، الـذى كتـب" فلاح وعامل لهم دستورنا راح يضمن نصف الكراسـى ليمثلهم يكون قيمة دول اغلبيـة وهـم السـاعد الأيمـن واى تنظيم سياسى راح يجمعهم ويرد روحهـم ويرفـع شـأنهم دايمـا "، ويغنـى بهـذه الكلمـات التـى يكتبهـا الشاعر عبـد الفتـاح، والشاعرسـيد حـواس، مطـربين أمثال محمـد طـه، محمـد العزبـى، وذلـك فى فقـرة " بالمواويل البلدية على الارغـول الـوطنى نهـدى الأمـة العربيـة عمـل الميثـاق الـوطنى"(٣). ومـن البـرامج الآخرى الهادفـة إلى تقـديم الفكـر الاشـتراكى برنـامج "معهد على الهواء" الذى قدمه محمد الخولى مع عبـد الوهاب قطايه، والذى كانت حلقاته عبـارة عـن تنـاول تاريخ النضال المصرى من العـام ١٩١٩ إلى ثـورة ٢٣ يوليو، وقد لاقى هذا البرنامج نجاحاً هـائلاً، درجـة أن

(١) حديث تليفونى مع عبـد الوهـاب قطايـه بتـاريخ ٨ ابريـل ٢٠١٩.

(٢) لقاء مع محمد الخولى بتاريخ ١٤ ابريل ٢٠١٩.

(٣) لقاء مع محمد الخولى بتاريخ ١٤ ابريل ٢٠١٩.

تم تعيين محمد الخولى بعدها – فى العام ١٩٦٦ – مندوب فى رئاسة الجمهورية، وظل فى منصبه هذا حتى العام ١٩٧٠، وكان قد اشترط بقائه فى هذا البرنامج(١).

أحمد سعيد ومسيرة نجاح:

نجحت إذاعة صوت العرب فى تجربتها الاعلامية، التى خاضتها إذاعة صوت العرب فى الخمسينيات؛ درجة إنها استطاعت أن تقف بقوة فى وجه اعلام ثلاث دول هى بريطانيا وفرنسا واسرائيل، ربما كان ذلك نتيجة للعوامل الآتيه:

- ✓ التصاق صوت العرب بفكر وقادة الثورة التى كان لها صدى كبير لدى الجماهير العربية، واعتماده على ترديد الكلمات والشعارات التى رفعوها.
- ✓ اهتمام القادة السياسية بالرسالة التى يقدمها صوت العرب.
- ✓ سيادة اللغة العربية فى المنطقة العربية، بالاضافة إلى عدم وجود خدمات اذاعية فى كثير من الدول العربية
- ✓ اللهجة التى كان يتحدث بها كانت متلائمة مع الاتجاهات العاطفية للجماهير العربية تجاه

(١) لقاء مع محمد الخولى بتاريخ ١٤ ابريل ٢٠١٩.

قضاياها(٢). ففى تسجيلات إذاعة صوت العرب يقول أحمد سعيد بصوته الجهور" هكذا العرب أيها العرب إن كنتم رابطة واحدة متماسكين مستعدين متحدين يصعب على الاستعمار أن يحطمكم.... وفى مناسبة آخرى يقول " صوت العرب ينادى العرب من قلب العروبة النابض من القاهرة.."(٣).

كان أحمد سعيد القائد الذى وقع عليه الاختيار لتحقيق الهدف المرجو من إذاعة صوت العرب، ساعده فى ذلك ثلاثة عوامل على قدر كبير من الأهمية:أولها: الأهداف القومية المحددة للجهاز الاعلامى، وثانيها: سقف الحرية غير المحدود – الذى اعطى له– فى اطار الأهداف الكبرى القومية التحريرية

(٢) صابر حمد جابر حماد: أثر المعالجة الاعلامية لقضايا الوطن العربى فى اذاعتى صوت العرب وهيئة الاذاعة البريطانية، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ٢٠٠٧، ص١٢٤.

(٣) برنامج شهادة للتاريخ مع الخبير الاعلامى أحمد سعيد، لقناة النيل للأخبار، تقديم ريهام الديب، بمناسبة وفاته ، اذيع فى ٦ يونيه ٢٠١٨. شوهد فى يناير ٢٠٢٠.
https://www.youtube.com/watch?v=_a-8teWnF8U

سياسياً واقتصادياً وحضارياً، وأخيراً اختياره الجيد لفئة الشباب الذين سيقومون معه فى نقل تلك الرسالة من خلال عملهم بإذاعة صوت العرب، الذين بدأو فى يناير ١٩٥٣ باثنين فقط، ثم تزايد تباعاً(١). ولذلك نجده يدير عملية اختيار الشباب بحرفية كبيرة، فكان يشترط قبول أوائل الدفعات للعمل فى الإذاعة، مثل أمين بسيونى، محمد مرعى، محمد الخورى، سعد نصار، وغيرهم(٢)، والأهم من ذلك التعبئة الفكرية لهؤلاء الشباب، كى يكونوا مهيئين للقيادة فى تلك الحقبة الثورية، تقول أمينة صبرى أنه عندما كان يستقبل من تم تعيينه يقول له" هل أنت موظف، ولا صاحب رسالة، لو صاحب رسالة متسالش عن مرتب ولا أجازات.. لأنك صاحب رسالة"(٣).

اسفرت هذه التعبئة عن نجاح منقطع النظير، درجة أن جموع المواطنين فى العالم العربى اقبلوا على شراء اجهزة الراديو، وكانوا يطالبون البائعين ضبط المؤشر على صوت العرب أو إذاعة احمد سعيد كما كانوا يطلقون عليها، وهذا ما دفع كبريات شركات الانتاج أجهزة الراديو العالمية لأن تكتب على الأجهزة فى مكان ظاهر باللغة العربية "راديو صوت العرب"(٤). وكتب الصحفى ادوارد سابليه المتخصص فى شئون الشرق الأوسط فى صحيفة لوموند الفرنسية أنه لا يعرف مقهى واحداً فى بقعة العالم العربى لايفتح الراديو فيه على صوت العرب، وجميع سيارات التاكسى فى دمشق وبغداد وغيرها من المدن العربية الآخرى تدير أجهزة الراديو على صوت العرب بناء على طلب الركاب، حتى أن الركاب والسائقين يبلغ الانفعال بهم حداً يهدد حياة المشاة فى الشوارع بالخطر(٥). وللتدليل على مكانة إذاعة العرب فى البلدان العربية ذكرت أمينة صبرى أنها كانت فى زيارة إلى حلب لحضور مسرحية "شقائق النعمان" للمبدع دريد لحام، وفى هذا الوقت تاخر رفع الستار ساعة كاملة، وعندما تحدث دريد لحام إلى الجمهور قال لهم

(١) أحمد سعيد: صوت العرب، مقال فى احتفالية صوت العرب بالعيد التسعين للمؤسس الرئيس التاريخى أحمد سعيد، ٢٩ اغسطس ٢٠١٥- ٢٩ اغسطس ١٩٢٥، ص٢-١.

(٢) لقاء مع محمد الخولى بتاريخ ١٤ ابريل ٢٠١٩.

(٣) لقاء خاص مع اعلامية اذاعة صوت العرب أمينة صبرى فى برنامج "صاحبة السعادة"، يمكن مشاهدته من على اليوتيوب. شوهد فى يناير ٢٠٢٠.

https://www.youtube.com/watch?v=p-ekHjTbA9U

(٤) احتفالية صوت العرب بالعيد التسعين للمؤسس الرئيس التاريخى أحمد سعيد، ٢٩ اغسطس ٢٠١٥- ٢٩ اغسطس ٢٠١٥،ص٨. وكذلك مقال المحلل والكاتب الأمريكى ويليام .س. إليس فى مجلة هاربرالأمريكية فى عدد يونيه ١٩٦١ ، عنوانه " الصوت الآخر لعبد الناصر، ترجمة الاذاعى محمد مرعى. حيث ذكر أنه استمع إلى أحد الكويتين يقول للبائع سوف اشترى هذا الراديو اذا تعهدت لى بأننى استطيع أن اجد فيه أحمد سعيد.

(٥) احتفالية صوت العرب بالعيد التسعين للمؤسس الرئيس التاريخى أحمد سعيد ،ص ١٠.

" دى اول مرة يتاخر رفع الستار ساعة كاملة ولو عرفتوا هتقفوا معايا عشان صوت العرب من القاهرة موجود هنا فى المسرح دلوقتى"، وهنا وقفت الجماهير تصفق تصفيق حاد لمدة عشر دقائق ليس من أجل أمينة صبرى ولكن من أجل صوت العرب(١).

اسهمت الإذاعة فى ميدان الاعلام الداخلى، فأذاعت أول بيانات الثورة وعملت على شرح مبادئها الستة، وقدمت للجماهير المفاهيم الثورية الجديدة وايضاح خطوات التغيير الاجتماعى نحو الاشتراكية العربية(٢).

ولعبت دوراً فى معركة التحرير العربى، يقول فتحى الديب "وقد لعبت إذاعة صوت العرب التى أنشأناها فى بداية تحركنا النضالى لوضع خطة التحرر العربى موضع التنفيذ فى المنطقة بفتح ابواب المعرفة أمامنا من خلال العديد من الاتصالات التى تمت ما بين إذاعة صوت العرب وكثير من العناصر الحزبية واللاحزبية بكافة دول الشمال الافريقى، والتى وجدت فى صوت العرب منبراً اتاح لها فرصة التعبير عن مشاعر شعوبهم وموقفها من السياسة الاستعمارية الفرنسية، وقد واكب بدء هذه الإذاعة فى بثها أحداثاً دفعتنا إلى ساحل الشمال الافريقى، وهيت أحداث يوم ٢٠ أغسطس ١٩٥٣ بإلقاء السلطات الفرنسية القبض على الملك محمد الخامس ونفيه وأسرته إلى جزيرة كورسيكا.. وهكذا توطدت العلاقة بين أسرة صوت العرب ومكتب المغرب العربى بالقاهرة، والذى كان يرأسه وقتئذ عادل الفاسى رئيس حزب الاستقلال عن المغرب، ومحمد خضير عضو حزب الشعب عن الجزائر، وصالح بن يوسف أمين عام الحزب الدستورى الجديد عن تونس...(٣). ومما جاء فى مساندة الثورة الجزائرية البيان الذى اذاعته القوات المسلحة فى ذلك الوقت:

" أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية أنتم الذين ستصدرون حكماً بشأننا نعنى الشعب بصفة عامة والمناضلين بصفة خاصة، نعلمكم أن الغرض من نشر هذا الاعلان هو توضيح الأسباب العميقة التى دفعتنا إلى العمل وهدفنا تحقيق الاستقلال فى اطار الشمال الافريقى ورغبتنا فى أن نجنبكم الالتباس الذى يمكن أن توقعكم فيه الامبريالية وعملائها وبعض محترفى السياسة الانتهازيين نحن نعتبر أن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة الأنجاز النهائية فإذا كان هدف اى حركة ثورية هو الظروف الثورية للقيام بعملية تحررية فإننا نعتبر الشعب الجزائرى فى أوضاعه الداخلية ملتف حول

(١) لقاء خاص مع اعلامية اذاعة صوت العرب أمينة صبرى فى برنامج "صاحبة السعادة"، يمكن مشاهدته من على اليوتيوب. شوهد فى يناير ٢٠٢٠.
https://www.youtube.com/watch?v=p-ekHjTbA9U

(٢) نبيل حنفى : دور الاذاعة فى توجيه الراى العام،ص ٧٠.

(٣) فتحى الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، القاهرة، دار المستقبل العربى، ١٩٨٤، ص ٢١-٢٢.

قضية الاستقلال والعمل"[١].

زاد اقبال الجزائريين على سماع الإذاعة المصرية بصفة عامة، وإذاعة صوت العرب بصفة خاصة، وقد قدرت أجهزة التصنت الفرنسية فى العام ١٩٥٤ إنه وجد بالجزائر ٢٠ , ٠٠٠ مذياع[٢]. وكان للدعم الذى قدمته صوت العرب أن لجأت فرنسا إلى منع الجزائريين من سماع تلك الإذاعة حتى أن الواحد منهم كان يستمع خلسة إلى إذاعة صوت العرب ثم يخبر باقى الناس أن إذاعة صوت العرب قالت كذا وكذا....[٣]. مما دعا الاستعمار إلى إنشاء محطات اذاعية لمواجهة صوت العرب[٤]؛ حيث انشئت إذاعة مصر الحرة فى عام ١٩٥٥، وهى أول إذاعة سرية معادية موجهة للشعب المصرى[٥]. وقد روج الاعلام الغربى ابان حرب ١٩٥٦ أن صوت العرب تماثل إذاعة "جوبلز" وزير اعلام هتلر ابان الحرب العالمية الثانية فى بعدها التعبئوى والدعائى، حيث استطاع صوت العرب أن يصمد ويحقق نجاحاً على اعلام ثلاث دول وهى: انجلترا وفرنسا واسرائيل، وأعلن بن جوريون رئيس وزراء اسرئيل فى فترة الحرب أن الاعلام المصرى انتصر، وأعلن ايدن رئيس وزراء بريطانيا فى هذه الفترة أن بلاده انفقت ٢٥ مليون جنيهاً استرلينياً على الدعاية، ولكنه للأسف هزم أمام الاعلام المصرى[٦].

واصلت الإذاعة مسيرة النجاح،فقامت بتكثيف جهودها لفضح الاحتلال ومخططاته وتأليب الجماهير عليه، حتى اصبح المخطط لاسقاطها بات واضحاً للعيان، بل وأصبح – بتحفظ – من اهداف الاستعمار، فتم ضرب محطات الارسال فى منطقة ابو زعبل، ولكنها استطاعت بخبرة مهندس الإذاعة المصرية أن تقوم مرة ثانية[٧].ويعلق الاذاعى محمد مرعى على ذلك بقوله " ان المقصود من ضرب محطات الارسال بما فيها صوت العرب، هو اسكات صوت العرب، نظراً للدور الهام الذى لعبته الإذاعة فى تلك الفترة تحديداً "[٨]. وفى خطاب عبد الناصر القاه فى العاشر

---

(١) لقاء خاص مع اعلامية اذاعة صوت العرب أمينة صبرى فى برنامج "صاحبة السعادة"، يمكن مشاهدته من على اليوتيوب. شوهد فى يناير ٢٠٢٠.
https://www.youtube.com/watch?v=p-ekHjTbA9U

(٢) راجع: الأحمر قادة: إذاعة صوت العرب ودورها فى خدمة الثورة الجزائرية ١٩٥٤–١٩٦٢، مجلة أفاق فكرية، العدد ١، ديسمبر ٢٠١٤، ص٤٨–٤٩ .

(٣) المرجع نفسه.

(٤) عاطف عدلى العبد: الاذاعة والتلفزيون فى مصر، دار الفكر العربى، ٢٠٠٢، ص٧٠.

(٥) صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، القاهرة، دار القاهرة للطباعة والنشر ، ١٩٦٧، ص٧٠.

(٦) احتفالية صوت العرب بالعيد التسعين للمؤسس الرئيس التاريخى أحمد سعيد،ص٨.

(٧) أمين بسيونى: الدور العربى للراديو المصرى، مجلة الفن الاذاعى، العدد ١٠١، ابريل ١٩٨٤، ص١٢٥–١٢٠ .

(٨) لقاء مع محمد مرعى بتاريخ ٣ ابريل ٢٠١٩.

من نوفمبر عام ١٩٥٦، قال:" صوت العرب الذى كان يذيع صوت الأمة العربية جاءت الأعداء وضربته... صوت العرب يتحدث اقوى مما كان... صوت العرب هدف عسكرى تضربه طائرات بريطانيا وفرنسا.. صوت العرب اقوى مما كان ويعلم أن العرب متحدون كاملاً"(١).

وفى حديث للصحفى أحمد عبد الوهاب، قال وزير الاعلام الاسبق الدكتور عبد القادر حاتم، أنه عنما اندلعت حرب ١٩٥٦ استهدفت الدول الثلاث إذاعة صوت العرب، حيث إنهم قد اذاعوا انذاراً للمواطنين بأنهم سيقومون بضربها، كان هذا الانذار يوم الثلاثاء وموعد خطبة عبد الناصر يوم الجمعة، وبالفعل تم ضرب إذاعة صوت العرب، حتى قال له عبد الناصر " هل رأيت، مالناش صوت خالص"، فقلت له أنا عندى محطة سرية سوف اذيع منها، فسأله عبد الناصر كيف عرفت أن إذاعة صوت العرب ستضرب، فأجابه أنه عندما ارسلتنى إلى فرنسا قبل الحرب، اخذت تهديدات وزير الخارجية على محمل الجد(٢).

استأنفت الإذاعة المسيرة فى الستينيات فقدمت العديد من البرامج ذات الصبغة السياسية، أشهرها كما يذكر عبد الوهاب قطايه: " اكاذيب تكشفها حقائق" الذى كان يقدمه احمد سعيد بصوته الجهورى، ويرد عليه محمد عروق الذى جاء مديراً بعد أحمد سعيد، ومثال على ذلك يقول محمد عروقى بأن الإذاعة الاسرائيلية كذا وكذا...، ويرد عليه أحمد سعيد بالحقائق والأرقام، وكان هذا البرنامج يؤرق اسرائيل" على حد قول قطايه، بالاضافة إلى برامج من حلو الكلام، الجريدة العربية، حوار على بعد وهذه البرامج بصوت أحمد سعيد(٣). وكان عبد الوهاب يقدم برنامج " معهد على الهواء" وهو منبر الفكر القومى والناصرى، وفى ثنايا البرنامج كانت تتم إذاعة مقتطفات لعبد الناصر، يذكر أن قطاية كان امين الاتحاد الاشتراكى بالإذاعة(٤). وكانت زوجته أ. تهانى فترة الستينيات تقدم سلسلة من البرامج: "عمالقة الأمس ونجوم اليوم"، "شموع فى حياتى"، " الحياة والحب والأمل، وهو بديل برنامج " صباح الخير يا عرب"، وبرنامج " المضحكون فى الأرض"، الذى يستضيف نجوم الكوميديا من الكتاب والفنانين"(٥).

كانت هذه البرامج تسير بالتزامن مع البرامج

---

(١) أمين بسيونى: الدور العربى للراديو المصرى، ص١٢٥- ١٢٠.

(٢) نشر على موقع سبوتنيك عربي بتاريخ ٤ نوفمبر ٢٠١٧. وأيضاً عباس متولى: اذاعة صوت العرب التى قوضت الاستعمار، ص٦٤.

(٣) برنامج شهادة للتاريخ مع الخبير الاعلامى أحمد سعيد، لقناة النيل للأخبار، تقديم ريهام الديب، بمناسبة وفاته ، اذيع فى ٦ يونيه ٢٠١٨. شوهد فى يناير ٢٠٢٠.

https://www.youtube.com/watch?v=_a-8teWnF8U

(٤) حديث مباشر مع عبد الوهاب قطاية بتاريخ ٨ ابريل ٢٠١٩.

(٥) حديث مباشر مع عبد الوهاب قطايه بتاريخ ٨ ابريل ٢٠١٩.

الثقافية، رصدها عبد الوهاب قطايه: من كل قطر أغنية، وهو يقدم أغنية من الأقطار العربية، وكان يحظر إذاعة اغانى فنانى الدرجة الثالثة، الأول والثانى فقط، ومن برامج المنوعات، برنامج " الف سلام"، الذى يقدم رسائل من الأراضى المحتلة أو المسافرين فى البلدان المختلفة، فتأتى الأسر إلى الإذاعة ليتصلوا على الهواء مباشرة بذويهم، كهدية من إذاعة صوت العرب، بالاضافة إلى برنامج " ليالى الشرق"، وهو اشبه بحفلات أضواء المدينة التى كان يقيمها اتحاد الإذاعة والتلفزيون فيما بعد، ومن البرامج الأدبية والفكرية، "يارب"، " مع الله"وكان قطاية يقدم برنامج " سوق عكاظ" الذى قدم فيه شعراء العالم العربى والذى استمر حتى عام ١٩٦٥[١]. وكان الاذاعى محمد مرعى من الجيل الثانى لإذاعة صوت العرب يقوم بإذاعة البرامج الاتية: مندوب تلى ستار للأنباء الفانتستيك، بالتعاون مع الكوميدى الرائع فى ذلك الوقت محمود التونى، والفنانة سميرة عبد العزيز، والمخرج خيرى بشارة، وفكرة البرنامج أنه يقوم بنقل ما يحدث فى ارجاء العالم على مدار الاسبوع وتحويله إلى صورة درامية يعرف الناس من خلالها ماذا حدث[٢]، بالاضافة إلى برنامج " سندباد وتابعه مايك"، الذى يتناول مكان واحد فى تواريخ مختلفة بالتعاون مع محمود التونى أيضاً[٣]. وكان سعيد عمارة يقدم البرامج الآتيه: الدين والحياة، شخصيات خلدها التاريخ، برنامج الخليج والجنوب، برنامج الجزيرة العربية، بالاضافة إلى التعليقات السياسية، وأيضاً برنامج المنوعات ١+١، وبرنامج تعرف على بلادك[٤].

كانت فترة الستينات تمثل أوج مرحلة الازدهار لإذاعة صوت العرب، درجة وصفها، درجة ان الكاتب ويليام. س. إلليس William.S. Ellis، وصفها بأنها "الصوت الاخر لعبد الناصر"[٥].

١٩٦٧ والانحراف عن مسار النجاح

استمرت إذاعة صوت العرب تحقق المزيد من التعبئة الفكرية والتوعوية بالفكر الاشتراكى، حتى حلت أزمة عام ١٩٦٧ بين مصر واسرائيل، فوجهت إليها اصابع الاتهام بأنها لم تفصح عن حقيقة سير المعارك، وأن أحمد سعيد كان يتلقى اخباراً مغلوطة فيزيد أو يضيف من عنده بحيث يجعل الرأى العام مشوشاً أو مبلبلاً، ارجع البعض ذلك إلى أن الخطأ ليس خطأ صوت العرب بقد ما كان خطأ الروساء الذين كانوا يشرفون على الدعاية، بل إن القيادة العليا فى مصر كانت تعجب مما يقال فى الإذاعة، ويبدو أن واضعى

(١) حديث مباشر مع عبد الوهاب قطايه بتاريخ ٨ ابريل ٢٠١٩.

(٢) لقاء مع محمد مرعى بتاريخ ٣ ابريل ٢٠١٩.

(٣) لقاء مع محمد مرعى بتاريخ ٣ ابريل ٢٠١٩.

(٤) حديث مع سعيد عمارة بتاريخ ١٥ ابريل ٢٠١٩.

(٥) Harpers, s Magazine, united state of Amrica, N: July 1961.

استراتيجة الدعاية نسوا ان أن الانكسارات تتطلب نوعاً من الدعاية يختلف عن الانتصارات، بمعنى أن اهم شئ ألا نكذب على أنفسنا أو نصور شيئاً ليس حقيقياً[١]. ويضيف الاعلامى عباس متولى أنه تم تقديم صورة غير حقيقية عن انتصاراتنا الزائفة فى الحرب واسقاط مئات من الطائرات الاسرائيلية كالذباب ووصول القوات المصرية إلى تل ابيب[٢]. بل واذاعت صوت العرب خبراً عن أن أم كلثوم وافقت على أن تقيم حفلتها القادمة فى تل أبيب[٣]. وينقل محمد مرعى بصفته شاهد عيان هنا، الصورة المغلوطة التى تمت اذاعتها فى تلك الفترة، فيقول: "كنت فى اليمن– صنعاء فى تلك الفترة–، وكنت اتابع الاخبار كاى مصرى فى ذلك الوقت، وفى ليلة العدوان كنت سهران أنا وصديقى على موسى وكان يعمل فى اخبار صوت العرب فى الشئون السياسية، نحلل الاوضاع فى المنطقة، وقلت أن مصر على وشك أن تقوم بحرب، كان ذلك فى الواحدة مساءاً، ونمت بعدها، وفى الصباح استيقظت، وذهبت للبقال، لقيت راديو شغال وحواليه مجموعه من اليمنين متجمعين حول الدكان ويسمعوا باهتمام بالغ عن مصر والحرب، قلت لهم فى ايه، البقال عرفنى الاخبار وقال لى لا تخشي من شيء انتو منتصرين.. فى طائرات اسقطت العدو.. اطمئن فى اخبار كويسة"[٤].

وفى هذا الموقف وجد أحمد سعيد نفسه فى مواجهة حقيقية للموقف، بل ووحيدة، صاغت كلماته وصفاً مجمعاً لأبعاده، يقول أحمد سعيد: "أنه بعد إذاعة عبد الناصر لبيان التنحى طلبت من وزير الاعلام محمد فائق أن يذهب إلى بيت الرئيس ليعرف تطورات الموقف، لأنه بعد بيان التنحى لم يسأل عنا احد، حتى أنه عندما ابلغنى سامى شرف مدير مكتب الرئيس أن المشير عبد الحكيم عامر قادم إلى الإذاعة بالمصفحات انقطع الاتصال بعدها واصبحت مسئولاً عن الجماهير التى تتحرك فى الشوارع، بما يعنى أن البلد فلتت ومن الممكن فى مثل هذه الظروف أن تحدث حرائق أو سرقات أو يكون هناك تنظيم جاهز يعد نفسه لمثل هذا اليوم للقفز إلى السلطة، فلا يدرى أحد ما الذي يمكن أن يحدث، لذلك كان أهم شئ فى ذلك اليوم ٩ يونيو هو السيطرة على الجماهير، فاستمررت فى نفس الخط الحزين الذى بدأته فى ٨ يونيو عندما بدأت مصر تطلب وقف اطلاق النار، ولكن مع رفع جميع الاغانى التى تأتى فى سيرة عبد الناصر وسيرة الثورة، مبقياً على الاغانى التى تتحدث ن البلد باعتبارها اهم شئ عندنا

(١) صابر حمد جابر حماد: أثر المعالجة الاعلامية لقضايا الوطن العربى، ص١٢٥.

(٢) عباس متولى: اذاعة وتلفزيون فى نصف قرن، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦، ص٢٢.

(٣) عباس متولى: إذاعة وتلفزيون فى نصف قرن، ص٩٩.

(٤) لقاء مع محمد مرعى بتاريخ ٣ ابريل ٢٠١٩.

فى مثل هذه الظروف[١].وفى يوم ٩ يونيو ظهر جمال عبد الناصر على الإذاعة المرئية واعلن استقالته، وتشكلت فى الحال مظاهرات شعبية هائلة تطالبه بسحب استقالته وهى مظاهرات تلقائية دون شك وشكلت لحظة اخرى من الاتصالات بين الزعيم وشعبه[٢].

وبشهادة عباس المتولى أن كل المعلومات التى اوردها فى بياناته العسكرية عن الاشتباكات لم يخط فيها كلمة واحدة بقلمه، بل كانت تاتيه تباعاً من الشئون المعنوية للقوات المسلحة[٣].ووصف محمد الخولى تحميل سعيد مسئولية الهزيمة بأنها من " الحماقة والجهل السياسى فقد كان أحمد سعيد وقتها هو صوت الحكومة"[٤]. ويعلق محمد مرعى على دور احمد سعيد قائلاً: "احمد سعيد شهادة للتاريخ ظلم ظلماً بيناً، لأن المذيع لا يستطيع أن يضيف كلمة واحدة فى البيان الاخبارى أو التعليقات، لأنه فى هذه الحالة يعاقب عقاباً صارماً لو غير كلمة فى اى بيان يصل إليه، وكانت هذه البيانات تأتى من القيادة العامة للقوات المسلحة فى تلك الفترة"[٥]. وتتفق معه د. لمياء محمود رئيس شبكة صوت العرب الآن،التى عاصرت احمد سعيد، الذى عمل فى إذاعة صوت (١٩٦٧-١٩٥٣)، فى أن احمد سعيد ظلم تاريخياً، وهو ليس مسئول عن النكسة كما تشير سهام الاتهامات الموجهة إليه، أنه فقط اذاع بيانات وصلت إليه، تماماً مثلما فعل عبد العزيز المنياوى فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١[٦]. وتضيف فى حوار لها مع الاعلامى محمد المغربى على قناة الغد بأن احمد سعيد ادى مهمته ولو كان امتنع فى ذلك الوقت لوجهت إله تهمة الخيانة، وأنه ادى عمله وكانت هذه النتيجة، ولم يدافع عن نفسه، ولم يدخل فى معارك، كأنه يقول من يصدقنى يصدقنى، ومن لا يصدق لا يصدقنى إلى أن رحل عن عالمنا فى ٥يونيه ٢٠١٨[٧].

لقد أجمل البعض حصاد التجربة الاعلامية التى خاضتها إذاعة صوت العرب إبان حرب ١٩٦٧، ونعتها بالفشل للأسباب الآتيه:

- ✓ عدم التخطيط الاعلامى للمعركة.
- ✓ اتباع مصر اسلوب التسخين فى تعبئتها

---

(١) نقلاً عن صابر حمد جابر حماد: أثر المعالجة الاعلامية لقضايا الوطن العربى، ص١٢٥.

(٢) هنرى لورانس: اللعبه الكبرى فى المشرق والاطماع الدولية، ترجمة: عبد الحكيم الاربد، مراجعة رجب بودبوس، الطبعة الاولى، الجماهيرية العربية الليبية ، الدار الجماهيرية للنشر والاعلان، ١٩٩٣، ص٢٦٦.

(٣) عباس متولى: اذاعة وتلفزيون فى نصف قرن، ص٢٢.

(٤) لقاء مع محمد الخولى بتاريخ ١٤ ابريل ٢٠١٩.

(٥) لقاء مع محمد مرعى بتاريخ ٣ ابريل ٢٠١٩.

(٦) لقاء مع د. لمياء محمود بتاريخ ٣ ابريل ٢٠١٩.

(٧) حوار د.لمياء محمود مع الاعلامى محمد المغربى على قناة الغد، بتاريخ ٥ يوينه ٢٠١٨، يوم وفاة احمد سعيد .يمكن مشاهدته على اليوتيوب : شوهد فى يناير ٢٠٢٠.

https://www.youtube.com/hashtag/alghad_channel

للمعركة، وذلك بالكلمات الحماسية الجوفاء والاناشيد التشنجيه.

- ✓ اخفاء الحقائق وعدم الصدق فى البلاغات الرسمية.
- ✓ عدم الاهتمام بالرأى العام الاجنبى والتشويش على اذاعته فى المنطقة، وفرض الرقابه على برقياته وصحفه(١).

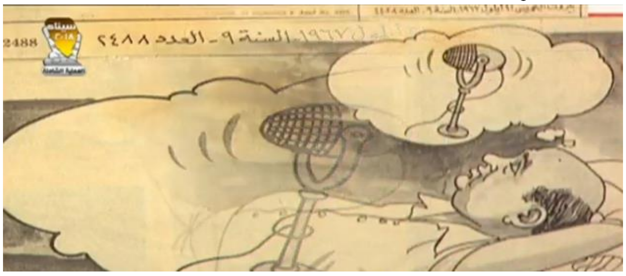

ويرد عبد الوهاب قطايه على التهام الذى وجه إلى الإذاعة بأن إذاعة صوت العرب قد ضللت الناس، ولم تقدم صورة حقيقية، واصفاً ذلك بأنه "كلام قهاوى"، ويذكر أن يجب الرد على ذلك فى ضوء الحقائق الآتيه:

- لم يقدم صوت العرب كلمة زيادة عما قدمته جميع اجهزة الالام المصرية فى ذلك الوقت، وأيضاً البرنامج العام الاوروبى، وأن ما تم اذاعته عبارة عن بيانات كانت تأتى من القوات المسلحة، ويبدو أننا دفعنا ثمن النجاح، بمعنى أن صوتنا كان مسموع أكثر من الاجهزة والاذاعات الآخرى، فتحملت صوت العرب المسئولية رغم أن ما اذاعته هو نفس ما اذاعته الاذاعات الآخرى.
- كما أنه معروف أن غير مسموح فى أوقات الحرب أن تغير حرف واحد من اي بيان يصدر من رئاسة الجمهورية أو من القوات المسلحة، وقد تحملنا عبء ذلك لأننا انفردنا بإذاعة البيانات.
- الشئ الآخر هو أن ذلك لا يمكنه أن يلغى الدور الذي قامت به إذاعة صوت العرب فى مواجهة الاستعمار، لأن صوت العرب نشأ ليسند المغرب فى مواجهة الاستعمار الفرنسى، وكان يحمل رسالة ايقاظ الجماهير وتوعيتها، وفى سبيل ذلك كانت تستخدم نغمة "ايثارية توعوية"، وهذا ملاحظ فى النغمة التى تذيع بها البيانات الاخبارية فى البرامج السياسية ضد الاستعمار.
- تعمد نسيان الدور الثقافى والأدبى الذي قام به صوت العرب، فالناس عرفت عن مناطق لم تسمع عنها من قبل من المحيط إلى الخليج لم يكن لهم متنفس غير صوت العرب، اضافة إلى دورها فى السياسى التوعوى، وفى كل بلد تجد إذاعة صوت العرب وقتها الإذاعة رقم الأولى، قبل اذاعتهم المحلية، فتغافل الناس عن هذا الدور وركزوا على "الصورة الزائفة"، التى كانت

---

(١) محمد عبد البديع: التناول الاخبارى لأحداث الأزمة العراقية الكويتية: دراسة تحليلية للنشرات الاخبارية باذاعة صوت العرب، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة،كلية الاعلام، ١٩٩٥،ص٣١٠.

تهدف إلى النيل من عبد الناصر، وضد حركة المد القومى، وهم الاعداء الذين تأمروا على الوحدة العربية فيما بعد(١).

محاولة التغير فى سبيل الصمود

حاولت إذاعة صوت العرب الحفاظ على النجح الذى وصلت إلي، فغيرت من اللغة التى كان يتم مخاطبة الجماهير من خلالها، باستخدام نبرة التعقل والرصانة محل الصراخ والعصبية، حيث اتبعت إذاعة صوت العرب المنهج العقلانى المعتمد على التخطيط والرؤية الواقعية الفعلية التى تؤكد أن الأمة العربية بما لديها من امكانات تستطيع أن تواجه المستقبل، وأنها قادرة على التحدى وعلى الانتصار رغم مرارة الهزيمة(٢).وبدأ أحمد سعيد ١٣ يونيه ١٩٦٧ حملة اعلامية تكشف أسباب الهزيمة العسكرية المروعة انطلاقا من افتقاد أساليب اتخاذ القرارات فى العواصم العربية المختلفة خاصة المشرق العربى لقواعد الحرية الواجبة عند تقرير المصير، والدروس التى يجب أن تتعلمها الجماهير من النكسة(٣). انعكس ذلك على ابتكار برامج جديدة، فعقب النكسة،يذكر قطايه، أنه كان هناك برنامج" حوار مع مستمع"، وكان عمال صوت العرب يحضرون لنا "جوال" ممتلئ بالرسائل، التى تأتى من جميع أنحاء العالم، عبارة عن تسأولات وأفكار وانتقادات، وكانت هناك صراحة ووضوح فى هذا البرنامج، وبدون رقابه عليه، فممكن أن تأتى رسالة تقول أن عبد الناصر كان ديكتاتورياً، ونرد على الرسالة وهكذا... وكان هذا البرنامج حلقتين فى اليومين ليتم الرد على جميع الرسائل التى ترد إلى إذاعة صوت العرب(٤). ويعلق الخولى قائلاً:" اننا انفسنا كنا نكتب الرسائل لأننا كنا غاضبين، والرئيس نفسه كان يستمع إلى البرنامج لدرجة أنه طلب من سامى شرف أن يكتب تقرير عن الرأى العام من خلال برنامج حوار مع مستمع، وكان محمد فايق وزير الاعلام يدعم هذا البرنامج، كنوع من أنواع المصارحة مع النفس(٥).

وفى مرحلة ما بعد النكسة، وضعت إذاعة صوت العرب على عاتقها تحقيق الأهداف الآتيه:

- ✓ التصدى لأحاسيس المرارة والتمزق التى كانت تجتاح المنطقة العربية، والحفاظ على صلابة النفس العربية من خلال اذكاء روح الثقة فيها، للتأكد أنها قادرة على تجاوز المحن والصعاب والتحديات.
- ✓ تأكيد الاحساس بقومية المعركة باعتبار أن المسئولية عن المصير ليست مسئولية دولة عربية وإنما مسئولية الأمة العربية كلها.

(١) حديث مباشر مع عبد الوهاب قطايه بتاريخ ٨ ابريل ٢٠١٩.

(٢) صابر حمد جابر حماد: أثر المعالجة الاعلامية لقضايا الوطن العربى، ص١٢٥.

(٣) تعليق كفاح العرب الثالث بصوت أحمد سعيد.

(٤) حديث مباشر مع عبد الوهاب قطايه بتاريخ ٨ ابريل ٢٠١٩.

(٥) لقاء مع محمد الخولى بتاريخ ١٤ ابريل ٢٠١٩.

✓ اعادة بناء التضامن العربى وترميم كل الشروخ التى لحقت به خلال مراحل الخلاف العربى[1].

وتحول صوت العرب بعد النكسة بعد هزيمة ١٩٦٧، فقد أصبح يهاجم الملك حسين، والملك فيصل، وشاه ايران، حتى أن برنامج محمود السعدنى كان يهاجم "شخبوط الاماراتى وكان برنامجه يردد " شخبوط لعبوط نزل بريطانيا يلم القوت... نزل بيروت يلم....[2]، ووسط أجواء النكسة كان هناك اعادة لبناء القوات المسلحة، والاستمرار فى مسار التنمية والتى من أهمها بناء السد العالى[3].

ختام،،،

وختاماً، فإننا حاولنا أن نقوم برصد محطة اذاعية كبيرة، هى من صنيعة النظام نجح النظام الحاكم فى ذلك الوقت أن يستخدمها منبر للفكر الاشتراكى وتقديم أفكاره الثورية للشعب المصرى بطرق مبسطة من ناحية ومن خلال الوسائل الحديثة فى تلك الفترة،حققت تلك الإذاعة فى الخمسينيات الهدف المرجو منها ونجحت فى تقديم الرسالة التى القيت على عاتقها، وصنعت لها اسماً لازال يعرف فى جميع انحاء العالم، ولكن بما أنها إذاعة قد ارتبطت بالنظام الحاكم فى المقام الاول وهذه ليست فرضية وإنما حقيقة، فقد اشارعبد الغفار شكرى بالنص أن" الطليعة العربية نظمت عدة انشطة إعلامية بهدف التواصل مع أعضائها وتزويدهم بالمعارف الضرورية لممارسة نشاطهم بفاعلية، ومن هذه الأنشطة برنامج "معهد على الهواء" الذى كان يتناوب على تقديمه محمد الخولى عضو أمانة الشؤون العربية فى الاتحاد الاشتراكى، وهو مذيع فى صوت العرب، وزميله المذيع عبد الوهاب قطآيه"[4]، فكان شيئاً بديهيا أنه عندما يخفق هذا النظام معركة من معاركه (او تتم هزيمته) ان يكون لها نصيباً من هذا الاخفاق، وهذا ما يفسر هذا الهجوم المبالغ فيه على تلك الإذاعة إلى حد وصفها بأنها وبقيادة أحمد سعيد كانت سبب هزيمة ١٩٦٧، ومن رأيى أن تفسير هذا الهجوم كان هجوماً على النظام الحاكم بذاته، لأنه المنبر الذى قام بنقل أفكاره لجموع البسطاء والعامة، وقد تشابهت آراء من نقلنا شهادتهم بشأن إذاعة صوت العرب، وهم من أبناء جيل الستينيات الذى شهد اعلى مراجل الفكر القومى فى تلك الفترة، لذا نراهم يدافعون عن الإذاعة ليس من منطلق انتمائهم الوظيفي إليها،

(١) محمد عبد البديع: التناول الاخبارى لأحداث الأزمة العراقية الكويتية: دراسة تحليلية للنشرات الاخبارية باذاعة صوت العرب، ص٣١١-٣١٠.

(٢) حديث مع سعيد عمارة بتاريخ ١٥ ابريل ٢٠١٩.

(٣) لقاء مع محمد الخولى بتاريخ ١٤ ابريل ٢٠١٩.

(٤) راجع عبد الغفار شكر: الطليعة العربية والتنظيم القومى السرى لجمال عبد الناصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠١٥،ص٣٢٣. وللايضاح فإن محمد الخولى قام بتسليم كل الوثائق المتعلقة بهذا التنظيم الطليعى، وقام بتسليمه إلى عبد الغفار شكر، ليقوم بنشر الوثائق المتعلقه بهذا التنظيم.

وانما مـن منطلـق انتمـائهم الفكـرى فى المقـام الأول، ناهيك عن ارتبـاطهم بـالحزب الاشـتراكى كمـا سـبق واشرنا، وفى النهاية وبصـرف النظـر عـن كونهـا إذاعـة ارتبطت بالفكر الناصرى فى تلـك الفتـرة إلا إن هـذا لا يقلل من كونها إذاعة كانت لها اسهاما واضحاً فى مسـار الحركة الثقافية والفكرية فى تلك الفترة من تاريخ مصر.

ملحق (١)

تعليق كفاح العرب الثالث بصوت أحمد سعيد ١٩٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم
صوت العرب

تعليق كفاح العرب الثالث
الثلاثاء ٥ ربيع ١٣٨٧ هـ
١٣ يونيو حزيران ١٩٦٧ م

واجب المائة مليــــون بعد النكســـــة
أحمد سعيـــــد

من النكســـة :
يجب أن تتعلم الجماهير ..
ومن أسبابها :
يجب أن تعود الى الحياة الحركة المعاصرة للتاريخ العربى ..
ومن نتائجها ..
يجب أن تنطلق جميع قوى المائة مليون : سياسيا واقتصاديا وعسكريا لفرض البعد الكبير على الجزء الخرب المدمر ..

فالنكسة وقعت .. وفرضت نفسها على المنطلق الذى ساد زمانا وطن العرب ..
وقام بعدها واجب حتمى يفرض اليوم وعلى كل العقول العربية المائة مليـــون أن تجد الاجوبة : والأجوبة الصحيحة وحدها : عن عدة أسئلة تفرض نفسها الآن وتلح فى عناد كله حقد ، واصرار كله دم :

السؤال الاول :
ماهى الأسباب الرئيسية للنكسة : الأسباب السياسية والأسباب العسكرية .. ثم لابد أن هناك أسبابا عربيـة ؟

السؤال الثانى :
ماذا يريد اليوم الاستعمار .. متمثلا فى أمريكا وبريطانيا ، سواء بالنسبـــة لمخططاتهما الامبريالية ، أو بالنسبة لقاعدتهما اسرائيل ؟

والسؤال الثالث :
أين تقف منا دول العالم .. سواء دول الكتلة الشرقية أو دول أوربا وآسيا وأفريقيا وكذلك أمريكا اللاتينيـة ؟

والسؤال الرابع :
ماهى الاسلحة التى يمكن أن نخوض بها معركة سياسية أو غير سياسية : نزيل بها آثار العدوان ، وننطلق بها فى مسيرتنا النضالية القوميـة ؟

(٢)

هذه هي الأسئلة الرئيسية الاربعة التي طرحتها العقول العربية الثائرة على الأمة العربية الباقية لتعيد النظر فيها... جدوى من نجربتها وأيضا من النكسة ذاتها أجوبة محددة ودقيقة في صدقها !!

فالواقع العربي اليوم الايجب تركه لمجرد التوجيه ضد اليأس .. أو لمجرد الايمان بالقومية .. أو لمجرد جمع ما تبعثر من شتات هذه الأمة - كذلك لايجب تركه لتلك الدعايات التي تريد أن تقتل فيه روح هزيمة النكسة ولتحقيق الكتلة الغربية أو حتى لتحقيق الكتلة الشرقية ... في الاحتواء لهذه الكتلة أو تلك ما يراد أن يصور له اليوم من أنه حبل النجاة للعرب أو القشة التي يمكن أن يتعلق بها الغريق العربي .

فالواقع الذي قام بالأمس بالنكسة : يفرض أولا وقبل كل شيء تتبعها يقوم على تحقيق شامل لجميع أسباب النكسة ..

ابتداء من الأسباب العسكرية .. الى الأسباب الحربية - الى الاسباب الادارية الى الأسباب السياسية المتصلة بعواصم دول العالم الكبرى في الشرق قبل الغرب ..

ولقد أشار جمال عبد الناصر الى بعض هذه الأسباب .. ولكن عجالة النكسة وسرعة رد فعلها عندئذ لم تتح حتى الآن لكل مسئول عربي .. والمسئول العربي اليوم هو كل مواطن عربي - أن يدرك أسبابها الكاملة وأبعاد هذه الاسباب في مصر وفي كل عاصمة عربية اشتركت في القتال أو تعاطفت معه أو وقفت تتفرج عليه ..

فأسباب النكسة : لايجب أن تتصور فقط على أنها عسكرية الجوانب ..

وأسباب النكسة أيضا : لايجب أن نبحث عنها فقط في عواصم الغرب من دون الشرق ..

وأسباب النكسة كذلك : لايجب أن نفتش عنها ونقلب في مصر فقط أو في سوريا أو في الاردن ..

وأسباب النكسة بالحتم : يجب أن نحفر عنها ونتعمق في أساليب العمل العربي وأيضا في أساليب ومخططات الحكم العربي طوال السنوات الماضية وعلى امتداد الساحة العربية .

فالكل :

القادة عليهم ..

يجب أن يؤمنوا جميعا : أن ارادوا خروجا من النكسة والى النصر :

الكل :

القادة عليهم ..

يجب أن يؤمنوا جميعا بعد وليتهم من النكسة .. لافرق بين رئيس هنا أو ... هناك .. لافرق بين حاكم هنا أو عامل هناك .

(٣)

فالكل مسئول ..

فالكل يملك الحق ..

يجب من اليوم أن يمارس هذه المشاركة ..

يجب أن يمارس ثلاثة ملايين ،

يجب أن يمارسوا حقهم في البحث عن أسباب النكسة ..

ثم يجب أن يمارس الباقون ،

يجب أن يمارسوا حقهم في ضرب وتدمير جميع أسباب النكسة ..

هناك أسباب سياسية ..

هناك أسباب عسكرية ..

هناك أسباب عالمية ..

ثم هناك أيضا أسباب شعبية .. تتصل بمسئولية الجماهير عن كل التنظيمات الواسعة التنظيمية والحكومية وأيضا الممارسة الديمقراطية والتي تفلت منها بصورة مذهلة قاسية كل الأسباب التي أوجدت النكسة .

الشعب كله .. يجب أن يفكر ..

الشعب كله .. يجب أن يقرر ..

الشعب كله .. يجب أن يراقب ..

الشعب كله .. يجب أن يحكم نفسه .. وليتحرك دائما بسد الثغرات التي قد تفرض على أمة العرب نكسة أذل وأخطر ..

فالاستعمار اليوم :

أمريكا وبريطانيا :

يريدان وقد وجها الى القوة العربية ضربة النكسة : أن يلحقا بتصفية العداء الذي الذي أشعلته الجماهير بثورة ٢٣ يوليو تموز ، وصولا الى احتواء الغرب للمنطقة العربية من جديد ، يتمركز فيها ليتابع نهب ثرواتها البترولية ، ولتأمين سلامة أوضاعه الاستراتيجية ، وليحفظ لأجيال قادمة قاعدته العسكرية العدوانية اسرائيل .

ولقد قرأت الجماهير العربية من الخليج الى المحيط ، قرأت على الاستعمار ضربته الذاتية الى رمز حركتها القومية الاجتماعية عندما أصرت على بقاء ناصر في حياة شعبية عسكرية شعبي ورسمي وفي أبعاد المؤامرة الاستعمارية ..

والاستعمار بطبيعة الحال لم يستسلم .. فهو بمنطق القوة ، ومن مركز التصور لن يلبث أن يحاول توجيه ضربة أخرى : ان لم تكن في المرة القادمة موجهة مباشرة الى القاعدة العربية الرئيسية مصر : الا أنه ولا شك سيحاول أن يوجهها الى القاعدة الثورية العربية في اليمن .. أو على الأقل في سوريا أو في العراق أو في الجزائر .

(٩)

كذلك الاستقلال الوطني الذي حصلت عليه الكويت مثلاً — والمغرب — والسودان وغيرها من بلاد العرب ؛ سيظل ولا شك في ظل النكسة لمدلول حالته من قبل الاستعمار تحت رحمة أرض تهدد عليه ومحاولات لإبعاده تحول دون انطلاقه ليسهم في عملية النكسة ومواجهة الاستعمار وانتزاع النصر .

مؤامرات عديدة . ومخططات متتابعة . يجري ولا شك وضع الكثير منها موضع التنفيذ .

ومسئولية المائة مليون —

مسئولية الجماهير قبل الحكام ؛ مسئوليتهم أن يحكموا فوق الحكام —

مسئولية الجماهير أن تنتزع حريتها . وأن تحطم حدودها . وأن تكون لـ كل مكان حراساً ؛ على كل بئر بترول — في كل ميناء بترول — داخل قصر كل حاكم — وأمام وخلف كل مسئول .

لا شيء يترك للصدفة —

فيوم من الخليج وإلى المحيط مصير مائة مليون قبل أن يكون مصير مجموعة الحكام والمسئولين .

وحدة يا أخي العربي —

وحدة يا مائة مليون عربي

هل تريدون أجوبة عن الأسئلة التي فرضتها الهزيمة ؟

أسباب النكسة : السياسية — العسكرية — التربوية — المالية — الفرقية — العروبية ؟

تحديد الأسلحة التي يمكن أن تزيل بها النكسة ولننطلق من جديد في مسيرتنا الثورية الاجتماعية ؟

ليس لدي لكم — والصورة تعتصر منها القلب وينزف منه الدم ؛ غير أن أؤكد من جديد على ضوء جميع الأسباب العامة للنكسة ؛

أن املكوا مصيركم —

أن قرروا مصيركم —

أن ثقوا فقط بأنفسكم —

أن ثقوا فقط بمصيركم —

ثم —

أن لا تطمئنوا إلى وعد لأجنبي متطلع إلى احتوائكم من الغرب أو الشرق —

(٥)

وأن لا تتخلوا عن كونكم مائة مليون – فلا تتركوا كثيرين بعروبتكم وبلغتكم الحيتان
ثائرة الآن أمواجها في محيط الصراع العالمي .

اللهم قد بلغت –

اللهم أني أشهدك –

ـــــــــــــــــــــــ

١٢ يونيو سنة ١٩٦٧

مادرية

ثبت المصادروالمراجع:

- أمين بسيونى: الدور العربى للراديو المصرى، مجلة الفن الاذاعى، العدد ١٠١، ابريل ١٩٨٤.
- الأحمر قادة: إذاعة صوت العرب ودورها فى خدمة الثورة الجزائرية ١٩٥٤-١٩٦٢، مجلة أفاق فكرية، العدد ١، ديسمبر ٢٠١٤.
- اتحاد الإذاعة والتلفزيون، الكتاب السنوى، ٢٠٠٤.
- احتفالية صوت العرب بالعيد التسعين للمؤسس الرئيس التاريخى أحمد سعيد، ٢٩ اغسطس ٢٠١٥- ٢٩ اغسطس ٢٠١٥.
- جيهان احمد رشتى: الأسس العلمية لنظريات الاعلام، القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الثانية، ١٩٧٨.
- حسنى أمين وصفى السيد: دور الإذاعة المسموعة فى التنمية القومية فى الجمهورية العربية المتحدة، كلية الآداب، قسم الصحافة، ١٩٧٣.
- سهير سيد جاد: البرامج الثقافية فى الإذاعة المسموعة دراسة مقارنة بين البرنامج العام وصوت العرب، أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية الاعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٨.
- صابر حمد جابر حماد: أثر المعالجة الاعلامية لقضايا الوطن العربى فى اذاعتى صوت العرب وهيئة الإذاعة البريطانية، أطروحة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ٢٠٠٧.
- صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، دار القاهرة للطباعة والنشر، ١٩٦٧.
- عاطف عدلى العبد: الإذاعة والتلفزيون فى مصر، القاهرة، دار الفكر العربى، ٢٠٠٢.
- عبد الغفار شكر: الطليعة العربية والتنظيم القومى السرى لجمال عبد الناصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠١٥.
- عباس متولى: اذاعة وتلفزيون فى نصف قرن، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦.
- ..... إذاعة صوت العرب التى قوضت الاستعمار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩.
- فتحى الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، القاهرة، دار المستقبل العربى، ١٩٨٤.
- لمياء محمود سيد: تأثير العلاقات السياسية على المضمون الاخبارى لإذاعة صوت العرب، أطروحة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ١٩٩١.
- محمد عبد البديع: التناول الاخبارى لأحداث الأزمة العراقية الكويتية: دراسة تحليلية للنشرات الاخبارية بإذاعة صوت العرب، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ١٩٩٥.
- نبيل حنفى: دور الإذاعة فى توجيه الراى العام، مع التطبيق على ج.م.ع، أطروحة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ١٩٦٧.

- هنرى لورانس: اللعبه الكبرى فى المشرق والاطماع الدولية، ترجمة عبد الحكيم الاربد، مراجعة رجب بودبوس، الطبعة الاولى، الجماهيرية العربية الليبية، الدار الجماهيرية للنشر والاعلان، ١٩٩٣.

مواقع الكترونية:

- موقع سبوتنيك عربي بتاريخ ٤ نوفمبر ٢٠١٧.
- صوت_العرب

https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=

لقاءات ومقابلات:

- حديث تليفونى مع عبد الوهاب قطايه بتاريخ ٨ ابريل ٢٠١٩.
- حديث مع سعيد عمارة بتاريخ ١٥ ابريل ٢٠١٩
- لقاء مع محمد الخولى بتاريخ ١٤ ابريل ٢٠١٩.
- لقاء مع محمد مرعى بتاريخ ٣ ابريل ٢٠١٩.
- لقاء مع لمياء محمود بتاريخ ٣ ابريل ٢٠١٩.

مادة اعلامية:

- برنامج شهادة للتاريخ مع الخبير الاعلامى أحمد سعيد، لقناة النيل للأخبار، تقديم ريهام الديب، بمناسبة وفاته، اذيع فى ٦ يونيه ٢٠١٨. شوهد فى يناير ٢٠٢٠.

https://www.youtube.com/watch?v=_a-8teWnF8U

- تعليق كفاح العرب الثالث بصوت أحمد سعيد.

قام باهدائه لى الاعلامى محمد مرعى.

- لقاء خاص مع اعلامية إذاعة صوت العرب أمينة صبرى فى برنامج "صاحبة السعادة"، يمكن مشاهدته من على اليوتيوب. شوهد فى يناير ٢٠٢٠.

https://www.youtube.com/watch?v=p-ekHjTbA9U

حوار د.لمياء محمود مع الاعلامى محمد المغربى على قناة الغد، بتاريخ ٥ يونيه ٢٠١٨، يوم وفاة احمد سعيد.يمكن مشاهدته على اليوتيوب: شوهد فى يناير ٢٠٢٠.

https://www.youtube.com/hashtag/alghad_channel

إسهام حرب الريف في انبعاث اليقظة الوطنية المغربية

إعداد الباحثة: حنان الحمياني
حاصلة على الدكتوراه في التاريخ المعاصر بكلية سايس فاس

حظيت حركة التحرر الوطنية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي بتأييد وإعجاب العديد من حركات التحرر في العالم المؤيدة للشعوب المضطهدة التي اعتبرتها مدرسة مرجعية في فنون حرب العصابات. وفي المغرب بلد هذه الثورة، ساهمت حرب الريف في تعميق الوعي الوطني لدى نخب المدن بما أفرزته من آمال عريضة لديها. ذلك أن الهزائم المتتالية التي تعرض لها الاستعمار على يد هذه الثورة أيقظت لدى المغاربة الأمل في قدرتهم وما تختزنه من روح المقاومة، وبشرت بإمكانية النصر القريب. وهذا ما حاول محمد بن الحسن الوزاني اختصاره في مذكراته قائلا: «إن ثورة الريف التحريرية قد نفخت الروح في النفوس وأحيت الضمائر ومهدت السبل ورسمت الاتجاهات للجيل الناهض، فالشعب مدين لها بما أحدثته من أثر فعال في نهضته الوطنية وحركته السياسية ووثبته التحريرية»[(١)]. فما هي أهم منجزات الحرب الريفية؟ وكيف ساهمت هذه الحرب في اليقظة الوطنية المغربية؟.

i. حرب الريف وبروز الفكرة الدستورية

١. حرب الريف

قاد محمد بن عبد الكريم الخطابي[(٢)] حربا

---

(١) الوزاني محمد حسن، **مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، مرحلة الانطلاق والكفاح (١٩٣٠ – ١٩٣٤)**، مؤسسة محمد حسن الوزاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤، الجزء الثاني، ص. ٤٦٤.

(٢) ***محمد بن عبد الكريم الخطابي:*** ولد سنة ١٨٨٢، في قبيلة آيت بودرا من بني ورياغل الريفية، تلقى تعليمه الابتدائي بمدينة مليلية، ثم بجامعة القرويين بفاس، عمل منذ سنة ١٩٠٦ كسكرتير بالمكتب الخاص بقضايا الأهالي بمليلية، ثم كناشر للمحلق العربي لجريدة تلغرام الريف ليصبح فيما بعد قاضيا لمنطقة مليلية بأجمعها. وقد سبق لوالده أن أناط به القيام بمهام سياسية في وقت مبكر. – الجزنائي العزوزي محمد، **محمد بن عبد الكريم نادرة القرن العشرين في قتال المستعمرين**، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٧، صص. ٢٠-٢١.

تحريرية ضد الإسبان، وألحق بهم الهزيمة في معركة أنوال في ٢١ يوليوز ١٩٢١، وكان ذلك بمثابة الضربة القاضية للقوات الأجنبية بفضل الأسلوب المتطور في حرب العصابات واستباق الأحداث واكتساح الميدان، وبعد مواجهات ضارية مع قوات الاحتلال، وصل قائدها العام الجنرال سيلفستري (Silvestre) الذي اشتهر بحنكته العسكرية على رأس قوة عسكرية لفك الحصار عن قوته، لكنه عجز واضطر إلى الانسحاب والتراجع إلى مليلية، فلاحقه المجاهدون الريفيون بقيادة محمد بن عبد الكريم، وتوجت هذه المعركة الكبرى التي دارت رحاها بمنطقة أنوال بانتصار ساحق للمجاهدين، مما شكل ضربة موجعة للإسبان الذين تكبدوا خسائر كبيرة في الجنود والعتاد، حيث قدر عدد القتلى بالآلاف من بينهم الجنرال سلفستري، فغنم المجاهدون أسلحة متطورة وكثيرة ومتنوعة(١).

فبعد هذه الصحوة القاسية عرفت اسبانيا كيف تأخذ ثأرها بشدة وتنجز مأموريتها، إذ وجهت مددا هائلا إلى ساحة المعارك، كما أنها تمكنت جزئيا على الأقل من إعادة غزو الأراضي التي خسرتها، إلا أن الأمر تطلب منها أشهر طويلة لأن تنظيم محمد بن عبد الكريم أصبح منتصبا حيالها، فكان لابد من الاقتناع بأن المشكلة لم تعد تكمن في قمع الريفيين بقدر ما تكمن في معرفة كيفية مقاومتهم. وفي الوقت نفسه، شهدت مدريد اضطرابات سياسية انتهت بقيام دكتاتورية عسكرية، والحال أن صاحب السلطة الجديد بريمو دى رفرا (Primo de Rivera) لم يكن أحسن حظا في المغرب من سابقيه. فقد تقهقر جيشه أمام ضربات الريفيين حتى إلى أبواب تطوان. وكان محمد بن عبد الكريم قد ربح الحرب وعلى أهبة الاستعداد لشن هجومه النهائي المزدوج في اتجاه مليلية شرقا، وفي اتجاه تطوان غربا، لولا أنه اضطر في هذا الوقت بالذات إلى الاستدارة نحو الجنوب، حيث قامت فجأة جبهة ثالثة في ظروف غامضة(٢). ففي سنة ١٩٢٤ انتشر محمد بن عبد الكريم في قبائل ورغة الوسطى (الجاية، بني زروال، بني ورياغل أمتيوة). وتمكن من السيطرة على قبيلة بني زروال، التي كانت زاويتها تقود دعاية مضادة له وأحرقت زاوية أمجوط(٣). فبادرت فرنسا إلى التدخل ضد المجاهدين وإلى احتلال بعض المراكز في قبائل

(١) عياش جرمان، **أصول حرب الريف**، ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوف، الرباط، الشركة المغربية المتحدة، ١٩٩٢، ص.٣.

(٢) نفسه، ص.٤.

(٣) العلوي زين العابدين، **المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط ٢٠٠٩، الجزء الثاني، ص.١٧٧.

ورغة من تروال إلى تاونات وأمرت بتحصينها. فاستعد مجاهدو الجاية وبني زروال وبني ورياغل لمواجهة زحف الفرنسيين، فتقدموا في اتجاه فاس حتى لم يبق بينهم وبين المدينة سوى ٣٠ كيلومتر.[١] فاحتلت فرنسا قبيلة الجاية في يوليوز ١٩٢٤، وطرد منها أتباع الخطابي الذين اشتبكوا مع الفرنسيين في ٢٢ يوليوز ١٩٢٤.

وفي ٥ أبريل ١٩٢٥، أعلن محمد بن عبد الكريم الحرب على فرنسا وهاجم المراكز والقوات الفرنسية على طول الجبهة الجنوبية من وزان غربا إلى جبال بني يزناسن في الشرق. فنشبت حربا على طول هذه الجبهة تمكن خلالها المغاربة من الاستيلاء على معظم المراكز الفرنسية بقبيلتي الجاية وبني زروال وبني ورياغل، فتراجعت القوات الفرنسية وانتشرت الثورة في معظم قبائل ورغة.[٢] ويصف العالم التهامي الوزاني الوضعية العسكرية للفرنسيين: « ولم يكن في حسبان الماريشال ليوطي أن بن عبد الكريم سيهاجم المراكز الفرنسية، لأن الوسائل التي عنده لا يمكن أن يجازف بها هذه المجازفة».[٣] ومن أشهر المعارك التي تكبد فيها المحتلون خسائر كبيرة معركة جبل أورتزاغ التي جرت يوم ٣٠ أبريل ١٩٢٥، والتي استشهد فيها العديد من المجادين، ومعركة البيبان في ماي ١٩٢٥، ومعركة تلغزة التي قتل فيها العديد من الجنود. وقد كانت هذه المعارك شديدة وقاسية صمد فيها المجاهدون وأبانوا عن كفاءة عالية. ولقد اقتنعت الحكومة الفرنسية بعد معارك ربيع وصيف ١٩٢٥، بحرج الموقف وبصعوبة التغلب على المقاومة، ولذلك اتخذت قرار عزل الجنرال ليوطي من الإقامة العامة ومن قيادة الجيش، وتعيين مقيم جديد هو تعيين مقيم جديد تيودور ستيغ(Théodore Steeg أكتوبر ١٩٢٥- يناير ١٩٢٩)، وقائد أعلى لمواجهة الثوار هو المارشال بيتانPétain ، وحشد الفرنسيون القوات الكثيرة والأسلحة الثقيلة، كما تم التحالف والتنسيق بين الحكومتين الفرنسية والاسبانية لهزم الثورة الريفية، حيث تقرر الهجوم على الريف من الشمال من طرف الإسبان ومن الجنوب من طرف الفرنسيين[٤].

(١) Montjean Pierre, ***Au Maroc française en 1925***, Berger – Levrault, Paris, 1928, p. 8.

(٢) العلوي زين العابدين، **المغرب من عهد الحسن الأول...**، مرجع سابق، الجزء الثاني، صص.١٧٧-١٧٨.

(٣) الوزاني التهامي، **تاريخ المغرب**، مطبعة الريف، تطوان، ١٩٤٩، الجزء الثالث، ص. ١٨٩.

(٤) العلمي محمد، **زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي**، الناشر الأطلسي، ١٩٦٩، ص.43.

ومع بداية سنة ١٩٢٦، اشتد الضغط على المجاهدين، لكنهم صمدوا في جبهة ورغة، كما اشتد ضغط الإسبان الذين نزلوا في خليج الحسيمة واحتلوا قبيلة بني ورياغل، فاضطر بن عبد الكريم إلى الانتقال إلى غمارة. وبعد قتال مرير رأى أن يستسلم للقوات الفرنسية فاتصل بقيادتها وتم الاتفاق على انتقال كل القيادات الريفية إلى الجبهة الفرنسية ابتداء من ٢٧ ماي ١٩٢٦. وبالمقابل هاجر كثير من الزعامات التي حاربت الفرنسيين إلى الجبهة الاسبانية خاصة من بني زروال والجاية وبني ورياكل وشراكة وفشتالة وأسلاس(١).

٢. بروز فكرة دستور الحرب الريفية

عرف المغرب خلال فترة الحماية انطلاق فكرة الحركة الدستورية بالريف لمحمد بن عبد الكريم الخطابي. وقد وصف علال الفاسي ذلك:" ومن حسن الحظ أن هذه الحركة التحريرية كانت -كسابقتها- ذات اتجاه ديمقراطي يرمي لتحسين حالة الشعب، في الوقت الذي تعمل فيه للذوذ عن كيانه وحماية حوزته... ". ويشير الفاسي إلى أن هذه الحركة كانت تهدف إلى" تأسيس نظام مؤقت يمكنهم من تنظيم الإدارة وتدريب الجمهور على أن يحكم نفسه بنفسه، ومتى تم التحرر الكامل لسائر أبناء الوطن سلموا البلاد المحررة لصاحب العرش". كما أكد أن هذه الحركة "لم تطالب بأكثر من تطبيق نظام دستوري يحقق رغبات الشعب في مراقبة أعمال الدولة، والتعاون على تسييرها"(٢).

لم يكد محمد بن عبد الكريم الخطابي يحقق انتصاراته الأولى على الإسبان بالمنطقة الريفية حتى بدأ يفكر في عقد مؤتمر شعبي، يدعوا إليه ممثلي القبائل وأهل الرأي لدراسة الأحوال. ومن هذا المؤتمر نبعت فكرة نظام تأسيسي تسير عليه حكومة المقاومة، وقد تأسست في هذا المؤتمر- الذي يعتبر بمثابة مجلس تأسيسي- "الجمعية الوطنية" من رجال القبائل والمشايخ والقياد والمجاهدين. وكانت هذه الجمعية تمثل إدارة الشعب وتتولى تنظيم الكفاح وإدارة البلاد. وكان أول قرار اتخذته هذه الجمعية هو إعلان استقلال البلاد، وتأسيس حكومة دستورية يرأسها محمد الخطابي سنة ١٩٢١(٣). ويشير علال الفاسي إلى أن هذه الجمعية الوطنية وضعت دستورا مبدؤه سلطة الشعب. ونص الدستور على تأسيس

(١) العلوي زين العابدين، **المغرب من عهد الحسن الأول...**، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص. ١٨٠.

(٢) الفاسي علال، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، مؤسسة عبد السلام جسوس، سنة ١٩٤٨، ص. ١٢١.

(٣) نفسه، ص. ١٢١.

حكومة من أربعة وزراء تكون مسؤولة أمام الرئيس وهو مسؤول أمام الجمعية العامة، ووضعت "الجمعية " ميثاقا وطنيا من مواده:

- عدم الاعتراف بأي معاهدة لها مساس بحقوق البلاد وخاصة معاهدة الحماية ١٩١٢.
- جلاء الاسبان عن المنطقة الريفية التي لم تكن في حوزتهم قبل معاهدة الحماية.
- مطالبة اسبانيا بأن تدفع تعويضا عن الخسائر التي لحقت بالريفيين من جراء الاحتلال وفدية للأسرى الذين وقعوا في أيديهم.
- إنشاء علاقات ودية مع كل الدول، وعقد اتفاقيات تجارية.
- الاعتراف بالاستقلال التام للمنطقة الريفية[١].

لكن هذا النظام الدستوري، لم ينجح نتيجة لحلف استعماري جديد بين فرنسا واسبانيا[٢].

والجدير بالذكر أن قيادة محمد بن عبد الكريم كانت فعالة، وساهمت في انتصارات الريفيين، الأمر الذي اعترف له به الجميع فقلدوه إمارة الجهاد. وبالفعل فقد تمكن محمد بن عبد الكريم من توحيد الريفيين، وجمع القلوب على محبته، وسلك بالجميع سبيل الوحدة والتنظيم، وإثر ذلك أنشأ نظاما متماسكا تسوده السياسة الواعية، لكن التحالف الاستعماري بين إسبانيا وفرنسا فرض عليه خوض غمار حرب تحريرية مع دولتين إمبرياليتين، فكان صراعا مريرا غير متكافئ، انتهى باستسلام المجاهد المغربي في ماي ١٩٢٦ إلى الفرنسيين الذين نفوه إلى جزيرة لارينيون La Réunion بالمحيط الهندي، وظل في منفاه إلى سنة ١٩٤٧ حيث نزل بمصر واستقر بها[٣].

ii. مساهمة حرب الريف في تعميق الوعي الوطني لدى نخب المدن

١. تفاعل نخب المدن مع حرب الريف

وصلت أصداء انتصارات بن عبد الكريم إلى الخارج، وكان رد الفعل مختلفا في عالم المستعمرين الذي فتحته فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى على نطاق واسع على أخبار العالم، إذ عمت « هذا العالم موجة من الحماس الجنوني من الجزائر إلى مصر، من الهند الصينية إلى الصين، من الأرجنتين إلى الولايات المتحدة، في كل جهة أحس فيها شعب بكامله، أو أقلية قومية أو عرقية، بأن

(١) الفاسي علال، **الحركات الاستقلالية**...، مصدر سابق، صص.١٢٢-١٢٣.

(٢) لاندو روم ، **تاريخ المغرب في القرن العشرين**، ترجمة أنيس فريحة، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٨٠، الطبعة الثانية ، ص.١٥٥.

(٣) العلوي زين العابدين، **المغرب من عهد الحسن الأول**....، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص.١٨١.

قضية الريفيين تشبه قضيته، إلا ووجدنا بطولات هؤلاء الحربية تبعث تلك الآمال الخائبة التي ظهرت في عهد الرئيس الأمريكي ولسن مع إعطائها دفعة جديدة كل الجدة»[١].

وفي المغرب، بلد هذه الثورة، زعزعت انتصارات الريفيين الاستعمار الاسباني والاستعمار الفرنسي وأربكت العديد من حساباتها. وكان من مظاهر هذا الإرباك بالنسبة للفرنسيين إنهاء مهمة المقيم العام ليوطي من الإقامة العامة ومن قيادة الجيش، وتعيين مقيم جديد. وقد ساهمت حرب الريف في تعميق الوعي الوطني لدى نخب المدن بما أفرزت من آمال عريضة لديها. ذلك أن الهزائم المتتالية التي تعرض لها الاستعمار على يد هذه الثورة أيقظت لدى المغاربة الأمل في قدرتهم وما تختزنه من روح المقاومة، وبشرت بإمكانية انتصار قريب. وفي هذا الإطار اعتبرت الكتابات أن حرب الريف أعادت الثقة بالنفس بعد مأساة ١٩١٢، وشكلت تجديدا حقيقيا للضمير الوطني في المغرب[٢]. وقد اعتبر العالم التهامي الوزاني «ثورة الريف الحدث الذي أدى إلى اليقظة الوطنية المغربية»[٣]. يُخلص إذاً أن حركة المقاومة الريفية لعبت دورا حاسما في دفع المقاومة السلمية، وتأسيس الحركة الوطنية، فالوطنية كما قال الطيب بن أحمد العلوي:« كانت جمرة سنة ١٩١٢، ونفخ فيها حرب الريف(...) فصارت تخبو وتنور[٤].

لقد كان تتبع أخبار حرب الريف، أحد مقدمات الوعي الذي أسست له انتصاراتها، وأحد مقدمات تصاعد درجة ذلك في عدد من المدن مثل فاس وتطوان والرباط وسلا بعد نهاية تلك الحرب. فقد تتبعت مختلف شرائح المجتمع المغربي حركة المقاومة الريفية، وساهمت في النقاش وفي رسم الآمال حولها، ويشير محمد إبراهيم الكتاني (أحد علماء القرويين) في إحدى رواياته إلى أن الشيخ أبا العباس أحمد بن المأمون البلغيثي (من علماء القرويين) الذي كان شديد الاهتمام بأخبار وتطورات حرب الريف رغم كبر سنه الذي يناهز السبعين عاما. كما روي محمد الكتاني أن الشيخ أحمد بن جعفر الكتاني الذي زهد

(١) عياش جرمان، **أصول حرب الريف**، ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوف، الرباط، الشركة المغربية المتحدة، ١٩٩٢، ص.٧.

(٢) إبراهيم عبد الله، **نداء الحرية بين المغرب العميق والمغرب الجديد**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٥، ص.٢٢.

(٣) الوزاني التهامي، **المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب**، تحقيق وتعليق محمد ابن عزوز، مطبعة الساحل، الرباط، ١٩٨٠،ص.١٢٠.

(٤) معروف الدفالي محمد ، **أصول الحركة الوطنية بين السلفية المجددة والسلفية الجديدة**، منشورات مجلة أمل، ٢٠١٥،ص. ٢١١.

في أخبار الدنيا ولزم العزلة عن الناس، وخصص كل وقته للوعظ والتأليف والعبادة كان من المهتمين بأخبار المجاهدين الريفيين[١].

وكانت مصادر الأخبار والإشاعات المتداولة حول الحرب متعددة، وكان بعضها ينسب إلى بعض الجبليين الواردين على مدينة فاس، وبعضها ينقل عن بعض التراجمة أو الموظفين ورواية عن بعض الحكام الفرنسيين، كما كانت الصحافة مصدرا إخباريا رئيسيا فجريدة "السعادة" التي كانت تصدر من الرباط، تناولت باستمرار العمليات العسكرية في الريف على الجبهتين الإسبانية والفرنسية، وجريدة "الجنوب المغربي" التي كانت تصدر باللغة الفرنسية من مراكش، كانت تنشر مقالات تهتم بالقضية الريفية[٢]. كما تناولت الصحف الصادرة في البلدان العربية (المنار، الشورى، الإقدام...) أخبار حرب الريف[٣]. وفضلا عن هذه المصادر استقت نخب المدن المهتمة بحرب الريف المعلومات والأخبار عن هذه الحرب من مصادر أخرى مباشرة أو شبه مباشرة، منها الاستناد إلى مبعوثي الثورة الريفية الذين كانوا يتسللون إلى بعض المدن، يحملون مناشير تعرف بالثورة وانتصاراتها وتحرض على الجهاد[٤]. وقد عثر الفرنسيون على العديد من المناشير الملتصقة بالجدران ونماذج من التي كانت توزع في الدكاكين، دون أن يتوصلوا إلى من كان وراء ذلك[٥]. وكان محمد بن عبد الكريم الخطابي يستغل علاقاته القديمة بمدينة فاس، أيام كان طالبا بجامعة القرويين، ويبعث برسائل سرية إلى بعض العلماء، وكانت هذه المراسلات في مجملها دعوة إلى الجهاد ومواجهة الاستعمار الاسباني والفرنسي وإظهار لمساوئ الاحتلال ولتهديده البلاد اقتصاديا وسياسيا.[٦] ويضاف إلى هذه المصادر بعض المراكز التي اتخذتها الثورة الريفية محطات إعلامية، مثل طنجة التي كانت تتوزع منها الأخبار عما كان يجري وقت الثورة والدار البيضاء التي كان بها مركز لنشر الدعوة الثورية، وقد افتضح أمره سنة ١٩٢٤ فأغلق واعتقل المسؤولون عن

(١) الكتاني إبراهيم، « ماذا استفاد المغرب من حرب التحرير الريفية؟»، **جريدة العلم**، ١٨ نونبر ١٩٨٣.
(٢) الوزاني محمد حسن ، **مذكرات حياة وجهاد...**، مصدر سابق، الجزء الأول، ص.٣٠٩.
(٣) الكتاني إبراهيم، « ماذا استفاد المغرب من حرب التحرير الريفية؟»، **جريدة العلم**، ١٨ نونبر ١٩٨٣.
(٤) بوطالب عبد الهادي، **ذكريات شهادات ووجوه**، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٩٢، الجزء الأول،ص.٤٠.
(٥) الوزاني محمد حسن ، **مذكرات حياة وجهاد...**، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص.٤٣٦.
(٦) معروف الدفالي محمد ، **أصول الحركة الوطنية...**، مرجع سابق،ص.٢١٤.

إدارته[1]. لقد خلقت عملية متابعة الحركة الريفية لدى جيل حرب الريف كما يسميه عبد الله إبراهيم، نوعا من التفاعل النفسي جعل من الخطابي بطلا من أبطال الإسلام والحرية، فدعا العديد من العلماء والفقهاء للمجاهدين في الريف بالنصر والتأييد وتمنى بعضهم الشهادة في صفوفهم[2]. وإذا كان الشعر في بعض تعاريفه هو البوح بالمكنون في كلام موزون، فقد فجرت حرب الريف مكنونات العديد من الذين تفاعلوا معها وتعاطفوا مع رجالها، فدبجوا الأناشيد الحماسية والقصائد الشعرية الكثيرة التي انتشرت مجهولة، من أمثلة الأناشيد التي شاعت نشيد كتبه محمد بنونة سنة ١٩٢٤، عندما زحف الريفيون على تطوان من الزجل الملحون، جعل منه البعض " النشيد الوطني الأول الذي قيل في مناسبة الثورة الريفية"[3].

٢. إسهام حرب الريف في مبادرة تأسيس الجمعيات السرية وبروز الصحافة الخطية

مثلت حرب الريف حدثا وطنيا كان له تأثير كبير على المغاربة، فقد ساعدت على ظهور أفكار وحركات لم تكن قبل المقاومة الريفية إلا إرهاصات أولية. إن انتصارات المغاربة في الريف أيقظت لدى المغاربة الأمل في قدرتهم على مقاومة الاحتلال، وساهمت في تشكيل أول تنظيم سري لدى نخب المدن، وتُرجع بعض الكتابات[4] إلى أن بداية تاريخ ظهور بعض الجمعيات والتنظيمات المغربية السرية، تعود إلى فترة الحرب الريفية، وما بعثته من حماس وطني في أوساط النخب. ولقد انصب اهتمام الجمعيات السرية على مساندة التعليم الحر، والتوعية الفكرية والإصلاح الاجتماعي والعمل السياسي. وفي هذا الإطار يذكر العالم إبراهيم الكتاني بأن أول تنظيم ظهر في بداية العشرينيات كان بمدينة فاس. وفي ذلك يشير الكتاني إلى الدور الذي لعبته المدرسة الحرة بالزاوية الناصرية بفاس في إنشاء عدد من الجمعيات السرية للدعاية لحركة محمد بن عبد الكريم الخطابي[5]. وكان من أشهرها، جمعيتان: الأولى ثقافية. والثانية سياسية سرية. فأما الجمعية الأولى، فحملت اسم " **الحماسة**" وكان يرأسها

(١) الوزاني محمد حسن ، **مذكرات حياة وجهاد**...، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص.٤٣٦.

(٢) الكتاني إبراهيم، « ماذا استفاد المغرب من حرب التحرير الريفية؟»، **جريدة العلم**، ١٨ نونبر ١٩٨٣.

(٣) معروف الدفالي محمد ، **أصول الحركة الوطنية**...، مرجع سابق،ص.٢١٥.

(٤)الوزاني محمد حسن، **مذكرات حياة وجهاد**...، مصدر سابق، الجزء الأول، ص. ٣٥٩.

(٥) الكتاني إبراهيم، « ماذا استفاد المغرب من حرب التحرير الريفية؟»، **جريدة العلم**، ١٨ نونبر ١٩٨٣.

المختار السوسي[1]. أما الجمعية الثانية، فتم تأسيسها في يناير ١٩٢٦ وكان يرأسها علال الفاسي[2].

وقد ظهرت بالرباط جمعية **"حماية الحقيقة"** سنة ١٩٢٦، وكانت تضم أعضاء من طلبة القرويين أمثال: علال الفاسي ومحمد غازي والمختار السوسي. وأعضاء من الرباط مثل: محمد بن اليمني الناصري ومحمد المكي الناصري وأحمد بلافريج وعمر بن عبد الجليل. ومن تطوان: محمد داود وعبد السلام بنونة وشقيقه الحاج محمد[3]. ووجدت بالرباط كذلك جمعية **" الشبان المغاربة"**[4] وجمعية **سياسية** بسلا، ويذكر أبو بكر القادري أنها عبارة عن جماعة من الشباب المغربي أخذ على نفسه الاستقامة الدينية والأدبية والتخلق بالدين الإسلامي وحفظ كيانه الوطني[5].

وبرزت جمعيات للمسرح والتمثيل بعد انتهاء الحرب الريفية سنة ١٩٢٦، مثل فرقة " الجوق الفاسي" التابعة لجمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي إدريس. وكانت مواضيع المسرحيات التي قدمت بمدن فاس وطنجة

---

(١) المختار السوسي، **الإلغيات**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٦٣، الجزء الأول، ص. ١٩٧.

(٢)نفسه، ج ٢، ص.٢٢٧.

(٣) الوزاني محمد حسن، **مذكرات حياة وجهاد...**، مصدر سابق، الجزء الأول، صص. ٣٦١- ٣٦٢.

(٤) أشار إليها الوزاني من خلال ثلاث وثائق هي عبارة عن مراسلات سرية." المراسلة الأولى موجهة في ٧ مارس ١٩٢٩، من الوزير المفوض المعتمد بالإقامة العامة للجمهورية الفرنسية بالمغرب إلى رؤساء الأقاليم الفرنسيين الذين وزعوا نسخها على رجال السلطة التابعين لها. وتتحدث عن الاجتماع الذي عقده الشبان المغاربة بإحدى مقاهي الرباط، والذي" كان يهدف إلى تحقيق اتفاق بين مختلف العناصر الشابة من التقليديين والإصلاحيين." وتبرز المراسلة الثانية بتاريخ ٢ فبراير ١٩٢٩، الاختلاف بشكل واضح في "ثلاثة اتجاهات كان لا بد من التوفيق بينها في صالح الشعب، أما الباشا فمثل العنصر المحبذ للتعليم الفرنسي كوسيلة للارتقاء إلى الحياة العصرية.
=

=
وأما محمد اليزيدي فكان مبعوثا عن الهيئة التي تناصر تطور الشعب المغربي في نطاق الحضارة العربية مع تدريس العلوم العصرية بالفرنسية. بينما العالم الناصري المؤمن بالوهابية، مثل هيئة الشبان المغاربة الذين يرون الخلاص من أزمة الإسلام العالمية في الرجوع إلى المذهب الإسلامي الأصيل كما ينبع من القرآن والسنة". أما المراسلة الثالثة موجهة من حاكم ناحية الرباط إلى الوزير المفوض المعتمد بالإقامة العامة بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٢٩، تشير إلى أن هذه الجمعيات لم تكن منغلقة على ذاتها بل كانت لها ارتباطات مهمة مثلا، مع الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي تدخل في اجتماعات سابقة حسب الوثيقة" ليحقق الاتفاق بين مختلف العناصر المثقفة". (٤) ولا يقتصر نشاطها على ميدان واحد، بل" هناك نزعة تطويرية تدفع الشبيبة المثقفة نحو أندية الطلبة، والهيئات السياسية والأدبية التي ليست الجمعيات الفنية والمدرسية سوى بداية وانطلاقة لها". نفسه، ص. ٣٦٩.

(٥) القادري أبو بكر، **مذكراتي في الحركة الوطنية من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٣، الجزء الأول، ص. ١٤٢.

والــرباط والدار البيضاء وتطوان، تتوزع على محورين:

- محور الوطنية والتذكير بأمجاد الماضي وأعمال الأسلاف كما جاء في عدة مسرحيات مثل: " صلاح الدين الأيوبي"، و"هارون الرشيد"، و"فتح الأندلس"، و" المنصور الذهبي"، و"الوليد بن عبد الملك"، و" في سبيل التاج".

- محور الدعوة الإصلاحية والتنديد بالخرافة والحث على العلم والتعليم مثل: "أدب العلم ونتائجه"،" بالعلم ينتهي الفساد"، " طارطوف" التي عربها المهدي المنيعي، وهيأت عرضها الفرقة الثانوية الادريسية بفاس[١]، لكنها تعرضت للمنع من قبل سلطات الحماية لأنها رأت فيها تلميحا وتشهيرا لزعيم الطرقي عبد الحي الكتاني[٢].

وقد زادت قضية الظهير البربري من توحيد الصفوف ودعم العمل الوطني[٣]، حيث بدأ الاتصال بين جماعات فاس والرباط وسلا وتطوان وغيرها من المدن. وأسسوا خلية سرية تحت اسم **"الزاوية"**، وقد روعي في اختيار أفرادها الاستعداد للتضحية وكتمان السر. وكانت هذه الخلية تقوم بالأعمال التي تتطلب سرية مطلقة، وتتخذ القرارات التي تلتزم بها الحركة.[٤]، وبعد أن اتسعت دائرة الحركة الوطنية وانضم العديد من الوطنيين إليها فكرت جماعة **"الزاوية"** في توسيع دائرتها، وتقرر تأسيس خلية سرية أخرى تحت اسم **" الطائفة"**. وقد اعتبرت بمثابة مجلس ثان تعرض عليه مقررات" **الزاوية"**، ويتخذ القرارات التي تكون أقل خطورة ويشرف على تسيير الحركة العلنية، وقد التحق بهذه الجماعة عدد من الوطنيين من مختلف المدن[٥].

ولم يكن تأثير الثورة الريفية منحصرا على تأسيس الجمعيات السرية فحسب، بل اتجهت نخبة المدن إلى التعبير عن نشاطهم الوطني من

---

(١) اشقري عثمان، في **سوسيولوجيا الفكر المغربي الحديث**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٠ ، صص. ١٢٠- ١٢١.

(٢) الوزاني محمد حسن، **مذكرات حياة وجهاد**...، مصدر سابق، الجزء الأول، صص. ٣٨٥-٣٩١.

(٣) احساين عبد الحميد،« سياسة فرنسا البربرية بالمغرب ١٩١٣ – ١٩٣٠»، في أعمال **ندوة المقاومة المغربية ضد** =

= **الاستعمار ١٩٠٤ – ١٩٥٥ الجذور والتجليات**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير،١٣- ١٤ -١٥ نونبر ١٩٩١، ص.١٨٧.

(٤) الفاسي علال، **عقيدة وجهاد**، الرباط، ١٩٨١، ص. ١٠.

(٥) غلاب عبد الكريم، **تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية حرب الريف إلى بناء الجدار السادس في الصحراء**، مطبعة الرسالة، الرباط، ١٩٨٧، الجزء الأول، ص . ٦٧.

خلال الصحافة. وقد عرف المغرب في فترة الحماية أزمة صحفية خانقة وكان مردها إلى القيود التي فرضتها سلطات الحماية على الصحافة وخصوصا العربية منها، حيث جعلت المغاربة ممنوعين من الإشراف على إدارة أي نشرة مهما كانت لغتها. ولم تكن إجراءات القيد والمنع تمس الصحافة المغربية العربية فحسب، بل امتدت إلى منع الصحف الصادرة باللغة العبرية، ومنعت دخول وتداول الصحافة التي تدخل البلاد من الخارج، وعلى رأسها صحافة البلدان المنافسة لفرنسا مثل ألمانيا، والصحافة المناهضة للاستعمار مثل الصحافة الشيوعية والاشتراكية، وبعض الصحف العربية الواردة من المشرق العربي وخاصة مصر وسوريا ولبنان أو الواردة من تونس والجزائر. وضدا على هذا القيد والمنع المفروض جاءت حاجة الشباب المغربي إلى منابر داخلية للنشر والتواصل، فكان ميلاد الصحافة الخطية، وهي صحافة سرية كانت تخط باليد في عدة نسخ، وتوزع على الأشخاص والجماعات السرية، وازدهرت في أوساط طلبة القرويين أواخر عشرينيات القرن الماضي[١]، وينسب المنوني الفضل في إنشائها للمدرسة الناصرية بفاس في الفترة التي كان يشرف عليها "محمد غازي"[٢]، ومن نماذجها:

- الدين القيم والقمر: أصدرها تلامذة المدرسة الناصرية.
- السيف القاطع: أنشئت سنة ١٩٢٧، كانت تصدر مرتين في الشهر وظهر منها جزءان ثم عطلت.
- الإسلام: صدرت في سنة ١٩٢٧، بمبادرة جماعة تلامذة القرويين فكانت صحيفة دينية أدبية إصلاحية تصدر يوم الخميس من كل أسبوع في أربع صفحات من الحجم الكبير.
- الصراط المستقيم: أنشئت هذه الصحيفة في سنة ١٩٢٩، وكانت تصدر في ثماني صفحات من حجم متوسط.
- الهدى: صحيفة دينية أدبية وطنية أسسها علال الجامعي (أحد طلبة القرويين) وصدر العدد الأول منها في سنة ١٩٢٩، وعددها الخامس عشر في سنة ١٩٣٠، ثم عطلت.
- اللواء: صحيفة أدبية إخبارية أسبوعية وكانت تصدر بانتظام كل خميس إلى أن عطلت بعد صدور ثلاثة عشر عددا منها.
- مجلة المجلات: أنشئت سنة ١٩٢٩، أصدرها علال الفاسي وهي مجلة شهرية صغيرة

(١) معروف الدفالي محمد : **أصول الحركة الوطنية...**، مرجع سابق، ص.٣٠٣.

(٢) المنوني محمد، **المصادر العربية لتاريخ المغرب، الفترة المعاصرة ١٧٩٠- ١٩٣٠**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة الدراسات البيليوغرافيا رقم١، سنة ١٩٨٩، الجزء الثاني، ص. ٢٨٣.

الحجم، صدر منها جزءان تم توقفت.

- الإرشاد: صحيفة دينية وطنية صدر منها خمسة أجزاء أو ستة في نحو ثلاثة أشهر ثم توقفت وكانت تصدر في ثماني صفحات.

- المنار المغربي: صحيفة دينية أدبية شهرية، صدرت بمبادرة مدير صحيفة" الهدى" علال الجامعي ومدير الإرشاد، كانت أقصر الصحف المحلية عمرا، لم يصدر منها إلا عدد واحد ثم توقفت(١).

- مجلة أم البنين: أصدرها علال الفاسي مع جماعة من رفاقه، وهي مجلة شهرية سرية كانت تصدر بانتظام في أربعين صفحة، ثم توزع على الجماعات السرية بالمدن(٢).

- المفتاح والحرية والفضيلة: صحف سرية أصدرها طلبة القرويين وتلامذة المدرسة الناصرية(٣).

وفي غشت ١٩٣٣، أصدر محمد حسن الوزاني من مدينة فاس "جريدة عمل الشعب"، وكانت ترتكز في مضامينها على الحريات الديمقراطية وإصلاح التعليم والعدلية ونقد السياسة البربرية وعلاقة المغرب بفرنسا والمطالبة بالتزام الفرنسيين وامتثالهم لبنود معاهدة الحماية. وكان صدورها باللغة الفرنسية لأن سلطات الحماية كانت ترفض إصدار جريدة باللغة العربية في المغرب(٤). وتعرضت جريدة "عمل الشعب" لمضايقات ومؤامرات من طرف السلطات الفرنسية لأنها في نظرهم أداة تحطيم النفوذ الفرنسي بالمغرب، ووصفوا المسؤول عنها بقطب الحركة ضد الوجود الفرنسي ومحور الجاسوسية المعادية لفرنسا(٥).

وقد دعت "جريدة عمل الشعب" إلى تنظيم عيد العرش ليكون عيدا وطنيا يحتفل به المغرب في ١٨ نونبر من كل شهر(٦). وبذلك أصبح هذا العيد تكريسا علنيا للتعاون بين السلطان والحركة الوطنية(٧). ويذكر علال الفاسي أن هذه

---

(١) المنوني محمد، **المصادر العربية...**، مصدر سابق، الجزء الثاني،صص. ٢٨٨-٢٩١.

(٢) الفاسي علال، **الحركات الاستقلالية...**، مصدر سابق،ص. ١٣٩ .

(٣) المنوني محمد، **المصادر العربية...**، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص. ٢٩١.

(٤) «الكتب والنشريات»، **مجلة المغرب** ، ١٤ شتنبر١٩٣٣، ص. ٢٠.

(٥) الوزاني محمد حسن، **مذكرات حياة وجهاد...**، مصدر سابق، الجزء الثالث، صص. ٣٦٧- ٣٨٦.

(٦) كنون عبد الله، **أحاديث عن الأدب المغربي الحديث**، معهد الدراسات العربية العالية، دار الرائد للطباعة، القاهرة، ١٩٦٤، ص، ٧٩.

(٧) الوزاني محمد حسن، **حرب القلم**، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، بيروت،١٩٨١،الجزء الأول، ص.٢٠.

الأحداث تزامنت مع سفره إلى فرنسا، بحيث استغلت هذه الأخيرة سفر الفاسي لإيقاع العداوة بينه وبين السلطان، وكتبت تقريرا زعمت فيه أن علال الفاسي حل بفرنسا بتكليف من "كتلة العمل الوطني" بغية إقناع السلطات الفرنسية بإرجاع المولى عبد الحفيظ سلطانا على المغرب. غير أنه لما وصل إلى علم جريدة "عمل الشعب" هذا الخبر المزيف تكلفت لجنة تحريرها بمهمة الرد عليها ردا عمليا، فنادت بالاحتفال بعيد العرش كل عام[١]. وبذلك ما إن حل الثامن عشر من شهر نونبر ١٩٣٤، حتى تبارت مدن المغرب وبواديه ببهجتها بعيد العرش، وأرسل علماء القرويين وطلابها ومختلف الفئات الشعبية برقيات تهنئة إلى السلطان[٢]. وفي خضم هذه التطورات تحولت برامج التنظيمات السرية إلى تنظيم سياسي وبشكل علني أطلق عليه اسم "كتلة العمل الوطني" سنة ١٩٣٤[٣].

وتأسيسا على ما سبق، فقد استفاد المغاربة من درس حرب الريف استفادة مباشرة أثرت على نفسية نخب المدن وعلى اختياراتها المستقبلية، فقد كانت حرب الريف انفجارا أيقظ الشعور القومي وألهم الحماس الوطني، وحفز الشباب المغربي أكثر إلى أن يتهيأ للوثوب السياسي، ويتأهب للنضال التحرري، فإذا كانت انتصارات هذه الحرب قد زرعت الآمال في النفوس، فإن هزيمتها دفعت شباب المدن إلى الاجتهاد لرسم أفق مستقبل البلاد، والدعوة إلى جمع الشمل والتكتل الجماعي لمواجهة الاستعمار.

---

(١) الفاسي علال، **الحركات الاستقلالية...**، مصدر سابق، ص. ١٦١.

(٢) «عيد ١٨ نوفمبر بفاس»، **مجلة المغرب**، عدد ١٤، السنة الثانية رجب ١٣٥٢ / نونبر ١٩٣٣، ص. ٢٢.

(3) Lugan Bernard, Lugan Bernard : **Histoire du Maroc, des origines à nos jours**, Criterion, Paris, 1992 , p.258.

لائحة المصادر والمراجع

- إبراهيم عبد الله: **نداء الحرية بين المغرب العميق والمغرب الجديد**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٥.
- اشقري عثمان: **في سوسيولوجيا الفكر المغربي الحديث**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٠.
- بوطالب عبد الهادي: **ذكريات شهادات ووجوه**، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٩٢، الجزء الأول.
- الجزنائي العزوزي محمد: **محمد بن عبد الكريم نادرة القرن العشرين في قتال المستعمرين**، دار الأمان، الرباط،٢٠٠٧.
- العلمي محمد: **زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي**، الناشر الأطلسي، ١٩٦٩.
- عياش جرمان: **أصول حرب الريف**، ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوف، الرباط، الشركة المغربية المتحدة، ١٩٩٢.
- العلوي زين العابدين: **المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط ٢٠٠٩، الجزء الثاني.
- غلاب عبد الكريم: **تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية حرب الريف إلى بناء الجدار السادس في الصحراء**، مطبعة الرسالة، الرباط، ١٩٨٧، الجزء الأول.
- الفاسي علال: **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، مؤسسة عبد السلام جسوس، سنة ١٩٤٨.
- الفاسي علال: **عقيدة وجهاد**، الرباط، ١٩٨١.
- القادري أبو بكر: **مذكراتي في الحركة الوطنية من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٣، الجزء الأول.
- كنون عبد الله: **أحاديث عن الأدب المغربي الحديث**، معهد الدراسات العربية العالية، دار الرائد للطباعة، القاهرة، ١٩٦٤.
- لاندو روم: **تاريخ المغرب في القرن العشرين**، ترجمة أنيس فريحة، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٨٠، الطبعة الثانية.
- المختار السوسي: **الإلغيات**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٦٣، الجزء الأول.
- معروف الدفالي محمد: **أصول الحركة الوطنية بين السلفية المجددة والسلفية الجديدة**، منشورات مجلة أمل، ٢٠١٥.
- المنوني محمد: **المصادر العربية لتاريخ المغرب، الفترة المعاصرة ١٧٩٠- ١٩٣٠**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة الدراسات البيليوغرافيا رقم١، سنة ١٩٨٩، الجزء الثاني.
- الوزاني التهامي: **المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب**، تحقيق وتعليق محمد ابن عزوز، مطبعة الساحل، الرباط، ١٩٨٠.
- الوزاني التهامي: **تاريخ المغرب**، مطبعة الريف،

تطوان، ١٩٤٩، الجزء الثالث.

- الوزاني محمد حسن: مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٢، الأجزاء ١ و ٢ و ٣.

- الوزاني محمد حسن: **حرب القلم**، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، بيروت،١٩٨١، الجزء الأول.

- «عيد ١٨ نوفمبر بفاس»، **مجلة المغرب**، عدد ١٤، السنة الثانية رجب ١٣٥٢ / نونبر ١٩٣٣.

«الكتب والنشريات»، **مجلة المغرب**، ١٤ شتنبر١٩٣٣.

- الكتاني إبراهيم: « ماذا استفاد المغرب من حرب التحرير الريفية؟»، **جريدة العلم**، ١٨ نونبر ١٩٨٣.

- احساين عبد الحميد: «سياسة فرنسا البربرية بالمغرب ١٩١٣ – ١٩٣٠»، في أعمال **ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار ١٩٠٤ – ١٩٥٥ الجذور والتجليات**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير،١٣- ١٤ -١٥ نونبر ١٩٩١.

[1] Lugan Bernard, Lugan Bernard: **Histoire du Maroc, des origines à nos jours**, Criterion, Paris, 1992.

Montjean Pierre, ***Au Maroc française en 1925***, Berger – Levrault, Paris, 1928

مكافحة الاحتكار داخل الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٩٠م-١٩١٤م

د / هدى محمود السيد شحات

مدرس منتدب بكلية الآداب بجامعة الوادى الجديد

جمهورية مصر العربية

الملخص

تعد الحرب الأهلية "The Civil war" (١٨٦١-١٨٦٥م) الأمريكية نقطة فاصلة في التاريخ الأمريكي؛ حيث بدأت الجهات الرسمية والشعبية فى الولايات المتحدة بعد الحرب تطوير مجالاتها الزراعية، والصناعية، والعمران، والمواصلات، والاختراعات، وتحول الاقتصاد سريعاً إلى الصناعة عن طريق المصانع التي شملت مختلف حاجات المجتمع الأمريكي وتطور المجتمع الريفي إلى مدن كبيرة مأهولة بالسكان، وامتدت سكك الحديد عبر الولايات، وتأسست العديد من الشركات الاحتكارية الكبرى في صناعة الحديد والصلب، وسكك الحديد والنفط، والاتصالات، والمناجم. ومع نهاية القرن التاسع عشر ونتيجة لتفاقم مشكلات الاحتكار الاقتصادي للشركات الكبرى قامت الحكومة الأمريكية بإصدار قوانين منع الاحتكار التجاري. مثل قانون شيرمان ١٩٨٠ وقانون كلايتون ١٩١٤م؛ وذلك للحد من تكوين الاتحادات الاحتكارية التي تتحكم في التجارة والأسعار وتلغي أية منافسة تجارية.

Abstract:

The American Civil war (1861-1865 AD) is a turning point in American history, as the official and popular parties in the United States began after the war to develop their fields of agriculture, industry, urbanization, transportation, and inventions, and the economy quickly turned into industry through factories that It included the various needs of American society and the development of the rural community into large populated cities, railways extended across the states, and many major monopolistic companies were established in the iron and steel industry, railways and oil, communications, and mines. The major US government issued laws to prevent trade monopoly, such as the Sherman Act of 1980 and the Clayton Act of 1914, in order to limit the formation of cartels that control trade and prices and eliminate any commercial competition.

المقدمة

بعد الحرب الأهلية الأمريكية خضع معظم الأمريكيين لنمو الأعمال التجارية الكبرى، وكانت المناقشات السياسية قليلة الأهمية، ولكن كانت المؤسسات المصرفية والصناعية قد اكتسبت كثيراً من الاهتمام ووجدت الشركات الكبرى المعارضة لها من خلال حركات التمرد في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين؛ حيث نادى التقدميون بضرورة تفكيك الشركات الاحتكارية لسيطرتها على الانتاج والأسعار مما أضر بالممستهلكين من خلال القضاء على الاحتكار بإصدار القوانين الداعمة لذلك بداية من قانون شيرمان عام ١٨٩٠م لأهميته الكبرى في سن المزيد من القوانين لمكافحة الاحتكار.

أهمية البحث:

تاتى أهمية الدراسة في توضيح آليات مكافحة الاحتكار ومدى فاعلية تلك الآليات في حدها من الاحتكار، هذا أيضا وتوضح الدراسة الدور الرسمي للحكومة الأمريكية في وضع حل لمشكلة الاتحادات الاحتكارية، إضافة لذلك توضيح الموقف الرسمي لرئيس الولايات المتحدة من الاتحادات الاحتكارية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في تداخل بنود القوانين التي تم إصدارها وقلة التحدث عنها في المراجع العربية، لمحاولة تذليل تلك المشكلة حاولت الاعتماد على المصادر الأصلية وخاصة خطب الاتحاد لرؤساء الولايات المتحدة التي نشرت في وثائق وزارة الخارجية الأمريكية. أحتوت تلك الخطب على تفاصيل في غاية الأهمية عن الاتحاد الاحتكارية وغيرها من المواضيع التي تخص الشأن الداخلى بالولايات المتحدة الأمريكية.

منهج الدراسة:

اتبعت منهج البحث التاريخى القائم على البحث والاستدلال من المصادر الأصلية، والتزام الحيادية والدقة في الدراسة.

عناصر الدراسة:

في البداية يجب التوضيح أن أختيار نقطة بداية الدراسة عام ١٨٩٠م هو العام الذى سُن فيه قانون شيرمان لمكافحة الاحتكار، وانتهاء الدراسة عام ١٩١٤م هو العام الذي تم سن قانون كلايتون لمكافحة الاحتكار في عهد الرئيس " وودرو ويلسون " وتعد تلك الفترة بشكل عام هى فترة إصلاحات كبري داخل الولايات المتحدة على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. أكتفيت من تلك الإصلاحات بتناول محاولات الحد من تكوين الاتحادات الاحتكارية.

أولاً: نبذة عن ظهور الشركات الاحتكارية داخل الولايات المتحدة.

تعد المرحلة التي أعقبت الحرب الأهلية مرحلة إعادة البناء أو الإعمار Reconstruction والتي كان المنتصر

الأكبر فيها هو الرأسمالية الصناعية؛ فكان هذا الانتصار لقانون الغاب وقانون الأقوى وكان النموذج المثالي للنجاح هو رجل الأعمال، وهو المقاول المغامر(١)؛ فقد شهدت البلاد نمو سريعاً للمؤسسات الصناعية والتجارية كما تميزت هذه الفترة أيضاً بسرعة تمركز هائلة، ومكثفة لرؤوس الأموال الأمريكية، وبداية ظهور جينات الاحتكارات التي تحولت إلى غول ابتلع المنافسين الصغار، وسقط مفهوم الحرية الفردية، والمنافسة الحرة كمبدأ اقتصادي ليبرالي (٢).

ولقد ساعد على نمو الرأسمالية بعد الحرب والثروات التي كونتها فرصة التجارة أثناء انشغال أوربا بصراعاتها والفرص التي اقتضتها ضغوط الحرب الأهلية – الفرصة الضرورية التي قضت أن يعمل كل السكان – حتى الأطفال(٣).

بذلك تحول الاقتصاد سريعاً إلى الصناعة من خلال المعامل والمصانع، وتطورت الأرياف إلى مدن كبيرة مأهولة بالسكان، واختراع " ألكسندر جراهام بل Alexander Graham Bell " الهاتف و"توماس ألفا إديسونThomas Alva Edison " الكهرباء(٤)، ونجم عن ارتقاء الصناعة ارتفاع مستوى المعيشة في رفاهية الناس، والتوسع في التجارة والأعمال؛ فوضع هذا التوسع الكبير أساساً لعظمة نيويورك المالية، والتجارية (٥). ولقد كان للسكك الحديدية دورٌ في ذلك الازدهار والتقدم؛ حيث ساعدت الحكومة الاتحادية على إنشاء السكك الحديدية التي تعبر القارة من أدناها إلى أقصاها حتى تتيسر التجارة، وتحل محل الخيول البطيئة، ومركبات النقل التي تجرها الثيران. وقد تم أول هذه الخطوط الحديدية سنة ١٨٦٩م وهكذا ربطت الولايات الشرقية بالولايات الغربية الجديدة التي امتدت غرباً حتى المحيط الهادي (٦).

وكانت الصناعة تفضل كل ما يتطلبه الانتاج من تطور أكثر عن أي ربح، أو تمركز مالي، وفي الطريق الذي فتحته شركات الخطوط الحديدية كانت أولى الصناعات هي البترول (٧)، ففي عام ١٨٨٢م نشأت شركة ستاندر اويل Standard Oil Company " لجون د. روكفلر John D. Rockefeller" الذي استطاع في بضع سنوات أن يسيطر على ٩٠ ٪ من الشركات البترولية، وعندما أنشأ روكفلر شركة ستاندر أويل برأسمال قدره مليون دولار، لم يكن يدري أنه أنشأ بذلك أساس شركات النفط العالمية السبع في الأعوام التالية (٨).

وأسس "أندرو كارنيجي Andrew Carnegie" شركة أطلق عليها شركة الولايات المتحدة للفولاذ United States Steel Company ذلك الرجل الذي لم يكن يمتلك أي نقود عندما هاجر إلى الولايات المتحدة هو وأسرته لكنه أصبح أغني رجل في العالم(٩). الذى بدأ كموظف، ثم ارتقى السلم الوظيفي حتى أصبح رئيساً لشركة بنسلفانيا للسكك الحديدية، ثم صنع ثروة كأحد أقطاب قطاع الصلب (١٠). كانت مصانعه تنتج في نهاية القرن التاسع عشر ثلاثين مليون طن من

الصلب؛ مما يؤمن لـه ربحـاً سـنوياً يتجـاوز الأربعـين مليون دولار، وقـد بلغـت ثروتـه سـنة ١٩٠١م بليـون دولار [١١].

إضافة إلى ذلك فقد ظهرت شخصيات آخرى لا تزال أثارها باقية حتى الآن وهو "جي بي مورجان J. P. Morgan " ابن المصرفي الذي باع أسهم شركات السكك الحديدية، وخطط لاندماج ضخم بين شركات السكك الحديدية وأصبح "جى بى مورجان" ممولاً ثرياً فيما بعد. على أية حال ارتفعت الإنتاجية بحلول العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، وتضاعف انتاج الحديد خلال سنوات قليلة، وتضاعف انتاج الصلب واتسعت شبكات السكك الحديد، والتلغراف الواحدة بعد الأخرى، وجلبت نظم النقل والاتصال السريعة والمنظمة عالية الكفاءة المواد الخام من أقصي البلاد إلى المصانع[١٢]، وتوسعت السكك الحديدية ثمانية أضعاف منذ الحرب الأهلية حتى أصبحت تربط بين المدن العملاقة التي أصبحت مضاءة بالكهرباء، ومأهولة بالسكان، وحقق الأمريكيون في منتصف سبعينيات القرن التاسع عشر فائضاً في ميزان التجارة على قوة الصادرات التي تضاعفت أربعة مرات بين عامي ١٨٦٥م و ١٩٠٠م لتصل إلى ٢٥٠ مليون دولار سنويا[١٣].

وبذلك فإنه في حوالي نصف قرن ما بين الحرب الأهلية، وبداية الحرب العالمية الأولى طرأت تغيرات أشد وقعاً على الاقتصاد الأمريكي الذي تسارعت فيه معدلات نموه، وزادت تنوعا؛ فمع مطلع القرن العشرين كان لدى الولايات المتحدة أكبر وأحدث اقتصاد صناعي؛ اقتصاد قائم على شركات عملاقة [١٤].

فبفضل الطرق الصناعية الحديثة، وغزارة المواد الأولية وتشعبه تخطى الإنتاج الصناعي الأمريكي مجموع الإنتاج الصناعي الأوربي في بداية القرن العشرين[١٥].وبذلك وضعت الحرب الأهلية اللمسات الأخيرة للثورة الصناعية، وحطمت الحواجز التي تحول دون استثمار الرأسمالية الصناعية بالسوق الأمريكية [١٦].

على أية حال هيمنت الشركات الكبرى على الأسواق وتمثلت الاستراتيجية الثابتة لهذه الشركات في قهر أي منافسة؛ الأمر الذي يسمح لها بفرض أسعار مرتفعة على الأفراد، وفعل كل مايحلو لها تقريباً، وكانت تلك الشركات غير خاضعة للمسألة [١٧]؛ لذلك ظهرت مايعرف باسم "الاتحادات الاحتكارية trusts " [١٨] مثل شركة تكرير البترول، وتصنيع الصلب، وكانت الشركات الكبيرة شركات قابضة تمتلك أسهم الشركات الصغرى، وتتصرف فيها بالنيابة عنهم [١٩]، وبداية من أوائل سبيعنيات القرن التاسع عشر بدأت شركة ستاندر أويل فى ممارسة قوة كبيرة فى الصناعة فى الولايات المتحدة، وفي غضون سنوات قليلة حصلت على المركز المهيمن [٢٠]، وشملت الاحتكارات اتفاقيات غير رسمية وتجمعات لها السيطرة على الإنتاج والأسعار، ثم يتقاسمون الأرباح،أو احتكارات

من خلال أسهم الشركات التي كانت منافسه من قبل[٢١].

أثار هذا الارتفاع المفاجئ في التركيز الصناعي نقاشًا سياسيًا مكثفًا، وتناولت الصحافة في أواخر عام ١٨٨٠م مسألة تكوين الاحتكارات بشكل مفصل؛ حيث تضمنت المجلات الرائدة عددا من المقالات حول الاتحادات الاحتكارية بين عامي ١٨٨٧م و ١٨٩٠م، وتناول الرأي العام وحده الموضوع أكثر من ٥٠ مرة بين أكتوبر ١٨٨٧م، وأبريل ١٨٩٠م، لكن الوسيلة الأساسية لمناقشة قضية الاحتكار كانت الصحف[٢٢].

وكان الرئيس " ثيودور روزرفلت" يرى أن الاتحادات الاحتكارية ناتجة من القوى الاقتصادية الطبيعية عن طريق:

١- المنافسة المدمرة بين رجال الأعمال التي أجبرتهم على تجنب المخاطر من خلال التعاون فى تحديد الأسعار.

٢- نمو الأسواق على المستوى الداخلى، أو المستوى الدولي يدعو للتراكمات الكبرى من رؤوس الأموال للقيام بمثل هذه الأعمال التجارية.

٣- ويمكن تحقيق الادخارات الهائلة من قبل الاتحادات من خلال عدد من المصانع تحت إدارة واحدة[٢٣].

وكان من نتائج الاحتكارات فى الولايات المتحدة أن أصبح ثلث جميع الصناعات ماعدا الزراعة تحت سيطرة الاتحادات الاحتكارية؛ فكانت إحدى الاتحادات الاحتكارية مسيطرة على ٧٥ ٪ من صناعة الصلب، وباعت أخرى حوالى ٩٠ ٪ من ناتج السكر، وأخرى قامت بتكرير ٧٥ ٪ من النفط، وصنعت أخرى ٧٥ ٪ من الورق[٢٤]، وفى أواخر القرن التاسع عشر خشى كثير من الأمريكيين أن يكون فى وسع الشركات الكبيرة جمع مقادير ضخمة من رأس المال الذي يمكنها ابتلاع شركات أصغر، أو الاشتراك، أو التواطؤ مع شركات أخرى للقضاء على المنافسة، وفي كلا الحالتين يمكن للاحتكار أن يجبر الزبائن على دفع أسعار مرتفعة، وأن تحرمهم من الاختيار، وقد دفعت تلك المخاوف إلى صدور قوانين مكافحة الاحتكار[٢٥]، ورغم مميزات تلك الاحتكارات إلا أنها كانت مثار نقد شديد من قبل المواطنين الذين كان يزعجهم تسلط أفراد قلائل على ثروات البلاد، فما لبث أن ظهر رأي عام معاد لهذه الاحتكارات وطالب بالقضاء عليها[٢٦].

ثانيا: قانون شيرمان لمكافحة الاحتكار ١٨٩٠م.

لم تصنع الإدارات الأمريكية المتعاقبة حداً للاحتكارات، بل تركت لها حرية الإدارة في كل ما تقوم به، أو تفعله في القطاعات الاقتصادية كافة، بل ربما يمكن القول بأنها كانت محمية من قبلها، وأن حاولت حلها؛ فذلك سيكون عن طريق إصدار تشريع من أجل ذلك[٢٧]، وعندما أصبح من الواضح أن الولايات لم

تـتمكن أو لـن تسـهم في الحـد مـن نمـو جميـع أنـواع الشـركات الاحتكاريـة عقـد الكـونجرس جلسـات استماع حول كيفية معالجة هـذه المسـألة؛ لقـد بـدأت الإجراءات القانونيـة ضـد الاحتكـارات عـلى مستوي الولايـة مـن عـام ١٨٨٠م و١٨٩٠م بسـن ١٥ ولايـة بتمرير قوانين تسمح للمسـؤليين بفـض المجموعـات الاحتكارية التي تقيد التجارة [٢٨].

وصدر " قانون التجارة بين الولايات The Interstate Commerce Act " في عـام ١٨٨٧م الـذي سـعى إلى حظر أسوأ مظاهر الاتحاد بين الشركات، وما يتبعه مـن تحديد الأسعار[٢٩]؛ فكان يهـدف إلى حماية الشـركات الصغيرة والسكك الحديديـة مـن الأسـعار التفضـيلية التي تمنح للشحن التجاري عليها، والتي تعتبر سـكك الحديدية مضطره لمنحهـا إلى الشـركات الاحتكاريـة، وإلى العملاء الأقوياء. وكانـت المخـاوف الاجتماعيـة بشأن التحول الصناعي الهائل، والمخاوف الاقتصادية بشأن الاحتكـارات، والتكـتلات التـي تهـدد الأسـواق الحرة، والمخاوف السياسية فى الدولة التي قـد تصـبح فيها شركات الاحتكارية قويـة أدت إلى إصـدار قـوانين مكافحة الاحتكار عام ١٨٩٠م [٣٠].

فكان " قانون شـيرمان The Sherman Act " الـذي أقره الكونجرس رداً على الطلب العام على نطاق واسـع بأن يتم عمل شيء للحد من شرور الاعمـال التجاريـة الكبرى [٣١]، وكذلك لمحاولة وقف الإندماجات التي كانت تقود الشركات الصغرى خارج الأعمال التجارية " تمنع التنافس معها " ولتحديد أسعار المستهلكين[٣٢].

وكان البند الأول من القانون يعلـن أن بعـض العقـود، والمؤامرات غير قانونية بصفة عامة حيث نص على[٣٣] " كل عقد أو اتحاد يتخذ شـكل احتكـار، أو غيـره، أو تآمر، يؤدي إلى تقييد التجارة فيما بين ولايـات عـدة أو مع دولة أجنبية، يكون بموجب هذا القانون عمـلاً غيـر قانوني"[٣٤].

وطبق هـذا القـانون في بعـض الأحيـان ضـد شـركات الاحتكار إلا أنه لم يحـل دون التجمـع الصـناعي؛ فقـد اسـتعمل هـذا القـانون عـلى الأخـص ضـد العمـال المنظمين في النقابات العمالية حيث يقـوم منطـق هـذا القانون على مبدأ مساواة غير صحيحة؛ لأنه يضـع عـلى قدم المساواة العامل الذي لا يملك سـوء القـدرة عـلى العمل مع أصحاب المصانع [٣٥]، وتطبيق ذلك القانون على النقابات العمالية ليس لأنها في حد ذاتها احتكارات عمالية، وبالتالي فهي تقيـد المنافسـة؛ ولكـن فقـط لأن الإضرابات والمقاطعات لها تأثير في التداخل بدرجة ما في التدفق الحر للبضائع من ولاية إلى أخرى [٣٦].

وعـلى ذلـك فقـد اسـتخدم محـامو الشـركات قـانون شـيرمان كوسـيلة للسـيطرة عـلى النقابـات العماليـة، ونجحوا في اقناع القضاء بإصدار حكم بأن الإضـرابات الكبرى تعد مؤامرات تقيد التجارة، ومن ثـم أصـدرت أوامر للتحقيـق في تلـك المسـألة [٣٧]، وقـد وقـع أول استخدام رئيس لقانون شيرمان للحد من أنشطة العمال أثنـاء اضـراب " بولمـان Pullman Strike " عـام

١٨٩٤م[٣٨].

وكان ذلك القانون يهدف إلى منع القيود على المنافسة الحرة في الأسواق التقليدية، ولم يتم وضعه لتعيين المحاكم الاتحادية كأجهزة شرطة لمنع تلك التدخلات مع النقل بين الولايات التي يجب على السلطات المحلية معاقبتها، ولكنه لا يقوم على وجه التحديد بحماية المنافسة في الأسواق المشتركة بين الولايات من الأنشطة الشاقة للنقابات العمالية [٣٩].

لذلك يعد هذا القانون حبراً على ورق [٤٠]، لأنه لم يؤدِ إلى نتيجة فعالة فور صدوره؛ وذلك لأنه تم صياغتها في لغة عامية غير محددة [٤١] ولم ينفذ عملياً خلال رئاسة الرئيس " بنيامين هاريسون Benjamin Harrison (١٨٨٩ - ١٨٩٣م) "والرئيس "جروفر كليفلاند " Grover Cleveland (١٨٩٣ - ١٨٩٧م).[٤٢]

ثالثاً: الدعاوي القضائية ضد الشركات الاحتكارية.

إن كانت قوانين مكافحة الاحتكار أثبت أنها سلاح أخرق؛ فقد كان من الصعب أثبات حدوث احتكار وإحجام القضاء عن اصدار أحكام من شأنها أن تدمر شركات عريقة، والأهم من ذلك أنه ما كان بالإمكان تفتيت وتمزيق عمالقة الصناعة دون التضحية بكفاءات الإنتاج الكبير[٤٣]، ولكن ساعد قانون شيرمان على تنبيه الكونجرس إلى حقيقة الصلاحيات الواسعة التي تضمنتها فقرة التجارة، والتي استفاد منها الرئيس " ثيودورروزفلت " في العقد التالي لجعل الحكومة الفيدرالية طرفاً أساسياً في تنظيم الاقتصاد [٤٤]، وبناء على ذلك القانون تم تفكيك شركة ستاندر أويل وشركة التبغ الأمريكية بمقتضي حكم صادر عن المحكمة العليا، ثم خضعت شركات أخرى لأحكام القضاء تنفيذاً لقانون مكافحة الاحتكار في العقود التالية [٤٥].

ولكن أثر الحكم الصادر على أكبر تكتل للثروة في العالم هو أن زاد تلك الثروة؛ ففي العامين اللذين أعقبا تفكيك ستاندر أويل تضاعفت قيمة أسهم الشركات التي أنبثقت عنها مما زاد من ثروة "جون دي روكفلر" إلى ضعف ما كانت عليه [٤٦]، ومن بين عامي ١٨٩٨م و ١٩٠٣م قامت حوالي (٢٧٦) من تجمعات الشركات، أو الشركات الدامجة، وذلك وفقاً للخبير المالي والمحرر " جون مودي John Moody"، وكذلك شكلت حوالي (٤٥٠) اتحاد احتكاري، وبحلول عام ١٩٠٩م كان واحد في المائة من الشركات الصناعية في البلاد تنتج حوالي (٤٤٪) من السلع المصنعة في البلاد [٤٧].

ومن بين الشركات الضخمة شركة الولايات المتحدة للصلب التي تأسست عام ١٩٠١م، كانت في الأساس شركة قابضة استطاعت الحصول على أسهم العديد من الشركات التابعة لها، وكانت معظمها شركات صناعية عملاقة، وكان من بينها شركة كارنيجى وغيرها [٤٨]، وكانت شركات التأمين من أكثر تراكم رأس المال في الولايات المتحدة [٤٩].

وعلى الرغم أن تلك الاحتكارات عملت على تحسين

وتطوير الصناعة، وعملت على خفض تكاليف الإنتاج، وتنظيم العمل [٥٠]، ومن خلالها وصلت الولايات المتحدة إلى مستوي عالي من الرفاهية؛ وذلك لم يكن دون أسباب؛ بل يرجع ذلك إلى القوى الاقتصادية التي لعبت دوراً كبيراً في البلاد منذ أكثر من قرن [٥١]، وكذلك قام أباطرة الصناعة الذين قادوا أنظمة السكك الحديدية عبر القارة لإنشاء أسواق للتجارة، وتطوير الصناعة فعلوا خيراً عظيماً لشعب الولايات المتحدة، ودون ذلك لا يمكن أن يحدث التطور المادي الذي تفخر به الولايات المتحدة[٥٢]، وكذلك للاحتكارات أثر في جعل الولايات المتحدة مركزاً صناعياً قيادياً على المستوي الدولي[٥٣].

لكن تلك التنمية الصناعية جلبت معها في بداية القرن العشرين بشكل مباشر مشاكل اجتماعية خطيرة لذلك كان على القوانين مهمة تنظيم تراكم الثروة، وتوزيعها، وبما أن التغيرات الصناعية التي زادت كثيراً من القدرة الانتاجية؛ فإن تلك القوانين لم تعد كافية [٥٤]، وأصبحت عملية اندماج الشركات مصدر قلق وخاصة لرجال الأعمال الصغار حيث إنهم أصبحوا في حالة قلق مستمر حول عدم قدرتهم على منافسة الشركات الكبرى، وكذلك شعور المستهلكين بالقلق أيضاً خوفاً من زيادة الأسعار، والتي قد تنتج من عدم وجود منافسة [٥٥] وكان من بين تلك المشكلات التي واجهة المجتمع الأمريكي في مطلع القرن العشرين، والتي أهتم بها عدد كبير من الإصلاحيين لإيجاد المزيد من الحلول كانت هي تنظيم الشركات العملاقة التي أصبحت موضوعاً ثالثاً رئيساً للتقدميين، ولقد خيم القلق أيضاً بين الحزبين (الجمهوري _ الديمقراطي) حول تركز القوة الاقتصادية [٥٦].

ولذلك ظهر النضال المعادي للاحتكار، وكان أكثر نفاذ بدافع من الرئيس" ثيودور روزفلت " والرئيس " وودور ويلسون " وهكذا شعر رئيس جمهوري ورئيس ديمقراطي بأنه يجب اتخاذ إجراءات للحد من تفاقم الفواصل داخل المجتمع الأمريكي [٥٧]؛ حيث ما كان يقلق التقدميين هو رفاهية الفرد، وأعربوا عن رغبتهم في عدم تدمير الرأسمالية التنافسية، بل أردوا إحياءها عن طريق التحقق من نمو الاحتكار، وتعزيز تكافؤ الفرص [٥٨]، وإدارة الشركات وخاصة مجموعات الشركات في إطار التنظيم العام، ولا يمكن الحصول على الإشراف اللازم من خلال إجراءات الدولة وحدها، وإنما يجب تحقيقه بالعمل الوطني[٥٩].

وكان الرئيس " ثيودور روزفلت " على علم بالوضع الاقتصادي القائم حينئذ، وكان على عكس الذين سبقوه؛ فقد أخذ الموضوع بكل جدية؛ ففي خطبه كان دائماً يتحدث بشكل مطول عن موضوع الاتحادات الاحتكارية [٦٠]. رأى روزفلت أن الشركات الاحتكارية مرحلة جديدة في تطوير الصناعة الأمريكية، واعتبر المنافسات غير المنظمة مصدر الفساد، وأنه يجب أن يعالج ذلك رغبة في بقاء الحضارة الأمريكية على قيد الحياة [٦١]، وكان من بين الخطوات الجريئة

التي اتخذها روزفلت للمضي قدوماً هى معالجة بعض المؤسسات التجارية الكبرى في البلاد، وعلى الرغم من المحاولات السابقة لكبح الاحتكارات من خلال لجنة بين الولايات، وقانون شيرمان إلا أن الاحتكارات ظلت حقيقة واقعية، وعلى الرغم من وجود الرأسماليين المتشددين في البلاد إلا أن روزفلت بدأ التحدث ضد الأقطاب التجارية، وضد رؤساء الشركات الذين لا يتصرفون لصالح الشعب.

وحاول روزفلت في البداية جعل الاحتكارات تحت السيطرة من خلال السيطرة و التنظيم، وطلب من الكونجرس لتمرير القوانين أن تأذن لترخيص الشركات من قبل الحكومة الاتحادية(٦٢)، وضرورة نشر المعلومات الكاملة، والدقيقة المتعلقة بعمليات تلك الشركات بصورة منتظمة على فترات زمنية معقولة، وينبغي أن يكون للحكومة الحق في تفتيش ودراسة أعمال الشركات الكبرى العاملة في مجال الأعمال المشتركة بين الولايات (٦٣)، وكانت مسألة الشركات الاحتكارية المركزة تمثل معضلة بالنسبة للتقدميين، وكان هناك عدة حلول لتلك المشكلة من بينها السماح للأعمال التجارية للعمل في إطار سياسة عدم التدخل، واعتماد برنامج اشتراكي للملكية العامة للشركات الكبرى (٦٤)، وحل آخر عن طريق تحديد السعر نفسه لحماية المستهلكين، وهذا حل مباشر أو بحل أخر غير مباشر من خلال منع الاحتكارات وقيود المنافسة (٦٥).

ليس معني ذلك هو التخلص من الشركات الاحتكارية؛ بل على العكس من ذلك فإن هذه التجمعات الكبرى هي تطور حتمي للصناعة الحديثة، بل الهدف هو التخلص من أي شر أو فساد فيها، وهناك خط فاصل بين سوء سلوك الشركات، وبين تكوين الشركات(٦٦)، وكان الرئيس روزفلت يري أنه من السيء محاولة حظر جميع الاحتكارات كما فعل قانون شيرمان لمكافحة الاحتكار؛لأن مثل هذا القانون يمكن أن ينفذ فقط بشكل غير كامل، وغير متكافيء، ولكنه يؤيد بقوة أن يستعاض بالقانون الذي يسمح صراحة بالاحتكارات والتجمعات التي تكون في صالح الجمهور(٦٧)، ووصف روزفلت الشركات العملاقة بأنها أشرار الثروة العظيمة (٦٨) ووصف أصحاب الشركات بـ" البارونات اللصوص The Robber barons " الذين تحولوا إلى ارستقراطية – دون أصول – أقامت لنفسها قلاعا – دون أسوار – على هيئة مؤسسات تحمل أسماءهم (٦٩).

وكان أحد أصدقاء ثيودور روزفلت يلفت نظره إلى ضرورة عمل شيء، فكان رد روزفلت بعبارة صارت مثلاً في التاريخ الأمريكي الحديث " أنت تريدني أن أمارس الحب مع الفيل " (٧٠) وبرغم ذلك قام الرئيس ثيودور روزفلت بتنفيذ قانون شيرمان تنفيذاً فعالاً حتي أطلق عليه " محطم الاحتكار Trustbuster " (٧١) وذلك لاستخدامه التشريعات الفيدرالية لكبح جماح قوة الشركات العملاقة، وحماية الجمهور من

الممارسات التجارية غير الأخلاقية (٧٢)، وصرح قائلاً:"بأن النمو العظيم للاقتصاد الصناعي يعني أنه لابد من وجود زيادة في الإشراف الذي تمارسه الحكومة على المشروعات الصناعية، والتجارية" (٧٣)، وأصر على التحكيم عندما حدث إضراب عمال صناعة الفحم، وكانت تلك أول مرة تتدخل الحكومة في علاقات العمال دون اتخاذ الناحية الإدارية ضد العمال(٧٤).

وفي ١٤ فبراير١٩٠٣م تمت الموافقة على إنشاء "وزارة التجارة والعمل The Department of Commerce and Labor" (٧٥) وبناء على توصية روزفلت الكونجرس بضرورة إنشائها، واحتواء تلك الوزارة على مكتب الشركات، وتسلحها بالسلطة التي تمكنها من إجراء تحقيقات في عمل وممارسات الاتحادات الاحتكارية، وتقديم تقارير عن النتائج التي توصلت إليها(٧٦)، وسلطة قيام الدعاوي القضائية المناسبة، وانفاذ القانون الاتحادي لمكافحة الاحتكار (٧٧)؛ فحاول ثيودور روزفلت تفعيل قانون شيرمان وجعله قيد التطبيق حيث أصدر تعليماته للنائب العام " فيلاندر سي نوكس Philander C. Knox " للبدء في رفع دعوة قضائية ضد "شركة الاوراق المالية الشمالية the Northern Securities Co" وربحت الحكومة هذه القضية، وفي مارس ١٩٠٤م أعلنت المحكمة العليا عن تأسيس أربع إلى خمس شركات؛ وذلك من شأنه أن يدمر كل دافع للمنافسة (٧٨).

وقام ثيودور روزفلت في أثناء تولية الرئاسة برفع دعاوي قضائية ضد ٤٤ شركة؛ وذلك عندما فشل الكونجرس في الرد على دعوته للحد من قوة الاتحادات الاحتكارية (٧٩)، وفي عام ١٩٠٦م رفعت دعوة قضائية ضد شركة ستاندر أويل نتيجة أنها تنتهك قانون شيرمان، واستمرت تلك القضية حتي رئاسة "هوارد تافت" (٨٠)، وبعد خمسة سنوات أصدرت المحكمة العليا قرارها (٨١) بأن شركة ستاندر أويل تنتهك قانون شيرمان، ولذلك لابد من حلها، وأن تتخلي عن سيطرتها على الشركات المكونة بها، والتي بلغ عددها ثلاثة وثلاثين شركة، وأعطاء هذه الشركات الصغيرة حصتها النسبية من أسهم الشركة، ولكن ذلك لم يؤدي إلى نتائج جيدة؛ بسبب وجود مجموعة من رجال الأعمال الذين سيطروا على الشركات، ورفعت دعوة قضائية ضد الشركة الأمريكية للتبغ، وضد الاتحادات الاحتكارية للفولاذ وغيرها (٨٢).

ورغم رفع عدد كبير من الدعاوى القضائية إلا أن الحكومة فازت في عدد قليل من القضايا المهمة، و لم تجمع الغرامات المالية، ولم تعاقب المخالفين تحت بند جنائي لقانون مكافحة الاحتكار؛ لذلك كان الرئيس ثيودور روزفلت لا يظن أن الدعاوى وحدها من شأنها أن تحل مشكلة الاتحادات الاحتكارية؛ لذلك كانت الدعاوى هي الخطوة الأولى من أجل تنظيم الاتحادات، والخطوة الثانية يجب أتخاذها من قبل الكونجرس، وتعتبر حملة ثيودور روزرفلت ضد

الاتحادات الاحتكارية من وجهة النظر الاقتصادية لم ترق إلى الكثيرين، وكان تأثيرها قليلاً في الوقت الذي وضعت فيه لكبح جماح الاحتكار، وأثناء تلك السنوات نفسها كانت النسبة الإجمالية للاتحادات الاحتكارية تزيد بمعدل مليارات من الدولارات (٨٣).

وبعد تولية الرئيس "هوارد تافت" رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية تعهد بمواصلت برنامج روزفلت من التشريعات التقدمية، وتنفيذا لهذا الوعد لاحق الرئيس تافت ٩٠ دعوة من الدعاوى القضائية لمكافحة الاحتكار لتفريق الشركات الكبرى التي تنتهج سياسة غير عادلة مع الشركات الصغيرة (٨٤)، رغم أن ثيودور روزفلت كان ضد الاتحادات الاحتكارية إلا أنه اعترفها بأهميتها في تطوير ونمو الاقتصاد، لكن جهوده في هذا الجانب لم تلقي الترحيب؛ نظراً لاستمرار الاتحادات في عملها؛ لذلك كان الطلب عاماً بضرورة سن تشريع فيدرالي لمواجهة الاتحادات الاحتكارية

رابعاً: قانون كلايتون Clayton Act ١٩١٤م.

استمرت المخاوف من الاتحادات الاحتكارية، وخاصة بعد الذعر المصرفي ١٩٠٢م – ١٩٠٣م، والأزمة المالية ١٩٠٧م– ١٩٠٨م ووجود التعاملات المالية غير المشروعة مع عدد من الشركات الاحتكارية مثل شركة ستاندر أويل، وشركة التبغ؛ فكان ذلك كافياً للحفاظ على قضية الاحتكار بشكل جيد في جدول الأعمال، وكان ينظر للتنظيم على أنه الحل من خلال سن القوانين اللازمة لمكافحة الاحتكار، وكذلك عدم فعالية قانون شيرمان؛ لأن أكبر نشاط لاندماج الشركات تمت في الفترة ١٨٩٥م إلى ١٩٠٤م كل ذلك كان يدعم المخاوف من الاحتكارات، وكان ينتظر وقفها (٨٥)، ومع انتخابات وودرو ويلسون رئيساً في عام ١٩١٢م كان الجميع يعتقد أن النهاية اقتربت بعد كفاح طويل لمكافحة الاحتكار، والتخلص من الاستخدام المفرط للأوامر القضائية في النزعات العمالية طبقاً لقانون شيرمان (٨٦).

وكانت فترة ولاية الرئيس ويلسون الأولى إشارة مبشرة؛حيث إنه وضع جدول أعماله حيز التنفيذ، وقال " أنه سوف يحاول محاربة، وتفكيك الاحتكارات" (٨٧)؛ فكان غرضه الديمقراطي هو تدمير الاحتكار، والمحافظة على المنافسة على أنها الإدارة الفعالة الوحيدة في حرية الأعمال التجارية (٨٨).

فقال ويلسون في الخطبة التي افتتح بها عهد رئاسته الأولى: " إننا لا نزال نفتخر بمجهودنا، وإنتاجاً الصناعي ولكن إلى الآن لم نقف مده كافية لنفكر، ونتأمل فيها بأنها دفعت الإنسان ثمناً لهذا الإنتاج، وكثيراً ما اتخذ بعض الأشخاص من الحكومة وسيلة لتحقيق مأربهم الشخصية، ومصالحهم الذاتية دون أن يعيروا الشعب التفافاً...... أنني لأدعو كل رجل أمين مخلص أن يقف بجاني" (٨٩). وفي تلك السنة التاريخية كانت الإدارة الوطنية، والمؤتمر الثالث والستين للكونجرس قد انشغل في صياغة برنامج التشريعات المناهضة للاحتكار وصياغته، وتنقيحه، واعتماده

وسنه في القانون[٩٠]، وفي ١٣ أبريل ١٩١٤م أعلن متحدثون باسم الإدارة أن الرئيس سيصر على إصدار قانون مضاد للقوانين والتشريعات المضادة للاحتكار من أجل الوفاء بتعهدات الحزب الديمقراطي بالعمل الجاد في تلك المسألة، وفي الوقت نفسه أعلن رئيس اللجنة القضائية في مجلس النواب " هنري د. كلايتون Henry D. Clayton " أن قانون "كلايتون Clayton Act " لمكافحة الاحتكار سيعرض على مجلس النواب للموافقة عليه [٩١].

ودعمت القوى الديمقراطية في مجلس النواب قانون كلايتون إلى أقصى درجة، وذهبت للتصويت عليه، وكانت النتيجة أنه أكثر من ٩٥ ٪ من الديمقراطيين صوتوا على ذلك القانون مقارنة ب ٤٤٪ فقط من الجمهوريين مما أدى ببعض الاستنتاجات الواضحة إلى الديناميات الحزبية على المستوي الوطني المدعومة من القيادات التنفيذية هي من الأسباب الرئيسة المسئولة عن تمرير القانون[٩٢]، وذهب التدبير إلى اللجنة القضائية في أبريل ١٩١٤م، وتم تمريره من قبل مجلس النواب في يونيو [٩٣]، ولكن توقف في مجلس الشيوخ عندما عرض عليه في الثاني من سبتمبر ١٩١٤م[٩٤]، وفي ذلك الوقت قام مستشار ويلسون المحامي " لويس دي برانديز Louis D. Brandeis " بمساعدة ويلسون حيث اقترح عليه أن يدعم مشروع قانون " كلايتون " مشروع قانون أخر شق طريقه عبر الكونجرس، فكان" قانون لجنة التجارة الفيدرالية "Federal Trade Commission Act"[٩٥].

وتتكون تلك اللجنة من خمسة أعضاء يشغلون منصباً لمدة سبع سنوات [٩٦]، ويعينهم رئيس الجمهورية [٩٧]، وفي ٢٦ سبتمبر ١٩١٤م أعلن قانون لجنة التجارة الفيدرالية " أن أساليب المنافسه غير المشروعة في التجارة غير قانونية " [٩٨]، ولاتعد تلك اللجنة مكتباً لأي وزارة ولكنها تتمتع بمركز مستقل، ومع ذلك فإن بعض أعمالها تعمل كمساعدة افتراضية لوزارة العدل[٩٩]، وقد أذن للجنة بتقديم شكوى ضد أي شخص، أو شركة تستخدم طرق غير عادلة للمنافسة إذا تبين للجنة أن يدا في هذه اللجنة في صالح الجمهور. هذا بالإضافة إلى ما نص عليه قانون " كلايتون " حيث ينص البند الأول منه على أن "التميز السعري غير قانوني " [١٠٠] بمعني أن الممارسات الاحتكارية التي تقوم على التميز في أسعار البيع، أو الشراء للمنتجات المتماثلة من ناحية النوع يعد خرقاً للقانون [١٠١]، ويحظر البند الثاني امتلاك شركة واحدة لأى جزء من أسهم رأس مال شركة أخرى وما يترتب على ذلك من تقليل المنافسة بدرجة كبيرة بين هذه الشركات، أو تقييد التجارة، أو تميل لخلق احتكار[١٠٢]، ويحظر البند الثالث من قانون كلايتون " عقود البيع، أو عقود الإيجار التي يتم إجراؤها بناء على الشرط، أو الاتفاق، أو الفهم بأن المشتري أو المستأجر لا يتعامل أو يستعمل بضائع منافس البائع المؤجر أو المؤجر" [١٠٣]، ويعرف هذا البند بصفقات الربط [١٠٤].

وكان موقف قانون كلايتون من النقابات العمالية يختلف عن قانون شيرمان حيث أعطى قانون كلايتون العمال حصانة افتراضية من عمليات قانون شيرمان؛ حيث حظر قانون كلايتون " إصدار أوامر قضائية من المحاكم الاتحادية في المنازعات العمالية " مالم يكن ضرورياً لمنع وقوع إصابات لا يمكن إصلاحها في الممتلكات، أو حق الملكية " وبذلك فإن النقابات العمالية قد تم تحريرها فعليا من قيود قانون شيرمان[١٠٥].

وخلاصة القوانين الاحتكارية أن قانون شيرمان يحظر تقييد التجارة دون مبرر بموجب عقد، أو مؤامرة، فإن قانون لجنة التجارة الفيدرالية يدين أساليب المنافسة غير العادلة على الرغم من أنها قد لا تأتي ضمن تثبيط مباشر من قانون شيرمان، وقانون كلايتون ضد جميع الفرضيات التي قد تميل إلى حد كبير إلى تقييد التجارة[١٠٦]. كما أن التشريعات المناهضة للاحتكار لقيت تأييداً من جانب المستهلكين، بل من جانب رجال الأعمال الأصغر حجماً، ومن جانب المزارعين _ممن كانوا يستخدمون السكك الحديدية _ أو كانوا يعانون من عدوان الاتحادات الكبرى، وكان المدافع عن "قانون مناهضة الاحتكار " يري أنه يحمي المصلحة العامة مثلما يحمي مصلحة أساسية للرجال الأعمال[١٠٧].

الخاتمة

يتضح مما سبق أن:-

تمتع الولايات المتحدة الأمريكية بقدر كبير للغاية من التقدم الصناعى الذى جلب لها تكوين شركات تجارية ظلت تنمو إلى أن أصبحت غولا ابتلع الأسواق، وأضرت بالمستهلكين. تلك الشركات وجدت طريقها للنمو في القرن الثامن عشر وخاصة مع بداية منتصفه الذى ساعدت الظروف الاقتصادية على وجود الاتحادات الاحتكارية مع إغفال الادرات الأمريكية الحد من تفاقم قوتها.

لكن مع نهاية القرن الثامن عشر بدأت تظهر المحاولات القومية لحل مشكلة الاتحادات الاحتكارية. كانت المحاولات تلك ماهى إلا أداه سياسية لمحاولة أثبات أن الحكومة والكونجرس يعملا بالفعل للحد من نمو الاتحادات الاحتكارية وتحكمها في اقتصاد الدولة.

لكن الحقيقة أن الاتحادات الاحتكارية ظلت تعمل كما هي مع وجود بعض الضوابط لضبط السوق فقط، وإن ذكرت قيام الحكومة بحل بعض الشركات ورفع دعاوى قضائية إلا أن ذلك لا يعمل في استمرار الاتحادات الاحتكارية في عملها لأن اقتصاد الولايات المتحدة قائم وبشكل كبير جدا على تلك الشركات فإذا انهارت فبالتالى كان سينهار معاها اقتصاد الدولة كلها. لذلك أرى أن تلك القوانين والمحاولات ماهى إلا وسيلة لوضع بعض الضوابط على الشركات الاحتكارية وخاصة العملاقة منها إما القول أن تلك المحاولات قضت على الاحتكارات فهو أمر مبالغ فيه.

ويتضح أيضا أن مسألة الاتحـادات الاحتكاريـة كانـت موضع نقاش وجـدلا طويـل لكـن رغـم ذلـك كانـت الأهداف الأساسية في تلك المسألة لدى صـناع القـرار هي محاولـة ارضـاء الـرأي العـام وخاصـة في فتـرات الانتخابات مع عدم التضحية أيضاً بفوائـد الاتحـادات الاحتكارية وهذا ما أتضح من خلال رسـائل الرؤسـاء إلى الكونجرس.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق

1- F.R.U.S: The annual message of the president transmitted to Congress, December 3, 1901.

2- F.R.U.S: The annual message of the president transmitted to Congress December 2, 1902.

3- F. R.U.S: the annual message of the president transmitted to Congress, December 7, 1903.

ثانياً: الدوريات الأجنبية

1- Albert M. Kales: "The Sherman Act", Harvard Law Review, Vol. 31, No. 3,Jan, 1918.

2- Allyn A. Young: "The Sherman Act and the New Anti-Trust Legislation: III", Journal of Political Economy, Vol. 23, No. 5, May, 1915.

3- C. C. H.: "Restraint of Trade: Clayton Act", California Law Review, Vol. 10, No. 5,Jul, 1922.

4- Carlos D. Ramírez and Christian Eigen-Zucchi: Understanding the Clayton Act of 1914: An Analysis of the Interest Group Hypothesis, Public Choice, Vol. 106, No. 1/2, 2001.

5- Carlos D. Ramírez and Christian Eigen-Zucchi:" Understanding the Clayton Act of 1914: An Analysis of the Interest Group Hypothesis", Public Choice, Vol. 106, No. 1/2, 2001.

6- Charles O. Gregory: "The Sherman Act v. Labor", The University of Chicago Law Review, Vol. 8, No. 2, Feb, 1941.

7- Dallas L. Jones: The Enigma of the Clayton Act, ILR Review, Vol. 10, No. 2, Jan, 1957.

8- Dallas L. Jones: The Enigma of the Clayton Act, ILR Review, Vol. 10, No. 2, Jan, 1957.

9- Dallas L. Jones: The Enigma of the Clayton Act, ILR Review, Vol. 10, No. 2, Jan, 1957.

10- Eileen Lorenzi McDonagh: "Representative Democracy and State

Building in the Progressive Era", The American Political Science Review, Vol. 86, No. 4,Dec, 1992.

11- Felix H. Levy: "Should the Sherman Law Be Revised?", Virginia Law Review, Vol. 6, No. 1,Oct, 1919.

12- Gilbert H. Montague: "Anti-Trust Laws and the Federal Trade Commission, 1914-1927", Columbia Law Review, Vol. 27, No. 6, Jun, 1927.

13- Price Discrimination under the Clayton Act: The Yale Law Journal, Vol. 38, No. 6,Apr, 1929.

14- Richard Polenberg: "Progressivism and Anarchism: Judge Henry D. Clayton and the Abrams Trial", aw and History Review, Vol. 3, No. 2,Autumn, 1985.

15- Rush C. Butler: "The Sherman Anti-Trust Law and Readjustment ", The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 82,Industries in Readjustment,Mar, 1919.

العربية

١- مهند إبراهيم علي فندي: التنظيم القانوني لمناهضة الأحتكار، مجلة الرافدين، المجلد ٩، العدد ٣٣، جامعة الموصل، ص ٢٠٠٧.

٢- صفاء تقي عبد العيساوي: المفهوم القانوني للاستعمال غير المشروع للمركز المتحكم في السوق، مجلة واسط للعلوم الأنسانية، العدد ٢٣.

٣- حيدر طالب حسن و نعيم عبد جودة حبيب: أفول مكانة الحزب الشعبي سياسيا في الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٩٦- ١٩٠٤ م، مجلة جامعة كربلاء العلمية، العراق، المجلد ١٢، العدد ٢، ٢٠١٤.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

الأجنبية.

1- Bruce R. Bringhurst: Antitrust and the Oil Monpoly " The Standard Oil. Cases, 1890- 1911", Ph.D, Xerox University, Claremont, 1976.

العربية.

١- سمير أحمد عمر سنبل: العلاقات السعودية الأمريكية نشأتها وتطورها (١٣٥٢- ١٣٩٥هـ / ١٩٣١ – ١٩٧٥م)، ج ١ رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩٨.

رابعاً: المراجع

الأجنبية

1- Charles A Beard And Mary R. Beard: History Of The United States, The

Macmillan Company, New York, 1921.

2- Elisabeth Israels Perry and Karen Manners Smith The Giled Age and Progressive Era, oxford, New York.

3- George Brown Tindall And David Emory Shi: America: a narrative history, Volume two,Seventh Edition, W.W. Norton & Company, Inc, New York,London.

4- Rodney P. Carlisle: Handbook to Life in America: The Age of Reform, 1890 to 1920, Volume V, Infobase, New York.

5- S. E. Forman: A History of The American People The Centuby Co, New York, 1922.

6- S. E. Forman: A History of The American People, The Centuby Co, New York, 1922.

7- Steven L. Piott: Daily life in The Progressive Era, Greenwood.

8- Tim muneese: The Gilded Age and Progressivism 1891- 1913, Chelsea house, New york, 2010.

المراجع العربية والمعربة

١- إيمى شو: عصر الإمبراطورية، ترجمة منذر محمد صالح، العبيكان، الرياض، ٢٠١١.

٢- تاريخ مصور للولايات المتحدة: مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات، القاهرة، د. ت.

٣- جون ستيل جوردن: إمبراطورية الثروة، ج ٢، ترجمة محمد مجد الدين باكير، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٨.

٤- جون كينتث جالبريت: تاريخ الفكر الاقتصادي، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠، ص ١٧٨.

٥- جون كينيت جالبرت: تاريخ الفكر الاقتصادي، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠.

٦- حامد فرازات: أمريكا المستبدة وسياسة السيطرة على العالم (العولمة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.

٧- روبرت. ب. رايش: الرأسمالية الطاغية، ترجمة علا أحمد إصلاح، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، د. ت.

٨- رودولف جاي. أر بريتز: قانون شيرمان لمنع الاحتكار للعام ١٩٠٠" مؤرخون كتبوا عن أميركا"، وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجي.

٩- ستيفن فنسنت بنيه: أمريكا، ترجمة عبد العزيز عبد

المجيد، مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٤٥.
١٠-سمير التنير: أميركا من الداخل، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٠.
١١-شرين سعيد شلبي: موجز التاريخ الأمريكي، مكتبة الاسكندرية، ٢٠٠٠.
١٢- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٥.
١٣-عبد القادر محمد فهمي: الفكر السياسي والإستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، الشروق، عمان، ٢٠٠٩.
١٤-فؤاد صروف: مشاهد العالم الجديد، مكتبة العربي، القاهرة، ١٩٢٥.
١٥-كلود جوليان: الحلم والتاريخ أو مئتا عام من تاريخ أمريكا، ترجمة نخلة كلاس، ط ٢، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩.
١٦-محمد حسنين هيكل: الأمبراطورية الأمريكية والإغارة علي العراق، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣.
١٧-________________: الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول، ط ٢، المصرية للنشرالعربي والدولي، القاهرة، ٢٠٠٢.
١٨-محمد زياد حمدان: نشوء وانهيار الدول العالمية دراسة الولايات المتحدة كحالة خاصة، مجلة التربية والتقدم، فبراير، ٢٠٠٨.
١٩-نور الدين حاطوم: تاريخ القرن التاسع عشر في أوربة والعالم، ج٢،، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥.
٢٠-نور الدين حاطوم: تاريخ القرن التاسع عشر في أوربة والعالم، ج٢،، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥.
٢١-والتر نوجنت: الحركة التقدمية في أمريكا مقدمة قصيرة جدا، ترجمة مروة عبد الفتاح شحاتة، هنداي، القاهرة، ٢٠١٦.
٢٢-والتر. مكدوجال: أرض الميعاد والدولة الصليبية، ترجمة رضا هلال، دار الشروق، القاهرة، د. ت.
٢٣- وزارة الخارجية الأمريكية: موجز الاقتصاد الأمريكي، مكتب برنامج الاعلام الخارجي.

الحواشي

(١) حامد فرازات: أمريكا المستبدة وسياسة السيطرة على العالم (العولمة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢، ص٦٧.

(٢) عبد القادر محمد فهمي: الفكر السياسي والإستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، الشروق، عمان، ٢٠٠٩ ص ٥٨.

(٣) محمد حسنين هيكل: الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول، ط ٢،المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥٣.

(٤) محمد زياد حمدان: نشوء وانهيار الدول العالمية دراسة الولايات المتحدة كحالة خاصة، مجلة التربية والتقدم، فبراير، ٢٠٠٨، ص٤.

(٥) فؤاد صروف: مشاهد العالم الجديد، مكتبة العربي، القاهرة، ١٩٢٥، ص٣٠.

(٦) تاريخ مصور للولايات المتحدة: مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات، القاهرة، د. ت .، ص٢٨.

(٧) نور الدين حاطوم: تاريخ القرن التاسع عشر في أوربة والعالم، ج٢،، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ص ١٦٠.

(٨) سمير أحمد عمر سنبل: العلاقات السعودية الأمريكية نشأتها وتطورها (١٣٥٢- ١٣٩٥هـ / ١٩٣١ - ١٩٧٥م)، ج ١ رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩٨، ص ١٠٤.

(٩) إيمي شو: عصر الإمبراطورية، ترجمة منذر محمد صالح العبيكان، الرياض، ٢٠١١، ص ٣٤٦.

(١٠) روبرت. ب. رايش: الرأسمالية الطاغية، ترجمة علا أحمد إصلاح، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، د. ت، ص ٢٢.

(١١) عبد العزيز سليمان نوار،محمود محمد جمال الدين: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٣٠.

(١٢) روبرت. ب. رايش: مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٢- ٢٣.

(١٣) والتر. مكدوجال: أرض الميعاد والدولة الصليبية، ترجمة رضا هلال، دار الشروق، القاهرة، د. ت، ص ١٥٣.

(١٤) جون ستيل جوردن: إمبراطورية الثروة، ج ٢، ترجمة محمد مجد الدين باكير، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٨.، ص ٢٧.

(١٥) سمير التنير: أميركا من الداخل، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٣.

(١٦) شوقي جلال: مرجع سبق ذكره، ص ٤٣.

١٧(١٧) روبرت. ب. رايش: مرجع بق ذكره، ص ٢٩.

(١٨) مهند إبراهيم علي فندي: التنظيم القانوني لمناهضة الاحتكار، مجلة الرافدين، مجلد ٩، العدد ٣٣، جامعة الموصل، ٢٠٠٧، ص ٦٠.

(19) Elisabeth Israels Perry and Karen Manners Smith The Giled Age and Progressive Era , oxford , New York , P.300.

(20) Felix H. Levy: "Should the Sherman Law Be Revised?" , Virginia Law Review, Vol. 6, No. 1 ,Oct, 1919 , P. 2.

(٢١) جون كينيت جالبرت: تاريخ الفكر الاقتصادي، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠، ص ١٧٧.

(٢٢) * حيث كانت صحيفة نيويورك تايمز New York Times تطبع يوما مقالات عن الاحتكارات باستثناء يوم واحد خلال فبراير١٨٨٨م. نشرت صحيفة نيويورك ديلي تريبيون New York Daily Tribune ما لا يقل عن ١٧ مقالة افتتاحية، فضلاً عن العديد من المقالات، حول هذا الموضوع خلال عام ١٨٨٩م والنصف الأول من عام ١٨٩٠م. كما كرست صحيفة شيكاغو تريبيون Tribune Chicago الصحيفة الرائدة في الغرب الأوسط اهتماماً مكثف للاحتكارات.

Bruce R. Bringhurst: Antitrust and the Oil Monpoly " The Standard Oil. Cases, 1890- 1911" , Ph.D , Xerox University, Claremont, 1976, P. 4.

([23]) Charles A Beard And Mary R. Beard: History Of The United States , The Macmillan Company , New York , 1921, P. 286.

([24]) S. E. Forman: A History of The American People, The Centuby Co, New York , 1922, P.702.

(٢٥) وزارة الخارجية الأمريكية:موجز الاقتصاد الأمريكي، مكتب برنامج الاعلام الخارجي، ص ٤٩.

(٢٦) عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠.

(٢٧) حيدر طالب حسن و نعيم عبد جودة حبيب: أفول مكانة الحزب الشعبي سياسيا في الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٩٦-١٩٠٤ م، مجلة جامعة كربلاء العلمية، العراق، المجلد ١٢، العدد ٢، ٢٠١٤، ص ٢١٩.

([28])Elisabeth Israels Perry and Karen Manners Smith: Op. Cit , P.29.

(٢٩) جون كينتث جالبريت: تاريخ الفكر الاقتصادي، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠، ص ١٧٨.

(٣٠) رودولف جاي .أر بريتز: قانون شيرمان لمنع الاحتكار للعام ١٩٠٠، "مؤرخون كتبوا عن أميركا "، وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجي، ص ص ٣٢، ٣٤.

([31]) Dallas L. Jones: The Enigma of the Clayton Act , ILR Review, Vol. 10, No. 2 , Jan, 1957, P.201.

([32]) Elisabeth Israels Perry and Karen Manners Smith: Op. Cit , P.300.

([33]) Albert M. Kales: "The Sherman Act" , Harvard Law Review, Vol. 31, No. 3 ,Jan, 1918, P.412.

(٣٤)جون كينتث جالبريت: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨.

(٣٥) كلود جوليان: الحلم والتاريخ أو مئتا عام من تاريخ أمريكا، ترجمة نخلة كلاس، ط ٢، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩، ص ١٠٥.

([36]) Allyn A. Young: "The Sherman Act and the New Anti-Trust Legislation: III" , Journal of Political Economy, Vol. 23, No. 5 , May, 1915 , P.420.

([37]) Elisabeth Israels Perry and Karen Manners Smith: Op. Cit , P.300.

([38]) Dallas L. Jones: The Enigma of the Clayton Act , ILR Review, Vol. 10, No. 2 ,Jan, 1957, P. 202.

([39]) Charles O. Gregory: "The Sherman Act v. Labor" ,The University of Chicago Law Review, Vol. 8, No. 2 ,Feb, 1941, P. 222 .

(٤٠) حيدر طالب حسين و نعيم عبد جودة حبيب: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٩.

(٤١) شرين سعيد شلبي: موجز التاريخ الأمريكي، مكتبة الاسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٠٢.

([42]) Charles A Beard And Mary R. Beard: Op. Cit ,P. 255.

(٤٣) روبرت.ب. رايش: مرجع سبق ذكره، ص ٣٠.

(٤٤) جون ستيل جوردون: مرجع سبق ذكره، ص ٦٢.

(٤٥) روبرت.ب. رايش: مرجع سبق ذكره، ص ٣٠.

(٤٦) جون ستيل جوردون: مرجع سبق ذكره، ص ٨٩.

([47]) Steven L. Piott: Daily life in The Progressive Era , Greenwood., P.485.

([48]) S. E. Forman: A History of The American People The Centuby Co, New York , 1922, P. 701.

([49]) F.R.U.S:the annual message of the president transmitted to Congress, December 2, 1902, p. 2.

(٥٠) عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠.

(51) F.R.U.S: the annual message of the president transmitted to Congress, December 2, 1902, P.2.

(52) F.R.U.S: the annual message of the president transmitted to Congress, December 3, 1901 ,p. 2.

(53) F.R.U.S: the annual message of the president transmitted to Congress ,December 2, 1902, P.3.

(54) F.R.U.S: the annual message of the president transmitted to Congress, December 3, 1901, p. 2.

(55) Steven L. Piott: Op. Cit , P. 485.

(56) George Brown Tindall And David Emory Shi: America: a narrative history , Volume two ,Seventh Edition, W.W. Norton & Company, Inc, New York ,London, P. 895.

(٥٧) نور الدين حاطوم: تاريخ القرن التاسع عشر في أوربة والعالم، ج٢،، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥.، ص ١٦٢.

(58) Tim muneese: The Gilded Age and Progressivism 1891- 1913 ,Chelsea house , New york , 2010, P.340.

(59) F.R.U.S:the annual message of the president transmitted to Congress, December 2, 1902, P.3.

(60) S. E. Forman: A History of The American People, Op. Cit, P.702.

(61) Charles A Beard And Mary R. Beard: Op. Cit , P. 286.

(62) Tim muneese: Op. Cit , P. 97.

(63) with the annual message of the president transmitted to Congress, December 3, 1901, P.3.

(64) George Brown Tindall And David Emory Shi: Op. Cit , P.895.

(65) Price Discrimination under the Clayton Act: The Yale Law Journal, Vol. 38, No. 6 ,Apr , 1929 , P. 804 .

(66) F.R.U.S: the annual message of the president transmitted to Congress, December 2, 1902, P.3.

(67) F.R.U.S: The annual message of the president transmitted to Congress December 2, 1902, P.3.

(٦٨)روبرت. ب. رايش: مرجع سبق ذكره، ص ٢٩.

(٦٩) محمد حسنين هيكل: الأمبراطورية الأمريكية والإغارة علي العراق، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٤.

(٧٠) محمد حسنين هيكل: الزمن الأمريكي من نيويورك إلي كابول: مرجع سبق ذكره، ص ٥٨.

(٧١) شرين سعيد شلبي: مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢.

(72) Elisabeth Israels Perry and Karen Manners Smith: Op. Cit , P.312.

(٧٣) حيدر طالب حسين و نعيم عبد جودة حبيب: مرجع سبق ذكره، ٢٢٦.

(74) Elisabeth Israels Perry and Karen Manners Smith: Op. Cit , P.312.

(75) F.R.U.S: the annual message of the president transmitted to Congress, December 7, 1903, P.2.

(76) S. E. Forman: A History of The American People, Op. Cit, P.707.

(77) F. R.U.S: the annual message of the president transmitted to Congress, December 7, 1903, P.2.

(78) S. E. Forman: A History of The American People, Op. Cit, P.705.

(79) Rodney P. Carlisle: Handbook to Life in America: The Age of Reform, 1890 to 1920 , Volume V, Infobase , New York, P.10.

(80) S. E forman: Advanced American History ,Op. Cit , P.584.

(81) S. E. Forman: A History of The American People, Op. Cit, P.705.

(82) Rodney P. Carlisle: Op. Cit , P.10.

(83) S. E. Forman: A History of The American People, Op. Cit, PP.703, 705.

(84) Elisabeth Israels Perry and Karen Manners Smith: Op. Cit , P. 357.

(85) Carlos D. Ramírez and Christian Eigen-Zucchi:" Understanding the Clayton Act of 1914: An Analysis of the Interest Group Hypothesis" , Public Choice, Vol. 106, No. 1/2 ,2001, P.128.

(86) Dallas L. Jones: The Enigma of the Clayton Act , ILR Review, Vol. 10, No. 2 ,Jan, 1957, P.201.

(87) Tim muneese: Op. Cit , P.102

(88) Charles A Beard And Mary R. Beard: Op. Cit , P. 286.

(٨٩) ستيفن فنسنت بنيه: أمريكا، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد، مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٤٥، ص١٦٨.

(90) Gilbert H. Montague: "Anti-Trust Laws and the Federal Trade Commission, 1914-1927" ,Columbia Law Review, Vol. 27, No. 6, Jun , 1927 , P.650.

(91) Dallas L. Jones: Op. Cit , P.207.

(92) Eileen Lorenzi McDonagh:"Representative Democracy and State Building in the Progressive Era" , The American Political Science Review, Vol. 86, No. 4 ,Dec , 1992 , P. 940.

(93) Richard Polenberg: "Progressivism and Anarchism: Judge Henry D. Clayton and the Abrams Trial", aw and History Review, Vol. 3, No. 2,Autumn, 1985 , p.401.

(94) Carlos D. Ramírez and Christian Eigen-Zucchi: Understanding the Clayton Act of 1914: An Analysis of the Interest Group Hypothesis , Public Choice, Vol. 106, No. 1/2 , 2001, P.165.

(٩٥) والتر نوجنت: الحركة التقدمية في أمريكا مقدمة قصيرة جدا، ترجمة مروة عبد الفتاح شحاتة، هنداي، القاهرة، ٢٠١٦، ص ١١٣.

(96) Allyn A. Young: Op. Cit , P.434.

(97) S. E forman: Advanced American History,Op. Cit , P. 591.

(98) Rush C. Butler: "The Sherman Anti-Trust Law and Readjustment ", The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 82 ,Industries in Readjustment ,Mar , 1919, P. 220.

(99) Allyn A. Young: Op. Cit , P.435.

(100) Rush C. Butler: Op. Cit , PP. 220-221.

(١٠١) صفاء تقي عبد العيساوي: المفهوم القانوني للاستعمال غير المشروع للمركز المتحكم في السوق، مجلة واسط للعلوم الأنسانية، العدد ٢٣، ص ٦٣.

(102) Allyn A. Young: Op. Cit , P.422.

(103) C. C. H.: "Restraint of Trade: Clayton Act" , California Law Review, Vol. 10, No. 5 ,Jul , 1922 , P.427.

(١٠٤) حيث يمنع هذا البند صفقات الربط بمعني رفض البائع بيع المنتج الرابط إلى الزبون، ما لم يقم هذا الزبون شراء منتج ثان (المرتبط) ويعد ذلك تقييدا لحرية التجارة والمنافسة. ينظر: مهند إبراهيم علي فندي: مرجع سبق ذكره، ص ٣.

(105) Allyn A. Young: Op. Cit , P.421.; Richard Polenberg: Op. Cit , P. 401.

(106) C. C. H.: Restraint of Trade: Op. Cit , P.427.

(١٠٧) جون كينيث جالبريت: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨.